محمد داود

تاريخ تطوان

القسم الثاني من

المجلد السادس

تطوان

1390 - 1970

محمد داود

تاريخ تطوان

القسم الثاني

من

المجلد السادس

الفصل الثاني

من الباب الثامن

من رجال تطوان في القرن الثالث عشر

سنذكر في هذا الفصل بحول الله، ما عرفناه من تراجم رجال تطوان في هذا القرن مع عدم تقيدنا لا بإيجاز ولا بإطناب، وسنرتب هذه التراجم على حسب تواريخ الوفيات، أما الذين لم نقف على تاريخ وفاتهم بالتدقيق، فإنا نذكرهم بإزاء معاصريهم والله المستعان.

الولي الصالح سيدي عبد الله الحاج (1207)

هو الشيخ الجليل الولي الصالح صاحب الكرامات سيدي عبد الله الحاج البقال ابن محمد بن احمد بن محمد بن عيسى (الكبير) ابن سيدي علال الحاج دفين الحرايق المتوفى سنة 981 رحمه الله.

ولد المترجم بمدشر ترانكت من قبيلة بني حزمر حوز تطوان ونشأ بها في حجر والده ثم انتقل إلى الحرايق مقر أسلافه بقصد القراءة فلبث فيها مدة ثم عاد إلى بلده ثم انتقل منها مع أخيه سيدي أحمد إلى تطوان فأكرمهما قائدها في ذلك العهد وهو الحاج محمد عاشر (الذي حكم بتطوان من سنة 1179، إلى سنة 1200) ووهب لسيدي عبد الله أرضاً وداراً فسكنها إلى أن توفي ليلة الثلاثاء خامس ربيع الثاني عام 1207، ودفن بروضته المشهورة بساحة الفدان من تطوان.

ويحكى أنه لما كبر سنه طلب من الولي الصالح سيدي علي بن محمد بن علي ابن ريسون الذي كان مقيما بتازروت أن يقدم على تطوان ويقيم بها فلبى طلبه في الحال ووفد على هذه المدينة واجتمع معه فيها، ويقال إنه تلمذ له فلما توفي سيدي عبد الله كان سيدي علي ممن حضر جنازته ووضعه في قبره رحمهما الله.

وسيدي عبد الله الحاج ، من عائلة البقال (أو البقالي) الشريفة المشهورة في كثير من مدن المغرب وقبائله ، وخصوصا في ناحية الشمال .

وكان رحمه الله معدوداً من الاولياء الكبار بتطوان ، يزوره الناس ويتبركون به حيا وميتا ، وكانت حالته حالة جذب وجد وأحوال ومكاشفات وكرامات ، وقد توفى عن غير عقب عليه رحمة الله ورضوانه .

وإن شئت فانظر ما كتبه عنه الشيخ محمد بن علي الزبادي الفاسي في كتابه « الطريق الوارية » فانه قد زاره بتطوان وتبرك به وحكى ما جرى له معه ، وقد نقلنا كلامه في الفصل الرابع من الباب الخامس من هذا الكتاب .

الفقيه القاضي عبد السلام بن قريش (1207)

هو الفقيه العلامة المدرس قاضي تطوان السيد عبد السلام بن محمد بن محمد بن قاسم بن سعيد بن قريش ، وقد وصفه شيخنا الرهوني بالفقيه الصالح المدرس الخطيب القاضي ، وذكر أنه كان فقيها متواضعا خاشعا حسن الاخلاق ذاكراً لله تعلى .

وذكر السكيرج أنه كان كثير الامداد ، عظيم الاحسان للعباد ، وأنه كان من قضاة العدل ، وأهل البشاشة والفضل ، وأنه كان من أحباء السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الله ، وأنه ولد سنة 1132 . وتوفى سنة 1207 .

ويظهر أن المترجم كان كثير التدريس أيضا فقد ذكر أبو محمد السكيرج أنه قرأ عليه مختصر خليل مراراً والاربعين النووية وشمائل الترمذي والتفسير وصحيح البخاري مراراً ولامية الزقاق وتحفة ابن عاصم ، وذكر أنه قرأ صحيح البخاري في جامع الباشا بمحضر السلطان مولاي اليزيد بن محمد بن عبد الله لما قدم تطوان عام 1204 .

وذكر ابن زيدان في ترجمة مولاي مسلمة ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله ما نصه (1) :

« وفي يوم الاثنين خامس الشهر (يعني رجب 1206) ورد عليه قاضي تطاوين أبو محمد عبد السلام بن قريش وفي معيته الشرفاء والفقهاء والاعيان فاهتبل بوفادتهم وأكرم نزلهم ووصلهم بصلات ضافية » اه .

ويظهر أن ولاية المترجم لقضاء تطوان قد طالت أكثر من ثلاثين سنة أي من سنة 1171 إلى سنة 1206 وهو آخر قضاة تطوان من عائلته رحمه الله .

وقد ترجم له تلميذاه ابن عجيبة والسكيرج وشيخنا أبو العباس الرهوني رحم الله الجميع .

---

1) الاتحاف ج 4 ص 348 .

الفقيه الوجيه السيد أحمد الرشاي 1210

هو الفقيه العلامة المدرس الوجيه السيد أحمد بن عبد الرحمن الرشاي أو (الرشي) أو الروشاي وقد ترجم له تلميذه ابن عجيبة في أزهار البستان بقوله :

« ومنهم شيخنا الفهامة العالم الدراكة سيدي أحمد الرشي بضم الراء وفتح الشين له فهم وإدراك ، وله مشاركة حسنة في النحو والفقه والتنجيم ، أخذت عنه فنونا من العلم ، وهو في قيد الحياة » .

وترجم له معاصره وتلميذه أبو محمد السكيرج بقوله :

« ومنهم الفقيه الامام ، العالم العلامة الهمام ، الدراكة الفهامة سيدي الحاج أحمد الرشاي ، ثم ذكر أنه كان جميل الوجه والثياب ، وأن الناس كانوا مطبقين على حبه وتعظيمه ، وأنه كان يضرب به المثل في العلم والزهد ، وأنه قرأ عليه تفسير كلام الله العزيز الخ .

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني ونقل ما وصفه به ابن عجيبة، وزاد أنه كان من أهل الخير والصلاح والصلابة في الدين ، وأنه كان إماما بجامع الربطة ، وأنه كان مدرسا للعلوم ، معروفا بالعلم والتحقيق والتحصيل ، وأنه رحل للمشرق ووصل أرض الترك وكان يعرف لسانهم أي يحسن لغتهم .

وكانت وفاته بتطوان في 24 رجب سنة 1210 .

وقبره جنب قبر العلامة أبي العباس الورزيزي المشهور في باب المقابر.

وقد وجدت بخط الفقيه العدل سيدي محمد بن الهاشمي أفيلال ما نصه :

وللفقيه الاديب البليغ الاريب شيخنا سيدي عبد القادر المنون التطواني رحمه الله في تاريخ وفاة شيخه الفقيه الرشاي :

لا تسل عما اعتراني يا أخي　　إنني قد همت وجدا برشي
وتوالت أدمعي لما نشا　　في كد من رجب عام رشي
لست أنساه وإن شط النوى　　كيف ينسى يا لقومي ابن رشي
إن سلوتم وصبرتم فاعلموا　　أنني لم يغن عني الصبر شي

ومن خط الفقيه المذكور أيضا ما نصه :

وينسب للفقيه العلامة ، الصدر الفهامة سيدي أحمد الرشاي التطواني رحمه الله وأفاض علينا من بركاته هذان البيتان :

إلاهي عفواً عن غريب أوحد وسعن عليه ضيق الملحد

وشفعن فيه الذين شيعوا واجعله في حرز النبي محمد

ويقال إنه أوصى بأن يقرأ عند تشييعه لقبره رحمه الله.

وهذان البيتان ما زالت بعض الفرق العيسوية تشيع بهما الاموات إلى زمننا هذا.

(قلت) وقد كان المترجم رحمه الله من أعيان تطوان ووجهائها وكانت له دار من أكبر دورها وأحسنها في ذلك العهد، وهي الدار التي صارت ملكا ومسكنا للفقيه الوجيه السيد علي الخطيب بشارع المطامر.

وقد وقفت على رسوم بها إيصاء المترجم رحمه الله بجزء من متخلفه لطلبة العلم الشريف الذين كانوا يسكنون بالمدرسة المجاورة للجامع الاعظم من تطوان، وهي مدرسة لم يبق الآن لها أثر والدوام لله.

وقد رثى المترجم رحمه الله، تلميذه الفقيه الاديب سيدي عبد القادر المنون بقصيدة مطلعها:

بكت سلمى وأكثرت العويلا وما وجدت إلى صبر سبيلا

وقد أثبتها في ترجمته فلينظرها فيها من يهمه ذلك.

الفقيه المدرس الحاج محمد الصردو

ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه الخير، وذكر أنه كان كثير التأمل والاعتبار، كثير النفع للعباد، وأنه كان إماما بالزاوية الناصرية، ملازما لتدريس صحيح الامام البخاري، ومختصر الشيخ خليل، وألفية ابن مالك، وغير ذلك، ثم ذكر أنه قرأ عليه الألفية، ولم يذكر تاريخ وفاته، ولعلها كانت في العقد الاول من هذا القرن والله أعلم.

الفقيه السيد الطيب بن عبد الكريم ابن زاكور

هذا السيد لم أقف على ترجمته ولكني وقفت على اسمه كمروي عنه في ترجمة العالم الاديب السيد التهامي بن عمرو الرباطي من كتاب «فهرس الفهارس» ففيه (1) أن ابن عمرو المذكور « المتوفى سنة 1244 » يروي بعض الصلوات عن الفقيه السيد الطيب بن عبد الكريم ابن زاكور التطواني عن شيخه أبي محمد عبد الوهاب التازي الخ ولا ندري من هو هذا السيد الطيب ، نعم قد كان في تطوان السيد عبد الكريم ابن زاكور الذي تولى وظيف قائد البلد مدة إلى أن نكبه السلطان سيدي محمد بن عبد الله عام 1179 فلعل السيد الطيب هذا هو ابنه ، ولعل وفاته كانت في العقد الاول من القرن الثالث عشر والله أعلم .

الفقيه الرياضي الحاج علي مدينة 1212

الفقيه التاجر الحاج علي ابن الحاج علي مدينة الاندلسي هو جد جل أولاد مدينة الموجودين الآن بتطوان ، وقد ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه الحسيب، اللوذعي اللبيب ، التاجر الابر ، الخير الاطهر ، كما وصفه بالعلم والحلم، والذكاء والنباهة، والديانة والنزاهة الخ .

وذكر أنه كانت له معرفة بعلم الحساب والهيئة ، وأنه قرأ عليه كتاب القلصادي في الحساب ، والمقنع في التنجيم ، وأرجوزة الدادسي كذلك ، وروضة الازهار ، وغير ذلك ، ولم يذكر تاريخ وفاته ، ووجدت في بعض التقاييد أنها كانت عام 1212 والله أعلم.

وقد ترجم له أيضا أستاذنا الرهوني بملخص ما ترجم له به السكيرج ، وزاد في محل آخر وصفه بالعلامة الفلكي ، وذكر أنه قرأ العلوم الرياضية وغيرها بمصر واشتغل بالتجارة الواسعة والتدريس وطار صيته في المشرق والمغرب وكانت له شهرة ومكانة عند السلطان فمن دونه الخ .

---

1) فهرس الفهارس ج 1 ص 204 .

سيدي بو سلهام 1212

هذا السيد هو صاحب الضريح المعروف بحومة العيون، وقد تكلم عليه معاصره أبو محمد سكيرج وترجم له الرهوني وذكر أن اسمه أحمد بن بوسلهام وأن أصل عائلته من أولاد الكوش من قبيلة بني توزين الريفية، وأن أباه «بو سلهام» كان مخزنيا - خادما - مع الباشا علي بن عبد الله، وأن المترجم ولد بتطوان عام 1125. ثم التحق بخدمة الباشا أحمد الريفي فألحقه بخدمة قصره وكلفه بالطاس الذي تغسل به الايدي، فصار ينطق بكلام لا يناسب مقام الطغاة، فسجنه بطنجة ولبث في سجنه نحو عامين ولم يطلق سراحه إلا بعد قتل الباشا المذكور، وأنه ظهرت عليه أسرار الخ وكانت وفاته ودفنه بتطوان عام 1212.

وهذا السيد معدود من صلحاء تطوان، وله ضريح مشهور أمام الباب الرئيسي للجامع الكبير الذي بحومة العيون.

وقد ذكره الشيخ محمد بن علي الزبادي الفاسي في كتابه «الطريق الوارية» وكان قد زاره بتطوان وحكى له بعض الكرامات، وإن شئت فانظر كلامه عنه في الفصل الرابع من الباب الخامس من هذا الكتاب.

وذكر أستاذنا الرهوني أن المحل الذي به ضريح سيدي بو سلهام، كان بيتا داخل دار المعلم محمد بن عبد العزيز العسيل المدعو مولاطو الحجام حرفة، وكان يخدم السيد المذكور فلما توفي دفنه في داره، ثم أمره السلطان المولى سليمان أن يجعل لذلك البيت بابا على الشارع ففعل ذلك وصار الضريح مزارة عامة.

وذكر السكيرج حكاية أثبتها هنا للدلالة على نفسية القوم في ذلك العهد وإن كنا نعتقد أن الفاعل المختار هو الله وحده لا شريك له سبحانه. وملخصها:

أن القائد علي بن عبد الله، بلغه أن الشيخ سيدي الحاج علي بركة «التطواني» قد ذهب إلى جبل العلم للاجتماع فيه بشيخه سيدي أحمد بن عبد الله معن «الفاسي» وزيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، فأرسل القائد المذكور خادمه «بو سلهام» (والد الشيخ المترجم) بحمل بغلة من الاطعمة والفواكه هدية للشيخين المذكورين، ففرق سيدي أحمد بن عبد الله ذلك على شرفاء العلم، وطالبه المخزني بو سلهام بسخرته «أي بأجرة خدمته» فقال له ما ذا تريد، فقال أريد ولداً صالحاً. فلما عاد إلى تطوان رزقه الله ولداً سماه باسم الشيخ المذكور، وهو المترجم، فصار فيما بعد من صلحاء هذه المدينة ورحمة الله على الجميع.

الفقيه الخير السيد محمد بن علي الوزازي (1214)

هو الشيخ العلامة المشارك أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الورزازي أصلا التطواني داراً وموطناً (1) قال فيه تلميذه الشيخ أحمد بن عجيبة في كتابه أزهار البستان :

« ومنهم شيخنا الفقيه العالم المتفنن سيدي محمد بن علي الورزيزي ، له مشاركة حسنة في فنون من العلم كالفقه والنحو والبيان والاصول والحساب والتنجيم ، وله فهرسة ذكر فيها من أخذ عنه من الاشياخ بالمشرق والمغرب ، وله شرح على قصيدة سيدي محمد بن ناصر في الفقه ، وكتاب في التوحيد مع قواعد الاسلام وتوابعها من تصوف وغيره . وهو في قيد الحياة (2) » .

ووصفه تلميذه الشريف العلامة سيدي محمد بن الصادق بن ريسون ، بـ « شيخنا العلامة القدوة ، الزاهد الورع المدرس المشارك الخطيب أبي عبد الله سيدي محمد بن علي الورزازي » وذكر أنه أخذ عنه واستفاد منه وأجازه إجازة مطلقة عامة بخط يده الكريمة الشريفة فيما له من مقروء ومسموع ومجاز وتأليف . . . الخ .

ووصفه معاصره أبو محمد السكيرج بالشيخ العالم الولي الصالح الخ .

ووصفه أبو الاسعاد الكتاني في فهرس الفهارس بالعلامة الصالح أبي عبد الله محمد بن علي الورزازي أصلا التطواني داراً ومسكنا ومدفنا .

وحلاه تلميذه بالاجازة أبو محمد عبد الودود بن عمر التازي دفين فاس في إجازته لابن رحمون بالفقيه العلامة الحجة البركة العارف بالله .

(قلت) وقد وقفت على مجموع به التآليف الثلاثة التي ذكرها له تلميذه ابن عجيبة وأولها فهرسته ، وقد قال في أولها بعد الافتتاح .

أما بعد فيقول العبد الفقير، المضطر لرحمة ربه المولى القدير ، محمد بن علي الورزازي أصلا التطواني داراً ومسكنا ، هذه فهرسة أذكر فيها المشاهير من أشياخي الخ.

ثم ذكر أولهم ، وهو أبو عبد الله محمد (بالفتح) بن محمد بن عبد الله الورزازي، وسرد الكتب التي قرأها عليه .

---

1) هكذا ذكر اسمه ونسبه في شرحه لمنظومة الشيخ بن ناصر .

2) النسخة التي نقلنا عنها هذه الترجمة ، كتبت من خط المؤلف في حياته عام (1208) ومعلوم أن الوزيزي هذا توفي عام 1214 والمؤلف (ابن عجيبة) توفي عام 1224 رحمهما الله .

ثم ذكر الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله الورزازي .

وذكر أنه قرأ عليه عدة كتب وأنه أجازه كتابة بتاريخ 11 رجب 1168 .

ثم ذكر أنه توفي سنة 1179 ، وأن أخاه المذكور قبله توفي قبله سنة 1166 بمكة المكرمة ، وأن شيخهما وابن عمهما المتبحر في العلوم ، محمد بن أحمد المعروف بالصغير توفي بمصر عام 1137 .

وذكر أنه قرأ على الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي بسجلماسة ، وأنه توجه لفاس سنة 1162 بقصد القراءة ، فوجدها محصورة .

ثم قال : فتوجهت حينئذ لتطوان قاصداً شيخنا العلامة سيدي أحمد الورزازي ، فأقمت عنده على رسم القراءة تسعة أشهر الخ .

ثم توجه للحجاز سنة 1163 ورجع لفاس فأقام بها ثلاث سنين ونصفا وقرأ على أعلامها ، وقد أجازه بها الشيخان التاودي بن سودة ومحمد بن قاسم جسوس عام 1175

وذكر أيضا العلماء الذين أجازوه في رحلته المشرقية .

ومنهم الشيخ عمر السوداني عالم طرابلس في وقته ، وأبو الحسن السندي بمكة وأجازه في مصر شيخ المالكية محمد البليدي ، وأحمد الملاوي ، وعلي الصعيدي ، ومحمد الحفناوي ، وعمر الطحلاوي .

وذكر أيضا أنه لما رجع من حجه الثاني عام 1175 إلى تطوان ، لقي فيها الشيخ أحمد بن عبد الله الغربي الذي قدم عليها من بلده رباط الفتح فطلب منه الاجازة فأجازه ، كما أجاز معه جماعة من أعيان فقهاء تطوان .

وأثبت المترجم في فهرسته أسانيد الشيخ عمر السوداني الطرابلسي ، وأسانيد أبي العباس الورزازي ، ثم أسانيد الشيخ محمد بن عبد السلام بناني وشيوخه ، وكان المترجم قد زاره بفاس عام 1163 ، أي سنة وفاته ، وقد كتبها صاحبها (بناني) عام 1161 ، وقد استغرقت أسانيد الشيخ بناني المذكور نحو 36 صفحة .

أما فهرست المترجم فتقع في 77 صفحة متوسطة الحجم في كل صفحة 23 سطراً بخط دقيق .

وأما الكتاب الثاني من كتب المترجم فهو شرحه لمنظومة الشيخ محمد بن ناصر التي مطلعها :

الحمد لله حمداً طيباً عطراً ثم الصلاة على المختار من مضرا

وهي منظومة في التوحيد والطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج ، وقد ذكر المترجم أنه فرغ من هذا الشرح في تاسع جمدى الاولى سنة 1203 ، وهذا الشرح يقع في 61 صفحة متوسطة الحجم .

والكتاب الثالث يقع في 64 صفحة وقد قال المترجم في أوله :

هذا كتاب لطيف في ذكر ما يجب على المكلف معرفته من قواعد الاسلام وما يلتحق بها مما لا بد من معرفته .

ثم ذكر باب التوحيد وذكر فيها حقائق الصفات وأدلتها النقلية والعقلية .

ثم ذكر الرسل وقواعد الاسلام ، ثم كتاب الطهارة ، ثم الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ، ثم الكتاب الجامع وفيه السيرة النبوية وبيان العلم وفضله وشروطه وفنونه والتوبة والواجبات والمنهيات الخ .

وذكر أنه فرغ من تاليفه في 17 صفر عام 1204 .

وفي المجموع المذكور أيضا عدة منظومات للمترجم في مسائل لغوية ونحوية وأبيات في التوسل وغير ذلك .

ووقفت له أيضا على كتاب آخر ألفه في أواخر عمره وسماه « مجموع المنافع والفوائد ، وفرائد التمائم والقلائد » وهو تأليف يزيد عدد صفحاته على مائتين ، ومن أبوابه ، باب التوحيد ، باب الطهارة ، باب الصلاة ، باب فيما يجب على المرأة لزوجها ، وتكلم على اتباع الكتاب والسنة وتجنب البدع والاهواء ، وصلة الرحم وقطعها .

وعقد أبوابا وفصولا فيما يوجب للعبد الجنة ويبعده عن النار ، وفي وصف الجنة وأهلها والنار وأهلها ، وفي الشفاعة ، وفي قراءة القرآن ، وذكر الله والدعاء والاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الخ .

وقد ذكر في آخره أنه فرغ من تأليفه في سابع وعشري شوال عام 1214 ، أي في أواخر السنة التي توفي فيها رحمه الله .

ووقفت له أيضا على تقييد في بيان حقيقة الحمد والشكر لغة وعرفا وما بين أقسام ذلك من عموم وخصوص الخ . وهو تقييد محقق نفيس افتتحه بقوله :

الحمد لله الذي لا معقب لحكمه ، ولا مرد لما أراد إنفاذه في خلقه وقضاه بعدله الخ .

وذكر أنه ألفه بعد إلحاح الطلبة وكثرة ترددهم عليه وطلبهم له الخ .

وقد كتب اسمه فيه هكذا محمد بن علي بن أحمد بن محمد الوازري هكذا بدون لف بين الزايين ، وكذلك فعل في كتابه مجموع المنافع الخ .

تلاميذه

من تلاميذ المترجم ، العلامة الشيخ أبو العباس أحمد ابن عجيبة .

وذكر الشيخ عبد الحي الكتاني أن من تلاميذه أيضا الشيخ الرهوني الكبير محشي الزرقاني ، والعلامة الشريف سيدي محمد بن الصادق بن ريسون وقد تقدم لنا نه أجازه إجازة عامة الخ .

جامعه ووفاته ومدفنه

ذكر شيخنا الرهوني أن المترجم تولى الامامة والخطبة بجامع لوقش بعد سلفه الشيخ أحمد الورزازي .

وقد رأيت مثل ذلك مكتوبا بخط قديم في إحدى الطرر ، وزاد كاتب تلك الطرة أن السلطان مولاي سليمان كان يحب هذا الشيخ في الله ، وأنه لما زار تطوان صلى معه الجمعة في المسجد المذكور ، ولما توفي هذا الشيخ ، اعتنى السلطان المذكور بولده الصغير ، وأمر بتوجيهه لفاس للقراءة بالقرويين ، فتوجه إليها معتنى بشؤونه وترك نائبا عنه في الجامع المذكور .

أما وفاته فكانت زمن الوباء رابع عشر القرن الثالث عشر أي سنة 1214 .

وأما قبره فبجوار قبر الشيخ أحمد الورزازي في المسجد الذي عن يسار الداخل لمصلى الجنائز في باب المقابر من تطوان وهو القبر المنخفض الذي في القوس الوسطي المواجه للبحر ، أما القبر المرتفع المتصل بالجدار لجهة الغرب ، فهو لشيخه أبى العباس الورزازي رحم الله الجميع .

الفقيه المفتي السيد محمد بن محمد الجنوي 1214

هو ابن الفقيه العلامة الشيخ محمد بن الحسن الجنوي دفين مراكش، وقد ترجم له معاصره الشيخ ابن عجيبة في أزهار البستان بقوله :

«[ومنهم الفقيه المحصل الدراكة الفهامة العالم العلامة سيدي محمد ابن شيخنا الفقيه سيدي محمد الجنوي ممن حاز رياسة الفقه في زمانه، ودارت الفتوى عليه بمدينة تطوان، له معرفة تامة بالنوازل، تولى مرتبة أبيه بعده، وهو يدرس ويخطب في جامع الولي الشهير سيدي علي الجعيدي، وهو في قيد الحياة».

ويعني بالجامع المذكور جامع العيون.

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني ووصفه بما وصفه به ابن عجيبة وزاد أنه توفي عام 1214.

وترجم له أيضا معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بالعالم الكبير الوارث العلم الكثير، وذكر أنه كان مشاركا في كثير من العلوم مدرسا لها.

وحكى عنه أنه قال له :

«إن درقاوة قاموا في هذا القطر (يعني المغرب) والنصارى الفرنصيص قاموا في قطرهم (يعني بذلك الثورة الفرنسية سنة 1789 م - 1203 هـ) وكلاهم ينشأ منهم فساد هذا العالم».

وقد علق أستاذنا الرهوني على هذه الكلمات بقوله :

«انظر إلى هذه المقالة ما أبشعها».

أما السكيرج فقال عقبها :

«أطلب الله سبحانه النجاة من الجميع بمنه، والاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه».

وإنه لمن الغريب حقا أن يقارن أحد فقهاء تطوان في ذلك العهد، أي قبل تاريخنا هذا بنحو قرنين، بين الثورة الفرنسية، والحركة الصوفية التجريدية، ويتنبأ بأن كلا منهما سيؤدي الى فساد نظام هذا العالم ...

فهل كان الفقيه الجنوي يرى أن الديمقراطية على العموم والمساواة الكاملة بين جميع الطبقات، مخالفة لطبيعة الكون التي تفرق بين العالم والجاهل، والعامل والخامل، والمخلص والخائن، والنشيط والكسول، والطيب النفس والخبيث الروح ؟.

وهل كان يرى أن التصوف على العموم مفسد للمجتمع الذي يتطلب الجد والعمل، والبناء والتعمير، لا الخمول والكسل، والانزواء والتخريب.

إن الذي نفهمه من نفسيات فقهاء تطوان في ذلك العهد، أن الفقيه الجنوي، ما كان يقصد بكلمته إلا أن استيلاء الصعاليك والجهال والفوضويين على الحكم، مآله فساد النظام، وتوقف الاعمال، وعموم الخراب.

وأن سيطرة الروح الصوفية على العموم، تجعل الناس يزهدون في الدنيا وزهراتها، ولا يعملون إلا للآخرة ونعيمها، وفي ذلك أيضا فساد نظام هذا العالم، وتوقف الاعمال، وعموم الخراب . . .

والواقع أن العالم يسير ويتقدم مع هذا النظام وذاك، وفي زمننا هذا، نرى كلا من الولايات المتحدة الامريكية وهي تمثل الرأسمالية اليمينية المتطرفة التي تتحكم في العالم بأموالها وإنتاجها الذي لا حد له ولا حصر.

كما نرى الاتحاد السوفياتي وهو يمثل أقصى ما في اليسار من التطرف الشيوعي الذي لا يملك معه الفرد شيئا، ولا يتمتع ولو بقيد شعرة من حرية التصرف، لا في نفسه ولا في فكره ولا في قلمه ولا في انتاجه المادي والادبي، وإنما هو عبد للمجتمع يشرع له فينفذ، ويؤمر فيمتثل، وهذان الطرفان الرأسمالي والشيوعي، بالرغم من كل ما بينهما من الاختلاف، قد بلغ كل منهما في عصرنا هذا من التقدم العلمي والحربي، درجة لم يتقدم لها نظير في التاريخ، وكل منهما ينسب سبب تقدمه وتفوقه، للنظام الذي يعتنقه ويعتقد أنه هو وحده الصواب وغيره خطأ، ويرى أن النظام المخالف له يجب القضاء عليه ومحوه من الوجود، ولا يستبعد أن يؤدي تعصب كل من الطرفين المذكورين، إلى قيام حرب عالمية تهلك الحرث والنسل، ويكون ذلك هو السبب الحقيقي لخراب هذا العالم.

إن الواقع - كما قلنا - هو أن الدنيا تسير، والعالم يتقدم مع كل من النظامين، اليميني واليساري، الرأسمالي والشيوعي، الملكي والجمهوري، الديمقراطي والديكتاتوري.

والمدار، إنما هو على الادارة العالمة، النشيطة الحازمة، التي تحسن التدبير، وتتقن التسيير، ولله سبحانه في خلقه شؤون، والدنيا على العموم شجون وحزون، والله تعالى يقول: « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » ويقول سبحانه « إن الدين عند الله الاسلام » صدق الله العظيم.

الفقيه الاديب السيد عبد القادر المتون 1214

هذا السيد عرفنا به تلميذه الفقيه الاديب سيدي محمد بن الهاشمي أفيلال . وقد وصفه بالفقيه الاديب البليغ الاريب سيدي عبد القادر المنون التطاوني .

ثم ذكر أنه كان مدرسا متواضعا نزيه النفس شديد الحياء ، إلا أنه يعجبه الجمال، وقد قرأ عليه الاجرومية مرتين ، وكانت قراءته ممزوجة بالفكاهات والمستملحات ، وكان كل يوم ياتي الطلبة بنظم جديد جمع فيه مسائل أو فوائد ، وكان كثير المطالعة لكتاب المغني ، مولعا بتقييد المسائل وتاريخ الحوادث التي تقع في زمنه ، ويودع ذلك شعره الذي ياتي فيه بمحسنات لفظية ومعنوية بلغت الغاية في العذوبة والسلاسة، ومن ذلك قصيدته المشهورة التي سماها « مجلى النفوس ، ومضحك العبوس » وقد أطرف فيها وأبدع ، وموضوعها هو التهكم والاستهزاء بالجيوش الملتقطة التي جمعها المولى سلامة الذي ثار على عمه السلطان مولاي سليمان وحاصر بها مدينة تطوان ثم عجز عنها ورجع خاسئا .

(قلت) هذه القصيدة أو المنظومة مطلعها قوله :

حمداً لمن رفـع عنا النقما   وغفر الذنب وأسدى النعما

وعدد أبياتها يقرب من مائتين ، وقد نقلت نصها الكامل في الباب السادس من هذا الكتاب) .

ثم ذكر أن له قصائد وموشحات وأزجالا ، وله صبوحي على منوال الصبوحي المنسوب للفقيه عمر ، وله في أشياخه وفي الصالحين قصائد عديدة .

ثم ذكر أنه كان ليلة في حفلة عرس بتطوان وقد حضر فيها شاب من أهل فاس يدعى اللبار وكان مغنيا جميل الصورة والصوت ، حسن الاخلاق والثياب ، فأنشد فيه المترجم هذه الابيات :

فديتك يا لبار حـزت لطافـة   سموت بها أهل المفاخر والادب
أيا يوسف الصديق ألبسك البها   ففقت بها حسن الاعاجم والعرب
وداوود قد أولاك من حسن نطقه   فحركت أرباب المذاقة والطرب
وأوتيت تعليم الجماد أما ترى   إلى العود يبدي من تعلمك العجب

ومن شعر المترجم قصيدة قالها في رثاء شيخه العلامة السيد أحمد الرشاي ونصها :

بكت سلمى وأكثرت العويلا وما ألفت إلى صبر سبيلا
فقلت لها على م فداك نفسي أفارقت الحبيب أو الخليلا
فقالت لو قدرت لعظم ما بي بكيت دماً ولم أشف الغليلا
ولولا الصبر يحمد في الرزايا لكنت لخندق أبداً نزيلا
خليلي كيف لا أبكي وإني أرى أخياركم جدوا الرحيلا
وولوا مسرعين وما شعرتم ولم يبق الزمان لكم نبيلا
وأهل العلم قد شدوا المطايا وقد كانوا حووا علما جليلا
وقبض العلم يوذن بانصرام وإن تتل الحديث تجد دليلا
وهذا ابن الرشاي ثوى بلحد وبطن الارض صار له مقيلا
فلو رمتم نظائره رجعتم ولم تلفوا له أبداً عديلا
لقد فقدتم به الامصار طرا وحملتم به رزءاً ثقيلا
ولو أنصفتموه إذن لجدتم بأدمعكم له دهراً طويلا
ولكن التبصر كان أولى وأجمل فاصبروا صبراً جميلا
لقد حكم الإله بأن سيبقى ويفنى خلقه جيلا فجيلا
وكل الخلق منقادون طوعا لحكم الله لن يغنوا فتيلا
فيا رب العلا هبنا رضاء وهبه في العلا ظلا ظليلا
ويا رباه يا مولاه يا من إليه توسلي كن بي حفيلا
وعم الآل والاخوان منا برحمتك التي تشفي العليلا
بجاه المجتبى خير البرايا وأفضلهم وأشرفهم قبيلا
عليه وءاله والصحب طرا صلاة الله عنهم لن تميلا

ثم ذكر الفقيه أفيلال أن المترجم رحمه الله توفي بتطوان في وباء سنة 1214 رحمه الله .

الفقيه الاديب سيدي عبد الله بن علي شطير

هو الفقيه العدل الشاب الاديب الشريف سيدي عبد الله ابن الفقيه الخير المتبرك به المدرس سيدي علي بن طاهر شطير الحسني.

كان هذا السيد من عدول تطوان وأدبائها، وقد وجدت بخط الفقيه الموقت السيد محمد بن عبد الوهاب لوقش وصفه بالفقيه الاديب، وذكر أنه كان له كبير تعلق بكتب التفسير والحديث، وأنه كان له إلمام بالشعر واعتناء بنسخ الكتب وله خط حسن، وأنه تولى الامامة بعد وفاة والده بمسجد الربطة من تطوان، وأنه توفي وهو ابن نحو ثلاثين سنة (1) الخ.

« قلت » كانت ولادة المترجم رحمه الله في أواسط رمضان عام 1181 بمدينة تطوان، وبها نشأ وشب وقرأ العلم على عدة شيوخ بها.

منهم العلامة الكبير سيدي محمد بن الحسن الجنوي، وولده الفقيه سيدي محمد بن محمد الجنوي، والفقيه السيد محمد بن علي الورزيزي، والفقيه السيد احمد الرشي، والشيخ سيدي احمد بن عجيبة وغيرهم.

ويظهر أنه شرع في قراءة العلم صغيراً دون البلوغ، لانه في سنة 1195. « أي حينما كان عمره خمس عشرة سنة » كان يقرأ مختصر الشيخ خليل على العلامة سيدي محمد بن الحسن الجنوي.

كما يظهر أنه لبث يقرأ بتطوان نحو عشرة أعوام، ثم رحل إلى فاس، وفي أوائل سنة 1203 كان يقرأ بها على العلامة الشيخ التاودي ابن سودة، وعلى ابنه الشيخ سيدي احمد بن سودة، وعلى العلامة الشيخ الطيب بن كيران، والعلامة الشيخ حمدون ابن الحاج وأضرابهم.

ويظهر أن إقامته بفاس لم تطل وإنما قضى بها سنة 1203 وبعض سنة 1204، وفي أواخر سنة 1204، كان بتطوان وقد عاد للقراءة بها.

ويظهر أنه لما كان بفاس، كان ملازما لدروس العلامة الشيخ التاودي ابن سودة فانه ذكر أنه قرأ عليه:

الخلاصة، ومختصر خليل، من القسمة إلى آخره.

ومن التفسير، سورة البقرة، ومن سورة غافر إلى الفتح.

كما قرأ عليه أيضا الحديث والبيان...

---

1) بل عاش نحو أربعة وثلاثين سنة كما سيظهر من بعد.

وفي نفس الوقت كان يحضر دروس غيره من شيوخ فاس .

وقد ذكر أن مما قرأه بفاس .

النصف الثاني من مختصر الشيخ خليل على الشيخ احمد بن سودة ، عام 1203 هـ

وكتاب التلخيص على الشيخ الطيب بن كيران في نفس العام ، وعلى الشيخ حمدون ابن الحاج عام 1203 - 1204 .

وكتاب جمع الجوامع على علي بن اويس في نفس العام ، وقرأ الخزرجية أيضا على الفقيهين العراقي والحوات الخ .

ويظهر أنه بعد أن رجع من فاس عاد للقراءة على كبار شيوخه بتطوان لانه أرخ ختمهم لكتاب جمع الجوامع على العلامة الشيخ محمد الورزيزي بصفر عام 1206 .

ثم لا نعرف عن حياة المترجم بعد فراغه من الدراسة إلا أنه كان فقيها عدلا جميل الخط حسن العبارة مشتغلا بالادب معتنيا بالكتابة .

كتاب نضار الاصيل

وقد وقفت على كناش كبير بل مجموع نفيس (1) كله بخط المترجم وهو خط دقيق جيد في غاية الوضوح والاتقان ، وقد جمع فيه من الفوائد العلمية والتاريخية والاشعار والادبيات والمواعظ والحكم واللطائف شيئا عجيبا ، وسماه « نضار الاصيل ، في بساط الخليل » ويحتوي على نحو أربعمائة صفحة في كل صفحة نحو أربعين سطراً من النثر وبعضها يبلغ الخمسين سطراً وبعض الصفحات محتوية على نحو ثمانين بيتا من الشعر وبعضها يزيد على ذلك .

وهذا الكناش يصح أن يعد تأليفا لطيفا ، أو مجموعة من أنفس مجموعات الادب العربي القديم .

ولعل من المناسب أن آتي هنا بفذلكة عن هذا المجموع مع مقتطفات مما كتبه صاحبه الفقيه الاديب كنموذج لكتابة أدباء تطوان وأسلوبهم وتفكيرهم واتجاههم في ذلك العهد . (أعني في الربع الاول من القرن الثالث عشر) .

1) هذا المجموع النفيس الفريد هو الآن في خزانتي « الخزانة الداودية بتطوان » وقد أهداه إلي الفقيه الخير المطلع السيد أحمد ابن الخمار الكنوني القصري عام نيف وستين وثلاثمائة وألف بدون مقابل جزاه الله خيراً .

هذا المجموع « وصاحبه يسميه الديوان » عبارة عن مجموعة علمية أدبية تاريخية، فهو كباقة زهور شذية انتخبها ونظمها شاب أديب له فكر ثاقب ، وذوق سليم ، وشعور رقيق ، مع ثقافة دينية وأدبية ، وعنصر طيب شريف .

وقد رتبه على أقسام أربعة

الاول كتاب العلم .

الثاني كتاب الادب .

الثالث كتاب الحكايات .

الرابع كتاب الشعر .

ولكل كتاب من هذه الكتب مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وربما احتوت بعض الابواب على عدة فصول .

وقد شرع المؤلف في كتابة ديوانه دون أن يجعل مقدمته في أوله ، وكان من حين لآخر يكتب تاريخ انتهائه من كتابة بعض فصوله . فأحد الفصول انتهى منه ظهر يوم الثلاثاء سابع ربيع النبوي عام 1200 ، أي حينما كان في التاسعة عشرة من عمره ، وفصل آخر فرغ منه ضحوة يوم الجمعة خامس ذي الحجة الحرام عام 1200 أيضا.

وقد جعل لكل كتاب من الكتب الاربعة مقدمة بل خطبة خاصة به فلكتاب العلم خطبته وهذا نصها :

« الحمد لله العليم بالخفيات ، وما تكتنفه الطويات ، المحتجب بنوره عن الابصار المدركات ، والمنزه عن الصفات الحادثات ، وصلاته على من جاء بالهدى والبينات ، وعلى آله وأصحابه وذريته ، ومن تبعهم إلى أن تبدل الارض غير الارض والسموات .

وبعد فان العلم لا شيء أرفع ولا أنفع منه ، ولا لاحد غنى عنه ، ومن طعم بحلاواته ، وتنغم بثاياته ، وسحب ضافي أثوابه ، وشرب خالص أكوابه ، لم يشتغل بسواه، ولم يعدل عن فحواه ، ورءاه أنفع شيء ناله في اكتسابه ، وأرفع ثوب اكتسى به ، فناهيك به من صراط الكرام ، ومنهل عذب كثير الزحام ، قال فيه عليه الصلاة والسلام ، لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ، وقال صلى الله عليه وسلم ، أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم . رواه ابن ماجة .

ثم يأتينا المؤلف بالباب الاول فيما جاء في فضل العلم والترغيب فيه والعمل به : آيات ، أحاديث ، أشعار ، حكايات ، نوادر :

« لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن أنه علم فقد جهل » .

إذا كان يوذيك حر المصيف وكرب الخريف وبرد الشتاء
ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي متى

« اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون ، وخذوا من كل شيء طرفا ، فانه من جهل عاداه » .

ويملأ المؤلف عدة صفحات ثم ياتي بالباب الثاني، ثم بالثالث، ثم بالرابع، ثم بالخاتمة.

ثم ياتي كتاب الادب ، وهذا نص خطبته :

« الحمد لله الذي أنطق بالبيان ، وطوق من شاء منه بقلائد العقيان ، فضلا وكرما من رب الارباب ، والصلاة والسلام على المجتبى من ولد عدنان ، المبعوث للاحمر والاسود والانس والجان ، وعلى آله وأصحابه أولي الالباب ، الذين دخلوا بيوت العلم من خير باب .

وبعد فاني لما رأيت الادب عنوان المكارم ، وقلم صاحبه يغني عن السيف الصارم، وأنه جليس ممتع ، وأنيس مقنع ، وخل لا يخل ، وإلف لا يمل ، وعلمت أنه ما تهذب من لم يتأدب ، ومن لم يمتط ظهر الاشعار ، لم يكن له بدقائق العلم من إشعار ، أزمعت لذلك أن أجمع في هذه الاوراق ، ما رق من جميل الكلام وراق ، مما وقفت عليه لمشاهير الحذاق ، أو نحو ذلك من كلام الايمة الاعلام ، المحاربين عساكر الجهلة بأسنة الاقلام ، وها أنا أنشد لذوي العقول الراجحة والفضائل ، ما تيسر من الوسائل .

رحم الله امرءا طالعه فأتى عن زلتي بالمعذرة
وإذا ألفى خطا أصلحه وإذا أبصر عيبا ستره

وبالله سبحانه العناية بالاعانة والتسديد ، فما خاب من آوى إلى ركنه الشديد .

ثم الباب الاول في الحث على الادب والتخلق بأوصافه الحسان .

لكل شيء زينة في الورى وزينة المرء تمام الادب

ثم يوزع من زهور الادب العربي القديم ما يملأ أربعة أبواب ايضا .

ثم ياتي كتاب الحكايات ، وله أيضا خطبته وأبوابه وخاتمته .

ثم كتاب الشعر وهو مرتب على بحور الشعر المشهورة .

ويلتفت المؤلف لناحية التاريخ فيعقد فصلا يؤرخ فيه لوفيات بعض المشاهير من الاقدمين والمعاصرين له .

ويذكر شيوخه بتطوان وفاس وما قرأه عليهم من العلوم والفنون وتاريخ افتتاح الكتب وختمها .

ويذكر لنا سلسلة نسبه فيبين أنه شريف عمراني يتصل نسبه بسيدي عبد الله ابن مولاي ادريس بن ادريس .

ويذكر أن أصل عائلة شطير من سماته فهو سماتي أصلا ، تطواني منشئا وداراً .

ثم يتذكر صاحبنا أنه لم يضع لديوانه خطبة عامة فيتدارك الامر ويكتب خطبة الكتاب في صفحته الثالثة والسبعين بعد الثلاثمائة أي بعد أن رأى أن كتابه كاد يتم . فهو لم يكن من الذين يتوهمون أن لهم تآليف فيكتبون لها مقدمات ما بين صغرى وكبرى ، ويضعون لها برامج وأبوابا وفصولا ، ثم يثقلون على الناس بقراءتها عليهم تثقيلا ، ثم يضعف الحماس وتتضاءل فكرة التأليف ، ويصطدم المؤلف الخيالي بالحقيقة فيظهر العجز ثم لا تكون كتابة ولا يقع تأليف . . . . .

فعلى المؤرخين أن لا يغتروا بما يسمعونه أو يقرأونه من المقدمات ، فرب مقدمة ، لم يزد عليها صاحبها كلمة ، وقد سجل المتسرعون اسمه في لائحة المؤلفين .

ولكن ما لنا ولهذا ، وأستغفر الله من الفضول .

كتب الاديب شطير خطبة ديوانه بعد عصر يوم الثلاثاء خامس جمادى الاخيرة عام ثلاثة عشر ومائتين وألف . أي بعد أن مضى على شروعه في كتابته نحو ثلاث عشرة سنة ، وكان إذ ذاك في الثانية والثلاثين من عمره ، وقد شعر بأن عهد الشباب قد ولى فظهر أثر ذلك الشعور في كتابته ، ولعل ذلك كان قبل وفاته بنحو السنتين

وهذا نص تلك الخطبة :

« الحمد لله الذي أدرج أحياء القلوب في أكفان العقول ، وأجرى فلك الافهام في نهر المعقول ، وبحر المنقول ، وفجر ينابيع حكمته في روض شريعة سيد كل فاضل ومفضول ، والصلاة والسلام على هذا النبي الامي طه الرسول ، وعلى آله وصحابه أهل الاحاطة بطاعته والشمول ، ثم على من اتبعه باحسان واتسم بالخمول ، وعلى جميع من اهتدى بهديه فاستراح من الفضول ، صلاة دائمة بدوام الدارين لا تحول ولا تزول .

وبعد فيقول هذا العبد المذنب الضعيف ، جامع فوائد هذا الكناش الظريف ، عبد الله بن علي بن طاهر شطير الشريف ، قد كنت زمن الصبا وضعف السلوك ، عنيت بجمع هذا الديوان المسمى بزعفران الدلوك ، في بساط الملوك ، والمترجم لعزة المثيل ، بنضار الاصيل ، على مقام الخليل ، فلما أذن عصر الشباب ، وظهرت فوائد اشغال أولي الالباب ، مع أني لم أكن أسلفت خطبة لهذا الكتاب ، بدا لي أن أضعها على هذا الاسلوب منوطة بعتاب ، خوف تناسي ما لله من نعيم أو عذاب .

هذا وإن مضمن هذا المجموع ، نفيس منشور الكلام ، وعزيز مشهور النظام ، وأنيس من ابتلي بالهوى والغرام . وشمس من خيمت به قراطيس الاقلام ، وطرس من رمته بالاغتراب الايام ، وعرس من كان لطيف الشمائل من الانام ، ثم ترتيبه على أربعة كتب ناعمة . لكل كتاب أربعة أبواب وخاتمة ، إلا أخيرها فلم يأخذ من ذلك إلا الخاتمة ، وتفسير ذلك بتفصيله عند تراكم أمواجه المتلاطمة .

وسر الاربعة الاصلية والفرعية فيه ظاهر للعيان ، فالفصول أربعة ، والطبائع والعناصر والكتب والاركان ، والزوجات ، وأشهر العدة ، ودنانير الجزية ، والاشهر الحرم ، وأشهر الهدنة ، وأيام الاقامة وشبهها في الاعيان ، ثم خلاصة جده وهزله في خاتمة الكتاب بعد ما ذكر ، إذ الدين النصيحة كما هو مشتهر ، ثم إذا ذكر الهوى ، فانما لكل امرئ ما نوى ، فرؤية الرفيع والوضيع من الاقوال والافعال ، كرؤية التقى والردى من النساء والرجال ، وانما امتازت الاشياء بأضدادها ، وقويت الجيوش والطلائع بامدادها ، فعلى الانسان أن يسعى لنفعه المشكور ، وليس عليه أن تساعده الدهور ، على أن الانسان إذا خلصت منه الفطرة ، ففي كل شيء له فكرة وعبرة ، وهذا جهد المقل لضيافة الحبيب ، وعلى الله توكلت وإليه أنيب . . . . الخ .

ثم إذا تفسحت داخل هذا البستان اللطيف ، فانك لا تنتقل من جميل إلا إلى جميل ، ولا تترك ظريفا إلا إلى ظريف .

فبينما أنت أمام مجالس وعظ وإرشاد ، تقرأ فيها كتب الزهد والورع ، إذا بك إزاء مجالس الطرب والسلوان ، تموج بالحور والغلمان ، والهوى يلعب بالنفوس ، والنجوم تدور بالكؤوس .

ثم يتذكر صاحبنا ثقافته الدينية ، أو تطير نشوة الفتوة والشباب ، ويخشى أن يسوء ظنك به فينبهك المرة بعد الاخرى إلى أن كل ما في ديوانه مما لا يجوز شرعا إنما هو مذكور على وجه الملحة فقط .

ثم نزيد قليلا فإذا بنا نجد الفقيه الاديب ، قد صار أستاذا ماهرا في لعب الكارطة ، يسرد لك أنواعها سردا ويعرفك بكيفية لعبها تعريف مطلع خبير ، ثم يترقى فياتيك بفصل عن الشطرنج وأصله وتاريخه وترتيبه ونوادره وما قال الناس فيه ثم يصير إماماً مجتهداً في الموضوع فياتينا بلعب شطرنجي قد ابتكره هو ابتكاراً وأخرجه للوجود إخراجا لاول مرة في شعبان عام 1204 .

وقد وضع للعبه المبتكر اسما خاصا هو « الوطيس » وهو متكون من رقعة الشطرنج نفسها ، ومن بيادقه عينها ، إلا أن ترتيبه مخالف للعب الشطرنج الذي نعرفه .

والامام المجتهد المبتكر هنا يعدد لنا مزايا الترتيب الذي اخترعه ، ويقارن بينه وبين ما هو معهود لدى الناس ، ولكنه ينصف في الموضوع إنصافا .

ثم بينما تجد صاحبنا يحمل باقة من عيون الادب العربي الفصيح ، إذا بك تجده سابحا في أنهار الشعر الملحون ، ما بين موشحات أندلسية ومغربية ، وبين قصائد شيوخ الكلام ، الغارقين في بحار الغرام .

ثم هذا فصل في الكلام على الخيل ومتعلقاتها ، وفصل آخر في الالحان والطرب الاندلسي وأصوله ونغماته وأصحابها وأوقاتها وطبائعها .

وهذا فصل في الكلام على النجوم والفلك ، وفيه فوائد وقواعد ، ثم نجد ما قيل في مختلف البلدان ، من أوصاف مذمومة أو حسان ، وهذه مدينة القصر الكبير التي أكرمني أحد فضلائها بهذا الكتاب ، من المروءة أن أثبت هنا بعض ما قيل فيها نقلا عن هذا الكتاب نفسه ، قال فيه سيدي عمر الحراق جد شرفائنا الحراقيين التطوانيين :

خبرت بقاع الارض شرقا ومغربا وإني بها من كل من قد درى أدرى
فمن سره أن ينظر الجنة التي أعدت لاهل الخير فلينظر القصرا

وقال فيه أيضا :

إذا ما رأيت القصر والشمس طائحة ونور كما الابريز غطى بطائحه
فما نظرت عيناك للحسن رونقا ولا شم أنف منك للطيب رائحة

وقال فيه ابن زاكور العلامة الاديب الفاسي .

أبى القصر إلا أن يحوز العلا قسراً وأن يبتني المجد التليد به قصرا
فان فاته الماء المفجر من صفا ففيه مياه الفضل قد فجرت بحرا

ثم هذه أنواع المكاتبات وحرفة الكتابة وواجبات الكتاب وكيفية صناعة أنواع كثيرة من المداد ثم أنواع الارقام الحسابية ، والاجوبة المسكتة ، وأمثال عامية ، وأخبار المتنبئين والطفيليين والثقلاء والمغفلين الخ .

وهذه قواعد صحية ومنافع بعض الماكولات وضرر الاخرى .

ويختم صاحبنا ديوانه بحكم ووصايا ، ومن أحسن ما نقله في هذا الموضوع هذه الارشادات :

« اذا أردت حسن المعيشة ، فالق صديقك وعدوك بحسن الرضا من غير ذلة ولا هيبة منهم ، وتأخر من غير كبر ، وتواضع من غير مذلة ، وكن من جميع أمورك في وسطها ، فكلا طرفي كل الامور ذميم ، ولا تنظر في عطفيك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تفتخر في الجماعات ، واذا جلست فلا تستوفز ، وتحفظ من تشبيك أصابعك ، والعبث

بلحيتك وخاتمك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال أصبعك في أنفك ، وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك ، وكثرة التمطي في وجوه الناس ، وفي الصلاة وغيرها ، وليكن مجلسك هديا ، وحديثك منظما مرتبا ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن يحدثك به من غير اظهار تعجب مفرط ، ولا تسئله إعادته ، واسكت عن المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك وجاريتك ، ولا بشعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك ، ولا تتصنع بصنع المرأة في التزين ، وتوق الكحل والاسراف في الدهن ، ولا تلح في الحاجات ، ولا تشجع أحداً على الظلم ، ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم بمقدار مالك ، فإنهم إن رأوه قليلا هنت عندهم ، وإن رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم ، واجفهم من غير عنف ، ولن لهم من غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك ، وإذا خاصمت فتوق وتحفظ من جهلك ، وتجنب عجلتك ، وتفكر في حجتك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك ، ولا تجث على ركبتك ، وإذا هدأ غضبك تكلم ، وإذا قربك السلطان فكن منه على أتقن بيان ، وإن استرسل إليك فلا تامن انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبى ، وكلمه بما يشتهي ، ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله وولده ، سقطة لا تنعش ، وزلة لا تقال ، وإياك وصديق العافية ، فإنه أعدى الاعداء ، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ، وإذا جلست فالبداية بالتسليم هو الادب ، وترك التخطي لمن سبق في الجلوس حيث اتسع المكان ، يكون أقرب إلى التواضع ، وأن تخص بالسلام من قرب منك عند الجلوس ، ولا تجلس على الطريق ، وإذا جلست فأدبه غض البصر ، ونصرة المظلوم ، وإغاثة الملهوف ، وعون الضعيف ، وإرشاد الضال ، ورد السلام ، وإعطاء السائل ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . . .

ولا تجالس الملوك ، فإن فعلت فأدبه ترك الغيبة ، ومجانبة الكذب ، وصيانة السر ، وقلة الحوائج ، وتهذيب الالفاظ ، والاعراب في الخطاب ، والمذاكرة باخلاق الملوك ، وقلة المداعبة ، وكثرة الحذر منها وإن ظهرت المودة ، ولا تتخط بحضرته ، ولا تتكئ ولا تخلل عنده أسنانك بعد الاكل .

وعلى الملك أن يتحمل كل شيء إلا إفشاء السر ، والقدح في الملك والتعرض للحرام .

ولا تجالس العامة، فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم ، وترك الاصغاء إلى أراجيفهم ، والتغافل عما جرى من سوء ألفاظهم ، وقلة اللقاء بهم مع الحاجة إليهم .

وإياك أن تمازح لئيما أو كريما ، فان الكريم يحقد عليك ، واللئيم يجرؤ عليك . . . . الخ .

من شعره

ثم لا ننسى أن نذكر أن صاحبنا قد حاول أن يقول الشعر ، واسمع إن شئت قوله :

زر من تحب ولا تخشى عواذله — إن المحب لمن يهواه زوار
وقل وصل ثم سل عزاً وتكرمة — فما خلو بمحبوب الحشا عار

وقوله :

إذا ما عجزت عن عدو فداره — ومازحه إن المزح فيه وفاق
أرى النار بالماء الذي هو ضدها — تفيد نضاجا والقياس وفاق

وقوله :

لما رأيت التقى قد عز في زمن — قلت نصيحته طويت أعذاري
وجئت مستشهداً بقول من ظهرت — أعلام نصح له من دون أستار
الناس في غفلة عما يراد بهم — كأنهم غنم في دار جزار

وله في شاذن اسمه عبد الرحيم :

بعبد الرحيم شغفت وكم — له من قتيل بنار الغرام
لقد ملأ القلب نور بهاه — وصال عليه بدون حسام

كما أنه أثبت في ديوانه عدة منظومات له في عدة مناسبات .

منها أنه لما قرأ الابيات المشهورة للشيخ ابن غازي التي أولها قد فتح الغرب الخ. مع تذييلات مختلفة عليها ، نظم رجزاً فيه نحو أربعين بيتا في تاريخ وفيات بعض المشاهير وقد جاء فيه بعض المقدمة قوله :

هذا وذكر الصالحين خير — لذاك جئتكم بما يسر

وقال في ءاخره :

عبد الالاه بن علي نظما — شطير لقبه فى الانتما

وكان نظمه لذلك عام 1213 .

وقبل أن يختم صاحبنا كتابه يودعنا باشعار كثيرة ومنظومات متعددة .

منها قول بعضهم :

ثمانية تجري على المرء دائما — ولا بد للانسان يلقى الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة — وعسر ويسر ثم سقم وعافية

وقول ءاخر :

وما هي إلا ليلة ثم يومها — ويوم إلى يوم وشهر إلى شهر
مطايا يقربن الجديد إلى البلا — ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر

وقول ءاخر :

تفردت بالآداب حتى ألفتها — فما لي سوى أخبارهن أنيس

ثم يلتفت لديوانه المحتوي على عصارة ذهنه ، وخلاصة أدبه وعلمه ، فينشد فيه :

أنيس فؤادي منذ عشرين حجة — وصيقل ذهني والمفرج عن همي
وعار على مثلي إعارة مثله — فيا ليته أن لا يفارقه كمي

وقول آخر :

هذا كتاب لو يباع بوزنه — ذهباً لكان البائع المغبونا
أو ما من الخسران أني آخذ — ذهباً ومعطى لؤلؤاً مكنونا

وفي ءاخر الكتاب يقول :

هنا انتهى ديواننا النبيل ، المترجم بنضار الاصيل ، على بساط الخليل ، بحمد الله وحسن عونه . . .

ويابى اعتناؤه إلا أن يعرفنا بأن ديوانه أو كناشه ليس فريداً في بابه ، بل ذكر أن رفقاءه أيضا كانت لهم كنانيش مثله ، فهذا حبنا علي بن عبد السلام بن ريسون له كناشه ، وخلنا المامون أفيلال له كناشه أيضا ، وهناك كناش صاحبنا أحمد غيلان ، وكناش رفيقنا أحمد بن أحمد حجاج ، وكنانيش ابن ادريس وشهبون والعمارتي . . .

ولكن أين أعيان هذه الكنانيش وأين أخبارها .

ألا قاتل الله الجهل والاهمال ، والحروب والاهوال ، فكم أضاعت من فوائد ، وكم وأدت من فرائد ، والامر لله .

هذا وقد وقفت أيضا على مجموع ءاخر يحتوي على نحو ثلاثمائة صفحة وهو مكتوب بخط المترجم رحمه الله ، ومن جملة ما فيه ، طبقات شيخه ابن عجيبة ، وقد نسخها عام 1208 ، أي قبل وفاة مؤلفها بست عشرة سنة .

وفيه أيضا شرح السيوطي للنقاية ، وقد كتب الناسخ في آخره : على يد كاتبه لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده ، عبد الله بن على بن طاهر . . . شطير الحسني . . . عام 1207 .

وفيه أيضا خطبة كتاب يظهر أن المترجم شرع في تأليفه ولعل المنية عاجلته قبل الفراغ منه ، وهذه فاتحة تلك الخطبة :

« الحمد لله رب الملائكة والجنة والناس ، والصلاة على من أضاء به الكون دون التباس ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبراس ، وعلى ءاله وأصحابه وتابعيه إلى أن توزن الاعمال بالقسطاس ، هذا ما مست اليه الحاجة لدفع الوسواس ، من فروع الادارسة المطهرين في المبنى والاساس ، على اختلاف أسباطهم باعتبار الاصول في الاقتباس ، لما في ذلك من أسباب المودة في القربى والملاذ بأشرف الاجناس ، مما دونه بعض العلماء الاذكياء النبلاء الاكياس . . . . الخ الخطبة .

ثم أثبت المقدمة ثم شرع في المقصد ، وكتب من ذلك نحو خمس صفحات ، وفي ءاخر هذا الكناش ما يدل على أنه استمر في الكتابة به إلى سنة 1213 .

وقد كان هذا الكناش في ملك الفقيه الوزير السيد محمد بن عبد الله الصفار ، ثم صار في ملك الفقيه القاضي السيد محمد بن علي عزيمان ، وهو الآن في ملك بعض حفدته والدوام لله .

هذا وإني لم أقف على تاريخ وفاة المترجم رحمه الله بالتدقيق ، ووجدت بعض الشهادات بخطه وعلامته العدلية مؤرخة بسنة 1214 .

كما وقفت له على كتابة أخرى بخطه وقد أرخها بثامن وعشري ذي القعدة الحرام عام 1214 .

ثم وقفت له على شهادة كتبها بتاريخ 29 محرم عام 1215 .

وأظن أن وفاته كانت بعد التاريخ المذكور بقليل، أي في وباء سنة 1215، فرحمة الله عليه من أديب لبيب .

الفقيه سيدي عبد الجليل البقال 1219

هذا السيد ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه النبيه العالم النزيه .

وذكر أنه كان مدرسا عدلا مفتيا ، وأنه قرأ عليه المرشد المعين لابن عاشر ، ورسالة ابن أبي زيد وغير ذلك ، ولم يذكر تاريخ وفاته .

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني ونقل كلام السكيرج وزاد أنه وقف على رسوم عدلية له من سنة 1186 فما بعد .

(قلت) والمترجم رحمه الله كان أحد الفقهاء الذين حملوا راية المعارضة للشيخ العالم الصوفي أبي العباس ابن عجيبة والجماعة الصوفية الذين وردوا على تطوان من فاس وغيرها فسجنوا وعذبوا ، وهو أيضا الذي زار فقيههم السيد أحمد الكوهن بالسجن وأنكر عليه حاله ولباسه الصوفي ودعاه للرجوع عن تصوفه والاشهاد على نفسه بذلك لينجو من الضرب والامتحان والعذاب ويخرج من السجن ويستريح الخ .

وقد وجدت في بعض التقاييد أن المترجم رحمه دخل الجامع الكبير بتطوان وتوضأ وجلس بصحن الجامع قبل صلاة الجمعة من يوم 16 ربيع الثاني سنة 1219 ، فشعر بوجع فحمل إلى داره ثم توفي بعد ذلك رحمه الله .

الفقيه السيد محمد بن الهاشمي محرش 1220

هذا الفقيه الخير قد ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه الصفي الخير الدين .

وذكر أنه نشأ نشأة صالحة ، وركب التقوى طريقا واضحة ، وجمع بين الحسب والنسب ، والعلم والدين ، وكان مدرسا وقوراً وله اليد الطولى في الفقه والنحو وغيرهما الخ .

ووصفه تلميذه الفقيه العدل سيدي محمد بن الهاشمي أفيلال بانه العلامة المحقق المشارك الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد بن الهاشمي محراش الغماري ثم التطواني .

وذكر أن وفاته كانت ظهر يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان عام 1220 رحمه الله .

« قلت » وكان رحمه الله جميل الخط ، وفي خزانتي نسخة من كتاب الابريز بخطه .

وقد ذكر أنه فرغ من كتابته في سادس عشر جمدى الاولى عام 1204 ، وكتب اسمه هكذا ، محمد محرش الحسني . . .

الفقيه السيد محمد بن عبد الهادي مدينه

هو الفقيه المسند السيد محمد (بالفتح) ابن الحاج عبد الهادي ابن الحاج علي مدينة .

ولم أقف على ترجمة السيد محمد هذا ، وإنما وجدت اسمه كرجل من رجال الاسناد .

ففي فهرس الفهارس (1) للعلامة الحافظ الشيخ عبد الحي الكتاني في ترجمة الشيخ أبى العباس أحمد الصباغ الاسكندري ، أن علامة تونس الشيخ ابراهيم الرياحي يروي ثبت الشيخ الصباغ المذكور عن الشيخ محمد الطاهر بن المير السلوي عن أبي عبد الله محمد بن الهادي مدينه به عرف التطواني (المترجم) عن الشيخين عبد الوهاب عفيفي ومحمد بن عيسى الزهار عن مؤلفه ، ومثله في رياض الجنة للعلامة القاضي السيد عبد الحفيظ الفاسي (2) في الاجازة التي كتبها له الشيخ محمد بن يوسف المفتي الحنفي بتونس ، وفي ترجمة القاضي الشيخ الطيب النيفر التونسي (3) .

ثم ذكر أن مدينة المذكور يروي عاليا عن أبي الحسن علي السقاط الفاسي المتوفى بمصر سنة 1183 رحم الله الجميع ، ولم أقف على تاريخ وفاة المترجم ، وأقدر أنها كانت في العقد الاول أو الثاني من هذا القرن والله أعلم .

الفقيه المدرس السيد عبد العزيز التبين (4)

هذا السيد ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه العالم الخير السري .

وذكر أنه من سلالة الولي الكبير العالم الشهير الشيخ عبد القادر التبين ، صاحب الضريح المشهور خارج باب العقلة .

ثم ذكر أنه قرأ عليه ألفية ابن مالك والمقنع والقلصادي وغير ذلك . ولم يذكر تاريخ وفاته ، ولعلها كانت في العقد الثاني من هذا القرن والله أعلم .

---

1) فهرس الفهارس ج 2 ص 108 .

2) رياض الجنة ج 1 ص 98 .

3) رياض الجنة ج 2 ص 35 .

4) التبين ، بفتح التاء وكسر الباء مشددة .

سيدي بن كيران 1222

هذا السيد هو صاحب القبة المشهورة قرب خندق المرس خارج باب المقابر.

وقد ذكره معاصره أبو محمد السكيرج وحكى في تاريخه أنه زاره مرة صحبة قاضي تطوان الشريف سيدي الطيب بن رحمون، وكان المترجم نازلا في قمة جبل درسة (المطل على تطوان) فلما وصل إليه القاضي المذكور، قال له المترجم، مرحبا بابن رسول الله، را البرنوسي قادم من رؤوس الجبال، را العبد السلاوي يتبعه، السلاوي يقتل أشعاش وأشعاش يقتل السلاوي.

قال السكيرج، فما لبثنا أن أعفي القاضي ابن رحمون وولي مكانه القاضي البرنوسي، وعزل القائد أشعاش وخلفه القائد السلاوي، ثم بعد مدة عاد القائد أشعاش لمنصبه بعد عزل السلاوي، وكان ذلك من الغرابة بمكان.

وقد ترجم لهذا السيد أيضا أستاذنا الرهوني، ووصفه بالولي الصالح، المجذوب السائح، سيدي محمد بن كيران.

وذكر أنه يقال إن أصله من فاس وأن المثري الشهير بتطوان الحاج محمد بجة كان يخدم السيد المذكور، وأنه هو الذي بنى قبته ودفن معه فيها.

وقد وجدت في بعض التقاييد التي لم أعرف كاتبها ما نصه:

« توفي الولي الصالح سيدي محمد بن كيران الفاسي التطواني في 7 ربيع الثاني عام 1222 » والله أعلم.

العلامة الشيخ أبو العباس أحمد ابن عجيبة 1224

هو الفقيه الصالح العلامة المدرس المؤلف الشيخ المربي أبو العباس أحمد بن محمد ابن عجيبة ، كان رحمه الله مثال الجد والاجتهاد والنشاط في ميدان العلم والعمل والاخلاص .

وقد ترجم له معاصره وتلميذه أبو محمد السكيرج بقوله :

« ومنهم الفقيه العلامة الدراكة الفهامة ولي الله تعالى سيدي أحمد بن سيدي محمد ابن عجيبة الحسني ، هو صدر من صدور أئمة الدين ، وكبير من كبار الاولياء المهتدين ، وقدوة في أفراد العلماء الزاهدين ، حامل لواء المعارف ، حافظ للكتاب والسنة ، محافظ على متابعة الشريعة والملة ، قائم بأعباء صلاح الامة ، باسط للضعفاء وذوي الحاجات جناح الرأفة والرحمة ، كثير الصيام والقيام ، دائم الخلوات ، مجاب الدعوات ، وقور صموت هين معظم ، وله في التصوف الباع الطويل . . . الخ » .

وذكره العلامة الشيخ عبد القادر الكوهن الفاسي في فهرسته ووصفه بالفقيه الارشد ، العلامة الاسعد ، العارف بالله . . . الخ .

وترجم له شيخنا أبو العباس الرهوني ووصفه بقوله :

العارف بالله تعالى ، الولي الصالح ، العلامة الناصح ، المشارك في سائر الفنون ، المختص من مولاه بعطاء غير ممنون ، الشريف الاسعد ، الزاهد الاصعد ، مولانا أحمد بن محمد بن عجيبة التطواني صاحب التآليف العديدة ، والفضائل المديدة ، مربي السالكين ، ومنجي الهالكين ، الواصل الموصل ، الحاصل المحصل . . . الخ .

وترجم له الشيخ عبد الحي الكتاني (1) ووصفه بالعالم العارف ، وذكر بعض تآليفه وروايته وفهرسته .

1) فهرس الفهارس ج 2 ص 228 .

مولده عام 1160

ذكر رحمه عن نفسه أن ولادته كانت في زمن نزول المستضيء على تطوان سنة ستين أو إحدى وستين، ومن المعلوم أن حصار المستضيء لتطوان، كان أواسط سنة 1160 هـ، فولادته كانت سنة 1160 في مدشر «اعجيبش» من قبيلة الحوز (1) التي تقع مدينة تطوان في سفح أحد جبالها.

والمدشر المذكور، به ضريح الشيخ عبد الله ابن عجيبة، الولي الصالح الذي هاجر إليه من سبتة سنة 807 هـ وهو جد جميع أولاد ابن عجيبة.

حفظه للقرآن والمتون العلمية في صغره

ذكر رحمه الله أنه حفظ القرآن الكريم بعدة روايات، وأنه كان كثير التلاوة لكلام الله العزيز حتى إنه كان يختمه في الشهر الواحد أربع عشرة مرة، وقد ألقى الله في قلبه محبة العلم من صغره، فقرأ المنظومة القرطبية قبل ختم الختمة الاولى من القرآن، ثم حفظ متون الاجرومية والالفية والمرشد المعين ونظم الخراز، وجزءاً من حرز الاماني، ثم شرع في قراءة العلم الشريف وقضى في ذلك نحو العامين بمدينة القصر الكبير، بعد أن ابث مشتغلا بقراءة القرآن نحو ثمانية عشر عاما، وقد شرع في قراءة العلم عند ما كان عمره ثمان عشرة أو تسع عشرة سنة.

دراسته بتطوان وشيوخه بها

ذكر رحمه الله أن والده كان قد قدم به على تطوان بقصد زيارة علمائها وهو صغير السن، فلقي بها الشيخ أحمد الورزيزي العلامة الشهير، المتوفى بتطوان سنة 1179 هـ، وأن انتقاله إلى تطوان بقصد الاستقرار بها ودراسة العلم على شيوخها، كان عام 1180 - أو - 1181.

---

1) قبيلة الحوز، هي إحدى القبائل الجبلية الواقعة بين مدينتي تطوان وسبتة، والارض التي عليها مدينة تطوان وضواحيها، تعد قطعة من هذه القبيلة، وقبيلة الحوز قسمان، الحوز البحري، وهو المتصل بالبحر الابيض المتوسط، ومنه مداشر بني سالم، والسرور، والكوف، ووادي الزرجون الخ.

والحوز الصديني، وتفصله الجبال عن البحر، ومنه مداشر بني عمران، والعلوية، واعجيبش والريحانة الخ.

ومن المعروف أنه توجد في المغرب قبايل أخرى اسمها «الحوز» أيضا.

وأنه قرأ العلم بهذه المدينة على الفقيهين السيد أحمد الرشي والسيد عبد الكريم ابن قريش ، وقد حلاهما بالفقيهين العالمين المدرسين ، وذكر أنه لازمهما بضع سنوات.

وأنه قرأ على الرشي ألفية ابن مالك ومختصر الشيخ خليل والسلم ومختصر السنوسي في المنطق ، والصغرى والكبرى والمقنع والخزرجية .

كما قرأ على ابن قريش ، التفسير وصحيح البخاري مراراً ، وصحيح مسلم ومختصر خليل مراراً ، ورسالة ابن أبي زيد وتحفة ابن عاصم والزقاقية والالفية مراراً ، والموضح ولامية الافعال مراراً ، وجزءاً من المغني والصغرى والكبرى ومختصر السنوسي والسلم والتلخيص وجمع الجوامع ، والشفا والهمزية .

وقرأ بتطوان أيضا على العلامة محمد بن على الورزازي تلخيص المفتاح وجمع الجوامع وبعض الالفية والمختصر .

كما قرأ بها على الفقيه النحوي السيد محمد العباس ألفية ابن مالك وتوضيح ابن هشام قراءة تحقيق .

وقرأ على القاضي عبد السلام بن قريش التفسير وشمائل الترمذي ، وحضر بعض دروس الرجل الصالح السيد محمد غيلان والعلامة الخير السيد علي شطير .

وقرأ على الفقيه العلامة السيد محمد بن الحسن الجنوي ، مختصر خليل والتلخيص وجمع الجوامع والورقات بشرح الحطاب وصحيح البخاري مرتين ، وجزءاً من صحيح مسلم والرسالة والحكم وبعض التفسير وقواعد الشيخ زروق وجزءاً من نصيحته .

قراءته للعلم بفاس

ذكر رحمه الله أنه لما توفي العلامة الشيخ محمد بن الحسن الجنوي (المتوفى عام 1200) ارتحل من تطوان إلى فاس وقرأ بها على الشيخ التاودي بن سودة ، والشيخ محمد بنيس ، والشيخ الطيب بن كيران وغيرهم .

ويلاحظ أن عمره في ذلك التاريخ كان قد بلغ نحو أربعين عاما ، وأنه كان قد تزوج وألف عدة كتب، منها شرح الوظيفة الزروقية ، وشرح الهمزية، والحزب الكبير للشاذلي وشرح تائية الجعيذي الخ .

أسانيده وإجازاته

يروي الحديث عن الشيخ التاودي ابن سودة عن الشيخ محمد جسوس عن عمه الشيخ عبد السلام جسوس عن الشيخ عبد القادر الفاسي بأسانيده.

ويروي الفقه المالكي عن الشيخ محمد بن الحسن الجنوي والشيخ عبد الكريم ابن قريش، كلاهما عن الشيخ التاودي ابن سودة عن الشيخ محمد جسوس عن الشيخ محمد المسناوي عن الشيخ محمد ابن الحاج عن الشيخ عبد القادر الفاسي باسانيده إلى الامام مالك رحم الله الجميع.

وقد أجازه الشيخ التاودي والشيخ بنيس والشيخ محمد بن علي الورزازي.

وأرى من تمام الفائدة، أن أثبت هنا نص ما وقفت عليه من ذلك:

فهذا نص إجازة الشيخ التاودي نقلا لها من خطه رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النور الحق المبين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فيقول أفقر العبيد، وأحوجهم إلى رحمة مولاه الغني الحميد، عبد الله سبحانه التاودي بن الطالب بن سودة المري نسبا، الفاسي منشئا وداراً، إن الفقيه الناسك، العالم السالك، أبا العباس سيدي أحمد بن عجيبة، المذكور في آخر هذا المجلد، (1) سألني أن أجيزه فيما سمعه مني أو أخذ عني، وفي غيره، ورغب إلي في أن أكتب له على هذا الكتاب رجاء لبركته فأجبت رغبته، ولبيت دعوته إسعافا لا إنصافا، فلست بأهل أن أجيز، وإنما قضى الوقت برقي الدون مرقى الاكابر، أجزت الفقيه المذكور في جميع ما يجوز لي وعني روايته من مؤلف وموضوع، ومقرو ومسموع، إجازة تامة مطلقة عامة، بشرطها المعتبر، وقيدها المقرر، عند أهل الحديث والاثر، حسبما حصل لي ذلك والحمد لله عن جمع كثير، وجم غفير، من العلماء الاعلام، ومشايخ الاسلام، ما بين قراءة وسماع، ومناولة، وإجازة ووجادة ومراسلة، والله تعالى يكون لنا وله، ويبلغ كلا منا من خير الدارين ما أمله، انتهى.

---

1) هذه الاجازة كتبها الشيخ التاودي للشيخ ابن عجيبة في ورقة من أحد المجلدات العلمية.

وإجازة الشيخ محمد بنيس هذا نصها نقلا لها من خطه أيضا .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أحمد الله سبحانه وتعلى على متواتر إحسانه ، وأشكره جل وعلا على متواصل إنعامه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة صحيح الاعتقاد ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله عظيم الجاه يوم يقوم الاشهاد ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله أولي النهى والاعتماد ، ما شرفت هذه الامة المحمدية بعلو الاسناد .

هذا وإني قد أسعفت الفقيه النجيب ، العلامة الاريب ، الماجد النبيل ، ذا الفهم والذكاء والتحصيل ، والشيم المستحسنة الغريبة العجيبة ، سيدي أحمد بن سيدي محمد ابن عجيبة ، متع الله بحياته الاسلام والمسلمين ، وأدام النفع به بفضل الله أكرم الاكرمين ، فيما رغب فيه من الاجازة ، لا لكوني أهلا لذلك ، بل لكونه أهلا للمزيد من الكمالات ، بالتنزل للارتقاءات ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ، رب مبلغ أوعى من سامع ، فلم يشترط استجماع الشروط ، بل التبليغ على وفق السماع ، فصارت الاجازة التي هي نوع من التبليغ من القاصر للأوعى ، أمراً ذا اتساع ، فلذا أجزت الفقيه المذكور ، إجازة عامة شاملة في جميع ما يجوز لي وعني روايته ، من مقرو ومسموع ومجاز ، حسبما أخذنا ذلك عن عدة من شيوخنا المشارقة والمغاربة يضيق تقصيهم هنا ، وقد سردنا أحاديث من كتب عديدة ، السنة وغيرها ، وقرأنا فرائض المختصر ونبذة من تسهيل ابن مالك ، جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم ، وسببا في الفوز بالمقر الاسنى في دار النعيم ، بجاه مولانا محمد المصطفى الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وكتب عبيد ربه محمد بن أحمد بن محمد بنيس الفاسي كان الله له وليا ونصيراً ولجميع المسلمين ، وبتاريخ 12 شوال عام 1203 هـ.

استقراره بتطوان وتدريسه لمختلف العلوم بها

ذكر رحمه الله أنه لبث مشتغلا بتدريس العلوم ستة عشر عاما، وأن تدريسه بتطوان، كان في عدد مساجدها وزواياها.

وقد ذكر أسماء سبعة منها وهي:

جامع القصبة، وجامع الجعيدي (يعني به جامع العيون) ومسجد الساقية الفوقية، وزوايا، سيدي السعيدي، وسيدي بن ناصر، وسيدي بن مرزوق، وسيدي حنصال..

وذكر المؤرخ السكيرج، أنه رافقه في القراءة على العالمين المدرسين، عبد الكريم بن قريش ومحمد التلمساني.

وأنه قرأ عليه رسالة ابن أبى زيد القيرواني، ومرشد ابن عاشر، وألفية ابن مالك، وبردة البوصيري، ونصيحة زروق، الخ.

ومن الطبيعي أن تكون العلوم والكتب التي كان يدرسها مع طلبة العلم بتطوان قبل انغماسه في بحر التصوف، هي نفس العلوم والكتب التي قرأها على شيوخه بتطوان وفاس وغيرهما.

وقد ذكرنا ذلك عند الكلام على أشياخه وما قرأه عليهم.

تآليفه

ذكر معاصره أبو محمد سكيرج، أن له تآليف مفيدة وتقاييد حسنة، الخ.

وذكر الشيخ عبد القادر الكوهن الفاسي أن له من التآليف ما ينيف على الثلاثين، وجلها في التصوف.

ويلاحظ أن بعض العلماء كانوا يتساهلون في اسم تاليف، فيطلقونه على المؤلف الكبير، وعلى التقييد الصغير او البحث المحتوي على بضع صفحات، ومن هذا القبيل كتب الشيخ ابن عجيبة رحمه الله.

وقد ذكر المترجم نفسه في فهرسته، تآليفه كلها، ومن أهمها البحر المديد، وأزهار البستان.

تفسير القرآن الكريم

هو أهم وأكبر تآليفه رحمه الله، وقد قال عنه في فهرسته ما نصه :

ثم فسرت كتاب الله العزيز من أوله إلى آخره في أربع مجلدات كبيرة، جمعت فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، سميته « البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد » وقد وقفت عليه مخطوطا في أربعة مجلدات ضخام، وقد استهله رحمه الله بقوله :

نحمدك يامن تجلى لعباده في كلامه، بكمال بهائه وجماله، وفتق ألسنة العلماء النحارير لاستخراج درره ولئاليه، وفجر قلوبهم بينابيع الحكم المؤيدة بأصوله ومبانيه ... إلى أن قال :

وبعد فان علم تفسير القرآن، من أجل العلوم، وأفضل ما تنفق فيه نتائج الافكار وقرائح الفهوم، ولكن لا يتقدم لهذا الخطر الكبير، إلا العالم النحرير، الذي رسخت أقدامه في العلوم الظاهرة، وجالت أفكاره في معاني القرآن الباهرة، بعد أن تضلع من العلم الظاهر عربية وتصريفا، ولغة وبيانا وفقها وحديثا وتاريخا، يكون أخذ ذلك من أفواه الرجال، ثم غاص في علم التصوف ذوقا وحالا ومقاما بصحبة أهل الاذواق من أهل الكمال، وإلا فسكوته عن هذا الامر العظيم أسلم، واشتغاله بما يقدر عليه من علوم الشريعة الظاهرة أتم. وأعلم أن القرآن العظيم، له ظاهر لاهل الظاهر، وباطن لاهل الباطن، وتفسير أهل الباطن لا يذوقه إلا أهل الباطن لا يفهمه غيرهم، ولا يذوقه سواهم، ولا يصح ذكره إلا بعد تقرير الظاهر .... إلى أن قال :

هذا وقد ندبني شيخي العارف الرباني سيدي محمد البزيدي الحسني، وكذا شيخه القطب الجامع، شيخ المشائخ، مولاي العربي الدرقاوي الحسني، أن أضع تفسيرا يكون جامعا بين تفسير أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، فأجبت سؤالهم، وأسعفت طلبتهم، رجاء أن يعم به الانتفاع، ويكون ممتعا للقلوب والاسماع، مقدما في كل آية ما يتعلق بمهم العربية واللغة، ثم بمعاني الالفاظ الظاهرة، ثم بالاشارات الباطنة، متوسطا في ذلك بين الاطناب والاختصار، منتظرا في ذلك كله ما يفتح علي من خزائن الكريم الغفار، وسميته « البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد » نسئل الله تعلى أن يكسوه جلباب القبول، وأن يبلغ فيه القصد والمامول.

والمترجم رحمه الله سلك في تفسيره هذا كما قال، طريقة أهل الاشارة من الصوفية، فهو بعد أن يفسر الآية تفسيرا عاديا يقول : الاشارة.

ثم ياتي بما يناسب الآية من إشارات الصوفية ، ودونك نموذجا من ذلك :

قال بعد تفسير قوله تعلى ، « يايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا » الخ. ما نصه : الاشارة .

اعلم أن الحق تعلى جعل للبشرية قوتا ونعيما تتنعم به ، وجعل للروح قوتا ونعيما تتلذذ به ، فقوت البشرية الطعام والشراب ، ونعيمها الملابس والمناكح والمراكب ، وقوت الروح اليقين والعلوم والانوار ، ونعيمها الشهود والاستبصار ، والترقي في المعارف والاسرار ، فكما أن النفس تاكل مما في الارض حلالا طيبا ، كذلك الروح تاكل مما في الارض حلالا طيبا ، إلا أن أكل النفس حسي ، وأكل الروح معنوي ، وهو التفكر والاعتبار ، والشهود والاستنصار ، وفي ذلك يقول المجذوب رضي الله عنه :

الخلق نوار وانا رعيت فيهم

هم الحجب الاكبر والمدخل فيهم

وكان شيخ شيوخنا سيدي علي (1) رضي الله عنه يقول :

من أراد أن يذوق ، فليذهب إلى السوق ، وذلك لانه مظنة الزحام ، وفيه عند الاقوياء الربح التام ، فيقال لهم أيها الناس الكاملون في الانسانية كلوا مما في الارض بأرواحكم وأسراركم شهوداً واعتباراً ، حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، فتقفوا مع ظواهر الاكوان ، فتحجبون عن الشهود والعيان فانه لكم في صورة العدو المبين ، لكنه في الحقيقة يحوشكم الى الرسوخ والتمكين ، لانه كلما حرككم بنزغه ، فزعتم إلى ربكم في دفعه ، حتى يمكنكم من حضرته ، فانه يامركم بما يسوء وجوهكم ، ويغم قلوبكم ، من مفارقة شهود الاحباب ، والوقوف من وراء الحجاب ، وأن تقولوا على الله ما ليس بحق ولا صواب ، كثبوت السوى ، أو الالتفات إلى الهوى ، والله تعلى أعلم .

وهذا المجلد (الاول) يقع في 478 صفحة كبيرة ، في كل صفحة 37 سطراً ، وقد وصل فيه إلى قوله تعلى « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، إن الله بكل شيء عليم » وذلك آخر السورة الثامنة (الانفال) أي إن فيه تفسير ثمانية عشر حزبا ونصف حزب على الاصطلاح المغربي ، وقد جاء في آخره ما نصه :

« هذا آخر السفر الاول من « البحر المديد ، في تفسير القرءان المجيد » ووافق الفراغ من تبييضه سادس عشر جمدى الاولى سنة ست عشرة ومائتين وألف .

---

1) يعني الشيخ عليا الجمل رحمه الله .

أما المجلد الثاني ، فيبتدئ من أول سورة (التوبة) « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » وينتهي في قوله تعلى وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الرحمين » وذلك آخر سورة (المومنون) وقد فرغ من تبييضه عشية يوم الثلاثاء سابع عشر صفر عام 1218 هـ .

والمجلد الثالث ، يبتدئ من أول سورة (النور) سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها ءايات بينات لعلكم تذكرون » وينتهي في قوله تعلى « ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ، ألا إنه بكل شيء محيط » وذلك هو آخر سورة (فصلت) وقد فرغ من تبييضه يوم الاربعاء تاسع رمضان عام 1219 .

والمجلد الرابع ، يبتدئ من أول سورة (الشورى) « حم عسق ، كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم » وينتهي في آخر سورة (الناس) وهي آخر كتاب الله العزيز .

وقد جاء في آخره أنه فرغ من تبييضه يوم الاحد سادس ربيع النبوي عام 1221 على يد جامعه العبد الضعيف الفقير إلى مولاه أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني لطف الله به في الدارين ءامين .

ومن تمام الفائدة للتاريخ ، أن أذكر هنا أن النسخة التي وقفت عليها من هذا التفسير ، بخط الفقيه السيد عبد الغفور بن التهامي البناي التطواني ، وقد فرغ من كتابتها عام 1246 للفقيه العالم الشريف سيدي الطيب بن عبد السلام البقال التطواني رحم الله الجميع .

« أزهار البستان » في طبقات العلماء والصلحاء والاعيان ، وقد ذكره في فهرسته وقال عنه :

إنه في طبقات الفقهاء ، وذكر أرباب المذاهب والتعريف بهم والتعريف بمشاهير أصحاب مذهب مالك من زمانه إلى زمننا هذا على ترتيب وجودهم كل قرن وحده إلى وقتنا هذا ، ثم اتبعهم بذكر النحويين والمحدثين والصوفية ، غير أن الصوفية لم نستكمل ذكرهم هـ .

وقد وقفت على نسخة من هذا الكتاب كتبت في حياة المؤلف بخط الفقيه العدل سيدي عبد الله بن علي شطير ، وتقع هذه النسخة في 253 صفحة متوسطة الحجم ، وقد قال المؤلف في أولها :

يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه ، الغني عما سواه ، أحمد بن محمد بن عجيبة الحجوجي وفقه الله وهداه ، نحمدك يا من لا يحيط بكنه حمده الحامدون ، ولا يصف كنه جلاله الواصفون ، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم تولى حفظ دينه بعد ظهوره على مر الدهور والقرون ، فقال في كتابه المكنون « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » وقال عليه السلام ، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى ياتي أمر الله وهم ظاهرون ، فلا تزال طائفة من ورثة هذا النبي الامين ، قائمين بشريعته المطهرة إلى يوم الدين ، كلما غاب نجم بدا نجم منهم إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين ، وإمام المرسلين ، ورضي الله تعلى عن سائر أصحابه الاكرمين ، وأهل بيته الطاهرين .

وبعد فان أولى ما أتحف به الطالب اللبيب ، ودون للاريب الاديب ، التعريف بحال الرجال ، وما خصهم به المولى سبحانه من سني الاحوال ، إلى أن يقول :

وهذا مختصر بديع في طبقات مشاهير الاعيان ، القائمين بالشريعة في كل أوان ، ذكرتهم في الغالب على ترتيب وجودهم ، ورتبتهم على حسب وفاتهم ، وفصلت كل مائة بترجمة مستقلة من زمان الامام مالك رضي الله عنه إلى زمننا هذا الخ .

ثم اتبعت مشاهير الفقهاء بمشاهير النحويين واللغويين والبيانيين .

ثم مشاهير القراء والمفسرين .

ثم مشاهير المحدثين .

ثم مشاهير الصوفية الربانيين . وسميته « أزهار البستان ، في طبقات الاعيان » الخ.

ثم ذكر أصحاب المذاهب في صفحتين .

ثم مناقب الائمة الاربعة في سبع صفحات .

ثم ترجم لمن ماتوا في القرن الثاني من أصحاب الامام مالك في أربع صفحات.

ثم لمن ماتوا منهم في القرن الثالث في ست عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن الرابع في سبع عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن الخامس في اثنتي عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن السادس في ست عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن السابع في خمس عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن الثامن في ثلاث وعشرين صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن التاسع في تسع عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن العاشر في خمس وعشرين صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن الحادي عشر في ثلاث وخمسين صفحة .

ثم ترجم لعدد من العلماء المتأخرين إلى عصره ، وكان بعضهم ما يزال في قيد الحياة زمن تأليف الكتاب ، وقد قال في آخر هذا السفر .

« انتهت طبقات الفقهاء ، وتليها طبقات النحويين ، والبيانيين ، واللغويين ، ومشاهير القراء والمفسرين والمحدثين بحول الله وقوته » .

والنسخة التي وقفت عليها من هذا الكتاب ونقلت منها في عدد من التراجم ، قد كتبت عام 1208 ، أي قبل وفاة مؤلفه بنحو ستة عشر عاما ، والمفهوم أن المؤلف كان ينقح كتابه هذا ويزيد فيه ما تناسب زيادته ويؤرخ لوفاة العلماء الذين ماتو قبله ، فلذلك لا يستغرب أن يوجد شيء من الاختلاف بين نسخ هذا الكتاب .

أما القسم الثانى منه ، وهو الذي ذكر أنه في غير الفقهاء من النحويين والمحدثين والصوفية وغيرهم ، فقد وقفت على اثنين وخمسين صفحة منه ، وهي محتوية على تراجم مشاهير النحويين في ثلاث وعشرين صفحة .

وعلى مشاهير القراء في ثمان صفحات .

ومشاهير المفسرين في خمس صفحات .

ومشاهير المحدثين في ست عشرة صفحة .

ويظهر أن ذلك هو كل ما كتب من هذا المؤلف ، فلذلك قال مؤلفه في فهرسته - كما تقدم - (غير أن الصوفية لم نستكمل عددهم) .

وقد بذلت ما استطعت من الجهد للوقوف على ما هو موجود من تآليف هذا الشيخ الصالح العالم العامل رحمه الله ، فتمكنت من الاطلاع على جلها ، ودونك التعريف بما وقفت عليه من ذلك ، زيادة على الكتابين السابقين ، وقد رتبتها في الذكر على حسب تواريخ تاليفها . وهي هذه :

تأليف في النيات 1196

ذكر في فهرسته أنه في علم النية ، وأنه في نحو خمسين بابا ، وقد وقفت عليه، وأوله :

الحمد لله الذي أنعم علينا بالعقل والبيان ، وأنقذنا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من عبادة الاصنام والاوثان ، وطهر قلوبنا من قذر الشرك ووهج الشكوك والخذلان ، وملأ قلوبنا بأنوار المعرفة والايمان . . . إلى أن قال :

وسميته « تسهيل المدخل لتنمية الاعمال ، بالنية الصالحة عند الاقبال » وعدد صفحاته 82 ، وقد فرغ من تأليفه في رجب عام 1196 ، وفيه بيان ما ينبغي أن ينويه من يريد القيام بأي عمل من الاعمال الصالحة ، كالوضوء ، والصلاة ، والحج ، والزواج ، والذهاب إلى السوق ، وطلب العلم ، والاكل ، والشرب ، وزيارة الصالحين الخ .

اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية 1196

وأوله ، « الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه لذكره ، وجعلهم من أهل ثنائه وشكره، وكشف الحجاب عن قلوبهم حتى تنزهوا في رياض قدسه ، وكساهم من حلة كرامته ، حتى تنعموا بمشاهدة أنسه . . . . إلى أن قال :

وبعد فأهم ما يشغل به العبد لسانه في هذه اللحظة اليسيرة من العمر ، ذكر الله تعلى الخ .

وقد وقفت في الخزانة العامة بتطوان ، على نسخة من هذا الكتاب ، وعدد صفحاتها 255 من الحجم المتوسط ، وقد جاء في آخرها ، أن تأليف هذا الشرح كان عام 1196 ه .

وقال المؤلف في آخره ما نصه :

كان تأليف هذا الكتاب قبل الفتح ، ولذلك تجد فيه حشوا وتخليطا ، كل ذلك لضيق الحال ، وعدم ضبط المقال ، وقد هممت بتمزيقه ، ثم قلت ، لعله يشتمل على حكمة أو أحاديث ينتفع بها العامة فتركته والسلام .

شرح تائية الشيخ علي بن مسعود الجعيدي 1198

وقد ذكر في فهرسته أنه في كراس صغير ، ويظهر أنه توسع فيه بعد ذلك ، إذ لدي منه نسخة في 35 صفحة متوسط الحجم ، وأوله :

الحمد لله المنفرد بالايجاد والتدبير ، المختص بإبداع الخلق والتصوير الخ .

وقد ألفه عام 1198 ه .

تأليف في الغيبة ومدح العزلة والصمت 1198

وأوله ، « الحمد لله الذي جعل الموعظة تذكرة للقلوب ، وزجراً مانعا من ارتكاب القبائح والعيوب ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أعظم نبي وأفضل محبوب ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، صلاة تذهب بها عنا الاحزان وتفرج بها الكروب .

وبعد فان جارحة اللسان من أصعب الجوارح ، وآفاته من أقبح الجوائح ، . . الخ .

وهذا الكتاب يحتوي على أربعة فصول .

الاول في حقيقة الغيبة وأقسامها .

الثاني في ذمها وتقبيح شأنها وما ورد من وعيد فيها .

الثالث فى كيفية النجاة منها وما ورد في العزلة والصمت .

الرابع في التوبة منها وذكر الاستغفار الخ .

وقد فرغ من تأليفه في جمدى الاول عام 1198 .

وقد وقفت في الخزانة العامة بتطوان ، على نسخة من هذا الكتاب وهي في 44 صفحة كتبها علي بوصف الدرقاوي طريقة عام 1260 .

شرح همزية البوصيري 1199

وقد وقفت على نسخة منه فى الخزانة العامة بتطوان ، وأوله :

الحمد لله الذي اختص سيدنا ومولانا محمدا بالمحبة التامة ورفع الدرجات ، وأتحفه بالحلة الصافية والمعارج السنيات ، وأيده بالحجة الدامغة والآيات البينات ، وفضله على جميع العوالم والمكونات ، وخصه بالاخلاق الطيبة ومحاسن الصفات ، وجعل مدحه والثناء عليه من أعظم القربات ، وأقرب الوسائل إلى خير البريات ، الخ .

وذكر أن اسم هذا الشرح هو « الانوار السنية (1) في شرح القصيدة الهمزية » وعدد صفحات النسخة المذكورة 230 ، في كل صفحة نحو ثلاثين سطرا ، وقد جاء في آخر الشرح أنه كمل يوم الاحد الاول من شعبان عام تسعة وتسعين ومائة وألف 1199.

1) في بعض النسخ ، الانوار القدسية .

تآليف في التوحيد والصلاة 1199

وهو كتاب مختصر في بيان عقيدة أهل السنة والصلاة المفروضة، وقد قال في أوله ما نصه :

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه وحبه، وعلى آله وأصحابه، وجميع أهل ملته وحزبه .

وبعد فيجب على كل عبد مشفق على نفسه، معتن بأمر دينه، أن يصحح عقائده على منهاج أهل السنة، ويبحث عن أمر صلاته، لانها رأس دينه، وهذا تأليف صغير جسمه، عظيم علمه، مشتمل على هاتين القاعدتين العظيمتين، سالك في ذلك مسلك الايضاح والبيان، مقتصر على ما يفتقر إليه الانسان، أسعفت في ذلك من طلبني من الاخوان، وعلى الله سبحانه المعول والتكلان .

ثم عقد فصلا بعنوان « الاعتقاد » وبين فيه ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الله تعلى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام .

ثم تكلم على الطهارة والغسل والتيمم والصلاة ....

وقال في آخره، وهذا ما جمعه العبد المذنب احمد بن محمد بن عجيبة الخ .

وذكر أنه فرغ من تبييضه أواخر شعبان عام 1199 .

وهذا الكتاب يقع في عشر صفحات .

شرح الحزب الكبير للشاذلي 1200

وأوله، «نحمدك يا من شرح صدورنا لمحبة أصفيائه الابرار، وألهمنا تلقي ما أفاض عليهم من المعارف والاسرار » ... وفي الخزانة العامة بتطوان نسخة منه في 145 صفحة .

وقد ذكر في آخره أنه فرغ من تأليفه في أواخر شهر ذي القعدة الحرام عام 1200.

شرح المنفرجة لابن النحوي 1201

وأوله ، نحمدك يا من يجيب المضطر إذا دعاه ، ولا يرجى لتفريج الكرب إلا هو ، ويقع هذا الشرح في نحو أربعين صفحة ، وقد جاء في آخره أنه فرغ منه ضحى يوم السبت آخر شوال عام 1201 في ثغر « ترغة » (1) عند حجرة الهيللة .

شرح نونية الششتري 1202

هذا الشرح قد وقفت عليه ، وأوله .

الحمد لله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، . . . إلى أن قال :

وبعد فهذا شرح عجيب لنونية الامام المحقق . . . أبي الحسن علي بن عبد الله الششتري . . . الخ .

وهذه النونية أولها قوله :

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى　　بفكر رمى سهما فعدى به عدنا

وآخرها قوله :

فمن كان يبغي السر للجانب الذي　　تقدس فليـات لياخـذه عنـا

وهذا الشرح يقع في نحو سبعين صفحة ، وكان الفراغ من تبييضه ضحوة يوم الخميس فاتح رجب 1202 .

ومما جاء في أول هذا الشرح ، أن الشيخ زروق كان قد شرح هذه النونية ، إلا أن الشيخ زروق في نظر الشيخ ابن عجيبة ، ليس من أهل الاذواق .

وذكر عن شيخ الشيوخ مولاي العربي الدرقاوي أن الشيخ زروق عند أهل الظاهر شيء كبير ، وعند أهل الباطن شيء صغير الخ .

1) ثغر « ترغة » يقع في قبيلة « بني زيات » التي هي إحدى القبائل الغمارية، وهي التي يفصلها عن قبيلة بني سعيد (الجبلية) نهر « واد لو » .

وحجرة الهيللة ، هي حجرة يسميها العوام « حجرة لا يلاها يلا الله » أي حجرة لا إله إلا الله .

شرح البردة للبوصيري 1203

وقد وقفت عليه ، وأوله :

الحمد لله الذي من علينا بما لا نحصى تعداده من النعم ، وفضلنا بأكرم الخلق وسيد الرسل على سائر الامم ، سيدنا ومولانا محمد المبعوث للاحمر والاسود والعرب والعجم الخ .

وجاء في آخره ما نصه : وكان الفراغ من تبييضه زوال يوم السبت سادس شعبان سنة ثلاث ومائتين وألف 1203 ، بجوار ضريح الولي الشهير ، العارف الكبير ، أبى الحاجات والاوطار ، سيدي عبد الله الفخار ، بأسفل ثغر تطوان نفعنا الله ببركاته ، وتوجد نسخة منه في الخزانة العامة بتطوان في 238 صفحة ، في كل صفحة نحو ثلاثين سطراً ، وقد كتبت هذه النسخة عام 1263 .

تأليف في الاذكار النبوية 1205

وقد سماه « الانوار السنية في الاذكار النبوية » وأوله :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة السالكين ، ومنار الواصلين .

وبعد فقد سألني بعض الاخوان ، ممن له بطريق القوم اعتناء وشان ، أن أضع تأليفا مختصراً في الاذكار النبوية المشروعة عند الاحوال المختلفة ، فتأملت سؤاله ، فاذا هو أمر مهم ، إذ كثير ممن ينتسب إلى الطريق ، ويدعي الوصول إلى التحقيق ، غافل عن الآداب النبوية ، والاذكار المصطفوية ، ولا شك أنه يبعد من حيث يظن أنه يظن القرب ، إذ لا سبيل إلى الوصول إلا بملازمة اتباع الرسول ، الخ .

وقد ذكر فيه ما ينبغي أن يقرأ من الاذكار عند الوضوء ، وعند الصلاة ، وفي الصباح ، وفي المساء الخ .

وهذا الكتاب يقع في خمس وثلاثين صفحة متوسطة الحجم ، وقد فرغ من تأليفه في أواخر ذي القعدة عام 1205 .

شرح الصلاة المشيشية 1210

وقد ذكر في فهرسته أنه ألفه بعد ملاقاة الشيخ ، وأوله :

نحمدك يا من تجلى لقلوب أصفيائه ، (1) بكمال جماله وبهائه ، فتنزهت في رياض ملكوته الافكار . . . الخ .

وذكر فيه أن الذي ندبه إليه ، هو شيخه العارف بالله الشيخ محمد البوزيدي ، وقد أتى في مقدمة هذا الشرح بأخبار الشيخ ابن مشيش وتلميذه أبي الحسن الشاذلي .

وذكر أنه فرغ من تأليفه في سادس ذي الحجة عام 1210 . وعندي منه نسخة في 35 صفحة عادية .

شرح أبيات «توضأ بماء الغيب» 1210

وهي أبيات أولها :

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر   وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر

وهو شرح صغير وقفت عليه في أربع صفحات ، وقد جاء في آخره أنه فرغ من تبييضه في تمام السنة العاشرة بعد المائتين وألف (1210) .

شرح الحكم العطائية 1211

وقد استهله بقوله : إن أولى ما عقد عليه الجنان ، ونطقت به ألسنة الفصاحة والبيان ، وخطت به أقلام البنان ، حمد الفتاح العليم الكريم المنان ، الحمد لله الذي ملأ قلوب أوليائه بمحبته ، واختص أرواحهم بشهود عظمته ، وهيأ أسرارهم لحمل أعباء معرفته... إلى أن قال :

أما بعد كل شيء وقبله ومعه ، فعلم التصوف من أجل العلوم قدراً ، وأعظمها محلا وفخراً ، وأسناها شمسا وبدراً ، وكيف لا وهو لباب الشريعة ومنهاج الطريقة ، ومنه تشرق أنوار الحقيقة ، وكان أعظم ما صنف فيه ، الحكم العطائية ، التي هي مواهب لدنية ، وأسرار ربانية ، نطقت بها أفكار قدوسية ، وأسرار جبروتية ، إلى أن قال :

---

1) في نسخة ، (أوليائه) بدل (أصفيائه) .

ولقد طلب مني شيخنا العارف الواصل، المحقق الكامل، سيدي محمد البوزيدي الحسني، أن أضع عليها شرحا متوسطا يبين المعنى، ويحقق المبنى، معتمداً في ذلك على حول الله وقوته، وما يفتح الله به من خزائن علمه وحكمته، أو ما كان مناسبا لتلك الحكمة من كلام القوم، فأجبت طلبته، وأسعفت رغبته، رجاء أن يقع به الامتاع، ويعم به الانتفاع، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب، وسميته « إيقاظ الهمم، في شرح الحكم »... الخ.

ومؤلف الحكم هو الشيخ تاج الدين احمد ابن عطاء الله الاسكندري المتوفى بمصر سنة تسع وسبعمائة رحمه الله 709.

وهذا الكتاب يقع في جزءين عدد صفحاتهما نحو خمسمائة.

وقد ذكر في آخره أنه وقع الفراغ من تبييضه عشية يوم الاربعاء ثامن جمدى الاولى سنة احدى عشرة ومائتين وألف 1211. وهذا الشرح قد طبع عدة مرات، وهو متداول بين الناس.

شرح المباحث الاصلية 1211

ذكر في فهرسته أن هذا الكتاب ألفه بعد ملاقاة الشيخ يعني شيخه البوزيدي رحمه الله.

وهذا الكتاب قد طبع مع شرح الحكم، وأوله:

الحمد لله بجميع المحامد، الاصيلة القديمة والفرعية، فهو المحمود وهو الحامد، لاختصاصه بنهاية الاحدية الخ.

ثم ذكر أن شيخه البوزيدي هو الذي أمره بتأليف هذا الشرح، وأنه أجاب رغبته عسى أن ينتفع به الخاص والعام، فيكون معراجا وسلما لارتقاء درجة المعرفة على التمام... وأن اسمه هو « الفتوحات الالهية، في شرح المباحث الاصلية ».

وذكر في آخره أنه فرغ من تبييضه في أواسط رمضان عام 1211.

ومنظومة « المباحث الاصلية » هي رجز في التربية الصوفية، والآداب النبوية، وأولها:

بسم الاله في الامور أبدأ — إذ هو غايـة لها ومبـدأ

الحمـد لله ولي الحمـد — هدى إلى الحق ونهج الرشد

إلى أن قال:

سميتهـا المباحث الاصليـة — عن جملة الطريقة الصوفية

أما ناظمها فهو أبو العباس أحمد بن محمد ابن البنا السرقسطي الاندلسي رحمه الله.

شرح قصيدة الشيخ الرفاعي 1213

وهذه القصيدة أولها :

يا من تعاظم حتى رق معناه   ولا تردى رداء الكبر إلا هو

وناظمها هو الشيخ العارف بالله ، أبو العباس أحمد الرفاعي المتوفى بمصر عام 570هـ.

وأول هذا الشرح :

نحمدك يا من تعاظمت أنوار جماله وبهائه ، حتى خفيت من شدة ظهورها معاني صفاته وأسمائه الخ .

ويقع في نحو ثلاث كراسات أي نحو ثلاثين صفحة ، وقد تم تأليفه في 12 رجب عام 1213 .

شرح خمرية ابن الفارض 1213

وهذه القصيدة التي مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة   سكرنا به من قبل أن يخلق الكرم

وقد افتتحه بقوله :

الحمد لله الذي سقى قلوب أحبائه من مدامة حبه ، فأصبحوا من سكر محبته متولهين ، غيبهم عن شهود غيره ، بدوام شهود سره ، فأضحوا في رياض ملكوته متنزهين ، إلى أن قال :

أما بعد كل شيء وقبله ، فعلم التوحيد من أجل العلوم ، وأحق ما تنفق فيه نتائج الفهوم ، وكيف لا وموضوعه الذات العلية ، وأوصافها السنية ، وأسماؤها الزكية .

وهذا الشرح يقع في نحو خمسين صفحة ، وقد فرغ منه مؤلفه في أواسط رمضان عام 1213 .

وهذا المؤلف ، هو الذي أطلق عليه بعضهم اسم « كتاب في علم التوحيد » .

وهي أبيات مطلعها قوله :

صح عندي الخبر وسرى في سري
أن عين النظر عين عين الفكر

ومن أبياتها قوله :

أغض طرفك ترى وتلوح أسرارك
وافن عن الورى تبدو لك أخبارك

وآخرها قوله :

سادتي وافهموا المراد من قولي
هذا لاش تكتموا عن أحد من أهلي
سري لا يفهموا إلا من هو مثلي
سلك عندي انتشر وبدا لي دري
نظموه لي جوار إنني في سكري

وهذا الشرح أوله :

سبحان (1) من اختص بالحمد والثناء من العباد ، وتقدس ذاتا وصفات عن الشركاء والنظراء والحلول والاتحاد ، خص أقواما بكمال المحبة والوداد ، فهم بين سالك ومجذوب ومحب ومحبوب ، لا تطرق ساحة قلوبهم الاغيار والانكاد الخ .

وهو في نحو عشرين صفحة ، وقد قال في آخره ، إنه فرغ من تأليفه في سابع صفر عام 1214 بمنزه الشربي من بساتين تطوان ، عمره الله بالاسلام والايمان ، وبالصالحين أهل الشهود والعيان . . .

---

1) في نسخة أخرى ، (نحمد) بدل (سبحان) .

شرح منظومة للششتري 1214

هي منظومة أولها :

ألف بين لامين   وهاء قرة العين

ألف أول الاسم   ولامان بلا جسم الخ

وهذا الشرح قد وقفت على نسخة منه في ثمان صفحات ، وقد ذكر أنه فرغ منه في أواسط صفر عام 1214 في ثغر « واد المليان » عمره الله بأهل الاحسان .

شرح منظومة البوزيدي في السلوك 1214

وهي منظومة أولها :

عليك بتقوى الله حيث توجهت   وكن كريم الاخلاق في السر والجهر

وآخرها قوله :

فقد كشفنا لك الغطاء إذا كنت   سائلا عليه قبل وضعك في القبر

وعدد أبياتها ثمانية وعشرون .

وقد وقفت على هذا الشرح ، وأوله :

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين ، وإمام المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، ورضي الله عن أصحابه الكرام أجمعين .

أما بعد فهذا شرح لطيف على قصيدة شيخنا العارف الرباني ، مربي السالكين ، وقدوة الصالحين ، القطب الواصل ، المحقق الكامل ، سيدي محمد بن أحمد البزيدي الحسني ، أخذ رضي الله عنه ، عن شيخه المربي الواصل ، سيدي مولاي العربي الدرقاوي الحسني ، وبقي في حضانته حتى رشده وشهد له بالكمال وقدمه للتربية في حياته وقال في حقه ، إن شمسه تقدمت على شمسنا كما وقفت عليه في رسالة كتبها لبعض أصحابه . . . إلى أن قال :

وله كرامات كثيرة ، تركت ذكرها خوف التطويل ، ولان الكرامات الحسية غير مراعاة عند المحققين ، بل الكرامات العظمى هي كشف الحجاب ، ودخول حضرة الاحباب ، وكمال اليقين في الباطن ، والاستقامة في الظاهر الخ .

ويقع هذا الشرح في نحو ثلاثين صفحة متوسطة الحجم ، وكله نصائح وإرشادات ربانية ، وقد تم تأليفه في منتصف رمضان عام 1214 .

تأليف في القضاء والقدر 1214

ذكر في فهرسته أنه ألفه في زمن الوباء ، وأوله :

الحمد لله الملك القدير ، المنفرد بالايجاد والتدبير ، إلى أن قال :

وبعد فبحر القدر والقضاء بحر عميق ، لا يخوضه إلا أهل التحقيق . . .

وذكر أن الذي حمله على هذا التأليف ، أنه رأى كثيراً ممن يشار إليهم بالعلم والعمل ، قد ضلوا وأضلوا وجعلوا يدافعون المقادير بما يقدرون عليه من الاسباب والحيل ، فكانوا في زمن الوباء يغلقون أبواب المدينة ولا يعودون المرضى خوفا من الموت الخ .

وسمى هذا الكتاب « سلك الدرر ، في ذكر القضاء والقدر » وقسمه إلى خمسة أبواب ، ويقع في نحو ثلاثين صفحة ، وقد فرغ من كتابته في ثالث شوال عام 1214،

وعندي منه نسخة في « الخزانة الداودية » ووقفت على نسخة أخرى كتبت من أصله في نحو كراستين عام 1290 .

تفسير مختصر للفاتحة 1219

ذكر في فهرسته رحمه الله ، أنه ألف ثلاثة تفاسير للفاتحة، أولها كبير فيه نيف وعشرون كراسا ، والآخر في نحو كراستين ، وآخر صغير جداً في نحو ورقتين الخ .

وقد وقفت على هذا الاخير ، وأوله :

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد فهذا شرح لطيف على فاتحة الكتاب ، يبين من معانيها لب اللباب الخ .

وقد تم تأليفه في خامس ربيع الثاني عام 1219 .

تفسير متوسط للفاتحة

قد علمت أن هذا التفسير يقع في نحو كراستين ، وقد وقفت عليه ، وأوله :

الحمد لله الفتاح العليم ، الوهاب الكريم ، الذي اصطفانا لوراثة كتابه الحكيم ، وأطلع على مكنون أسراره كل قلب سليم ، ذي علم صحيح ، وذوق صريح ، وفهم مستقيم . . . إلى أن قال :

واعلم أن القرآن له ظاهر لأهل الظاهر ، وباطن لأهل الباطن ، وتفسير أهل الباطن خاص بأهل الباطن لا يفهمه غيرهم ، ولا يتذوقه سواهم ، ولا يصح ذكره إلا بعد تقرير الظاهر الخ . . .

وقد ذكر في آخر هذا الشرح ، أنه لما أكمل تأليفه ، أطلع عليه شيخ شيخه ، وهو الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الحسني رضي الله عنه، فاستحسنه وطلب منه أن يؤلف شرحا آخر يكون أطول منه ، فألف شرحا آخر فيه عشرون كراسة .

تفسير مطول للفاتحة

هذا التفسير قد وقفت على نسخة منه لدى صديقنا الفقيه الصوفي المطلع على كتب القوم واصطلاحاتهم ، الشريف سيدي عبد السلام غيلان التطواني حفظه الله ، وأول هذا الشرح :

حمداً لمن أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذي أحسن كل شيء خلقه فقدره تقديراً . . . إلى أن يقول :

أما بعد فإن علم التفسير من أجل العلوم ، وأفضل ما تنفق فيه نتائج الافكار وقرائح الفهوم . . . إلى أن يقول :

وقد طلب مني شيخي العارف المحقق البزيدي الحسني عن إذن شيخه العارف الرباني ، مولاي العربي الدرقاوي الحسني ، أن أضع تفسيراً على فاتحة الكتاب ، يكون جامعا بين تفسير أهل الظاهر وتفسير أهل الاشارة من أهل الباطن ، فأجبت طلبتهما الخ .

وهذا الشرح يقع في ثلاثمائة وسبعين صفحة متوسطة الحجم .

شرح صلاة للحاتمي 1219

هي صلاة منسوبة للشيخ محيي الدين ابن العربي الحاتمي ، وأولها :

اللهم صل على الذات المطلسم . . . الخ .

وقد وضع عليها الشيخ ابن عجيبة شرحا استهله بقوله :

الحمد لله المتجلي بكماله، الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله . . . إلى أن قال:

وبعد فقد سألني بعض الاخوان، أن أضع تقييداً على صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم المنسوبة لابن العربي الحاتمي، يبين ما أغلق من معانيها، وما أشكل من مبانيها، فأجبت سؤالهم بعد أن استأذنت شيخنا العارف الرباني، البوزيدي الحسني، لان سر الاذن أمر كبير، الخ.

وهذا الشرح يقع في نحو كراسة واحدة.

وقد قال في آخره إنه فرغ منه في متم جمدى الاولى 1219، بزاوية شيخنا القطب الواصل، والمربي الكامل، سيدي ومولاي العربي الدرقاوي الحسني.

معراج التشوف إلى حقائق التصوف 1221

وقد ذكر مؤلفه عنه أنه في ثلاثة كراريس، وأوله:

الحمد لله الذي حقق الحقائق، وأوضح الطرائق، والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد الخلائق . . . إلى أن قال:

وبعد فعلم التصوف هو سيد العلوم ورئيسها، ولباب الشريعة وأساسها، وكيف لا وهو تفسير لمقام الاحسان، الذي هو مقام الشهود والعيان، كما أن علم الكلام، تفسير لمقام الايمان، وعلم الفقه تفسير لمقام الاسلام، وقد اشتمل حديث جبريل عليه السلام، على تفسير الجميع، فإذا تقرر أنه أفضل العلوم، تبين أن الاشتغال به من أفضل ما يتقرب به إلى الله تعلى، لكونه سببا للمعرفة الخاصة التي هي معرفة العيان، وقد اشتمل على حقائق عريقة، وعبارات دقيقة، اصطلح القوم على استعمالها، فينبغي الوقوف على معانيها، لمن أراد الخوض فيه، والوقوف على معانيه، وقد أردت بحول الله وقوته، أن أجمع نبذة صالحة من حقائق هذا الفن واصطلاحاته، لعل الله ينفع به من يريد الوقوف على هذا العلم . . . الخ.

وعند ما عرف حقيقة التصوف قال: إنه علم يعرف به كيفية السلوك، إلى حضرة ملك الملوك، أو تصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل الخ.

وقد ذكر في آخره أن الفراغ من تبييضه كان ظهر يوم الاربعاء رابع جمدى الاخيرة عام 1221.

وهذا الكتاب قد وقفت في تطوان على نسخة منه، وهي في نحو أربعين صفحة، وقد قام السيد محمد بن احمد ابن الهاشمي التلمساني بطبع هذا الكتاب مع تصحيحه والتعليق عليه في دمشق عام 1355 هـ 1937 م فخرج في نحو خمسين صفحة متوسطة الحجم.

وهي في الخمرة الازلية وما يوصل إليها ، وقد ذكر أنه يقع في ثمانية كراريس ، وقد وقفت عليه ، وأوله .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين وإمام المرسلين ، ورضي الله تعلى عن أصحابه أجمعين .

وبعد فهذا شرح لطيف . . . على قصيدة شيخنا العارف الرباني ، الفرد الصمداني ، سيدي محمد البزيدي الحسني مضمنها شرح الخمرة الازلية ، وما يوصل إليها من آداب العبودية ، وهي من بحر الطويل ، غير أنها مكسورة ملحونة ، لان صاحبها أمي في صناعة العربية والميزان ، لم يعرف مبتدا ولا خبراً ، ولا فاعلا ولا مفعولا ، فما عنده إلا علم لدني الخ .

ثم ذكر أن الشيخ المذكور ، اسمه محمد بن احمد البزيدي السلماني الشريف الحسني ، والسلماني نسبة إلى قبيلة بني سلمان التي هي احدى قبائل غمارة الواقعة شرق تطوان .

وذكر أنه تلميذ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الذي كان يقول فيه إنه خليفته حيا وميتا .

ومنظومة الشيخ البوزيدي أولها :

أيا من تجلى في بهاء جماله وسر كماله وعز ورفعة
تجليت بأسرار سرك ظاهراً وأخفيتها بعد الظهور لحكمة

وآخرها قوله :

ونسألك الرضى عن الاهل والصحب وتابعهم إلى انتشار القيامة

وعدد أبياتها نيف وخمسون وثلاثمائة

وهذا الشرح يقع في نحو مائة وستين صفحة من الحجم المتوسط ، وقد فرغ مؤلفه من كتابته في سادس عشر رمضان عام 1221 .

وقد وقفت على نسخة أخرى منه في نحو ثمانين صفحة من الحجم الكبير .

الفتوحات القدوسية ، في شرح المقدمة الجرومية 1223

وهو شرح كتاب الاجرومية المشهور في القواعد النحوية ، وقد بدأ هذا الشرح بقوله :

الحمد لله الكريم المنان ، الذي خلق الانسان وعلمه البيان ، وفضله بالعقل والمعرفة على سائر الاكوان ، ثم خص العرب العاربة بالبلاغة وفصاحة اللسان . . . إلى أن قال:

وبعد فأهم ما يعتني به الانسان بعد اصلاح دينه بتحقيق الايمان والاسلام ، اصلاح لسانه من اللحن في الكلام ، وذلك بالتغلغل في علم العربية واللغة ، إذ بذلك يتقوى على فهم كتاب الله العزيز وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم التام ، ثم يجب عليه بعد اصلاح لسانه ، اصلاح جنانه ، بتصفيته من الرذائل ، وتحليته بأنواع الفضائل ، ليتأهل بذلك قلبه لاشراق أنوار حقائق التوحيد الخ .

ثم قال : وسميته بالفتوحات القدوسية ، في شرح المقدمة الجرومية .

والطريقة التي سلكها في هذا الشرح ، هي أنه يشرح كلام ابن آجروم شرحا عاديا ببيان القواعد النحوية والاتيان بأمثلتها مثل غيره من الشراح ، ثم يشرحها شرحا صوفيا بطريق الاشارة ، وذلك ببيان الفضائل والحض عليها ، وبيان الرذائل والتنفير منها.

وقد جاء في آخره ما يلي : ووافق الفراغ من تبييضه ضحوة يوم الخميس ثامن شعبان سنة 1223 بازاء جبل النجاة .

وهذا الشرح قد وقفت على نسخة منه في مائة وثمانين صفحة .

وبعض النسخ قد حذف منها بيان القواعد النحوية ، واقتصر فيها على الشرح بالاشارة الصوفية .

حاشية على الجامع الصغير 1224

هذه الحاشية ذكر مؤلفها في فهرسته أنها مختصرة ، وقد وقفت على نسخة منها وأولها :

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين الخ .

وجاء في آخرها قوله : ووافق الفراغ من تبييضها أواسط شهر شعبان سنة 1224. (أي في سنة وفاته) .

والنسخة التي وقفت عليها تحتوي على 283 صفحة كبيرة في كل صفحة 34 سطرا.

الفهرس

وفهرس الشيخ ابن عجيبة، من الكتب التي يتردد ذكرها في أواسط مدينة تطوان التي وصف جانبا من الحياة الاجتماعية فيها، لانه يتكلم فيه على حياته التي قضى جلها في هذه المدينة تعلما وتعليما، وإرشاداً وتوجيها، وبحثا وتأليفا .... وقد استهله بقوله :

الحمد لله الفتاح العليم الغفار، ذي الطول السابغ والفضل المدرار ... إلى أن قال؛ أما بعد، فان التحدث بالنعم واجب، ونشرها لاهل الاعتقاد والتسليم أمر لازب، وها أنا أذكر بعض ما من الله به علينا، وما يتعلق بأسلافنا، وما يصلح ذكره من أول نشأتنا إلى أوان زماننا، وكيفية أخذنا للعلم الظاهر والباطن، وذكر أشياخنا في العلمين، وإجازاتهم لنا ومن شهد لنا بالكمال في الامرين، وما ألفناه من الكتب، وما ارتكبناه في سيرنا من الاحوال، وما لقيناه من الاهوال، في طريق الوصال ... الخ.

وقد وقفت على نسخة من هذا الفهرس، وهي مخطوطة في نحو مائة صفحة كبيرة، وقد ذكر أنه فرغ منه، أي من تنقيحه والزيادة فيه عام 1224 ه أي عام وفاته، أما أصله فقد كتبه قبل ذلك بكثير، لانه أشار إليه في كتابه « أزهار البستان » لما كان عمره أربعة وخمسين عاما. أي قبل وفاته بنحو عشر سنين.

وهذا الفهرس قد نقلت منه كثيراً في هذا الكتاب.

هذه هي الكتب التي أطلعت عليها وعرفت تواريخ تأليفها ورتبتها في الذكر - كما قلت - على حسب تلك التواريخ وجلها موجود بتطوان والرباط، وجلها أيضا لم يطبع حتى الآن، وهناك كتب أخرى من مؤلفات الشيخ ابن عجيبة، وقد وقفت عليها إلا أني لم أعرف تواريخ تأليفها وهي هذه :

كتاب في الادعية والاذكار

وأوله : الحمد لله الذي جعل ذكره وذكر حبيبه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مرتع أهل الخيرات، وزاد أهل الفضل والسعادات الخ.

وقد سماه مجموعة الادعية والاذكار، والممحقة للذنوب والاوزار، بالهيللة والاستغفار، والصلاة على النبي المختار الخ.

وهذا الكتاب يقع في نحو ستين صفحة.

أربعون حديثا في الاصول والفروع والتصوف

وأوله : الحمد لله الذي بعث نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للانام ، واختصه بشريعة مشتملة على الحكم والاحكام . . . إلى أن قال :

وقد استخرت الله في جمع هذه الاربعين في علم الاصول والفروع وشيء من علم التصوف الخ .

تأليف في الطلاسم

أي الطلاسم التي حجبت عن التوحيد الخاص ، واسم هذا الكتاب « كشف النقاب عن سر لب اللباب » وقد قال في أوله :

وبعد فهذا تقييد عجيب ، يرفع حجاب الوهم عن الحاذق اللبيب ، يتضمن رفع الحجب عن السر المصون ، وزوال الطلاسم عن الكنز المدفون الخ .

وقد تكلم فيه بنفس صوفي عال على طلسم توحيد الافعال ، وطلسم توحيد الصفات . وطلسم توحيد الذات الخ .

وفي خزانتي نسخة من هذا الكتاب ، وهي في نحو كراسة واحدة ، ووقفت على نسخة أخرى منه كتبت عام 1290 هـ .

تأليف في الخمرة الازلية

وأوله : الحمد لله الواجب الوجود ، المتجلي بكل موجود . . . إلى أن قال :

وبعد فهذه نبذة من نعوت الخمرة الازلية قبل التجلي وبعده . . . وعدد صفحات هذا الكتاب ثمان .

وهناك أيضا كتب أخرى من تآليفه رحمه الله ، إلا أني لم أقف عليها وهي هذه :

تأليف في القراءات العشر

وقد وصفه بأنه مشتمل على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورواتها وتوجيه قراءة كل واحدة منها .

وذكر أن فيه عشرين كراسا .

شرح أسماء الله الحسنى

وقد ذكر في فهرسته أنه أفرد فيه لكل اسم بابا كما فعل القشيري في التحبير.

شرح آخر لتائية شيخه البوزيدي في الخمرة الأزلية

بعد أن تكلم على شرحه الذي سبق ذكره، قال:

ثم أعدت شرحا آخر عليها فيه اثنا عشر كراسا.

هذه هي الكتب التي أتم تأليفها، أما الكتب التي لم تكمل، فقد ذكر فيها في فهرسه اثنين هما:

حاشية على مختصر الشيخ خليل.

شرح الحصن الحصين.

ووقفت له أيضا على أوراق من كتاب آخر سماه «الكشف والبيان، في متشابه القرآن» وأوله:

«الحمد لله الذي أزاح عن قلوب أوليائه سحائب الاغيار، وأفاض عليها ما تكل عنه العقول من المواهب والاسرار، فخاضوا تيار بحار جبروته، وغاصوا بأفكارهم في أنوار ملكوته، فانحل عنهم كل مشكل ومتشابه، وأطلعهم على عجائب أسرار كتابه... إلى أن قال:

وقد أردت بعون الله أن أقيد تأليفا على حسب ما أطلعني الله عليه من تاويل بعض الآيات التي قيل فيها إنها من المتشابه، وسميته «الكشف والبيان، في متشابه القرءان».

ويظهر أن هذا الكتاب لم يتم تأليفه أيضا.

وقد ذكر ناسخه أنه هو ءاخر ما ألف رحمه الله.

ديوان قصائد وتوشيحات

ذكره بعضهم من جملة تآليفه، ولا أدري هل هذا الديوان كتاب مستقل، أو هو الذي ضمنه فهرسه.

وله رحمه الله مع ذلك حكم ورسائل كتبها للفقراء في أنحاء مختلفة.

وله أيضا أحزاب منها:

حزب الحفظ والتحصين.

وحزب العز والنصر.

وحزب الفتح

وقد أثبت ذلك في فهرسه.

ووقفت له على طرر على أسئلة الشعراني لشيخه الخواص وطرر أخرى على جواب الشيخ الخروبي الطرابلسي عن أسئلة سيدي عمر بن عبد الوهاب الذي ضريحه بازاء ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش .

وذكر ابن عجيبة أن سيدي عمر هذا كانت بينه وبين الشيخ سيدي يوسف التليدي مخاصمة ، فأنكر بعض أحواله وألف فيه كتابا ، ثم كتب سؤالا فيه وفي أصحابه ووجهه الى الشيخ الخروبي الطرابلسي تلميذ الشيخ زروق .

قال ابن عجيبة (وكلاهما لم يدخلا بلاد المعاني والاذواق) . وقد رد ابن عجيبة على الخروبي منتصرا للشيخ التليدي وتصوفه وأحواله رحم الله الجميع .

علومه ونظره فيها

بعد أن أتى المترجم رحمه الله بفذلكة عن مختلف العلوم ، قال : والذي حصلناه من هذه العلوم : علوم الاذهان ، المنطق ، والكلام على مذهب أهل السنة ، والمهم من علم الهيئة .

ومن علم الاديان ، علوم القرآن ، والفقه ، والاصول ، ثم صحبت الرجال فترقيت إلى مقام الشهود والعيان .

وأما التصوف فهو علمي ومحط رحلي ، فلي فيه اليد الطولى والقدم الفالج ، حزت فيه قصب السبق على طريق أهل الاذواق ، فلله الحمد وله الشكر، وقد صنفت فيه كتبا.

وحصلت أيضا علم الحديث ، والسير ، والمغازي ، والشمائل والتاريخ .

ومن علم اللسان ، اللغة ، والتصريف ، والنحو ، والبيان بأنواعه ، ولم أحرز علم الشعر والعروض والحساب لبرودة القريحة عن ذلك .

فجملة ما حصلناه من العلوم ستة عشر علما .

ولما أطلعنا على علم الحقيقة ، شرطت ذلك كله أي وقع الغنى عنها ، لانها بالنسبة إليه كالفلوس مع الذهب الخ .

ذكر رحمه الله عن نفسه أنه ما ترك الصلاة في وقتها منذ عقل بوضوء تام ، وأنه كان يقوم نصف الليل إلى المسجد وهو لا يزال صبيا ، وأنه أثناء اشتغاله بالتدريس ، كان يعمر أوقاته بالذكر والنوافل ، وأنه طالع شرح الحكم العطائية ، فزهدت نفسه في علم الظاهر ، ومالت لعلم التصوف ، فأكب على العبادة بأنواعها مع الخلوة ، فلامه والده على ذلك ، فقال : إن العلم الذي يعبد الله به قد حصله ، وهولا يريد أن يكون قاضيا أو مفتيا .

ثم ذكر أنه كان يختلي بتطوان في قبة سيدي طلحة (خارج باب النوادر) أو قبة سيدي عبد الله الفخار (أبي عبد الله الفخار خارج باب الرموز) .

قال : وكنت أسكن هناك في الغرفة التي بنيت هناك للرجل الصالح العالم الناصح سيدي علي بركة .

ثم ذكر أن الشيخ البوزيدي كتب إليه « إن أردت مفاتيح العلوم ، ومخازن الفهوم، فعليك بالقدوم » .

ثم قال : « ثم صحبت شيخنا العارف الرباني ، سيدي محمد البوزيدي الحسني (1) سنة ثمان من القرن الثاني عشر (يعني سنة 1208) فتجردت واشتغلت بالمجاهدة ، حتى لاحت علينا أنوار المشاهدة ، الخ .

وقال عند شرح قول الحكم: لولا ميادين النفوس ، ما تحقق سير السائرين ما نصه .

« وهذا الكلام إنما هو مع من أسعده الله بوصوله إلى شيخ التربية . وأما من لم يصل إليه فلا يطمع في السير أبداً ولو جمع العلوم كلها وصحب الطوائف كلها ، وهذا أمر ذوقي لا أقلد فيه أحداً ، فقد صلينا كثيراً ، وصمنا كثيراً ، واعتزلنا كثيراً ، والله ما عرفنا قلوبنا ، ولا ذقنا حلاوة المعاني ، حتى صحبنا الرجال أهل المعاني ، فأخرجونا من التعب إلى الراحة ، ومن التخليط إلى الصفا ، ومن الانكار إلى المعرفة » .

وذكر في فهرسته أنه خدم شيخه البوزيدي بنفسه وماله ، وكان يتردد عليه أولا بقبيلة بني زروال لما كان ملازما لشيخه مولاي العربي الدرقاوي ، ثم لما انتقل لقبيلته غمارة صار يزوره بها الخ .

---

1) توفي الشيخ سيدي محمد بن أحمد البوزيدي في قبيلة بني سلمان التي هي إحدى قبائل غمارة ليلة الاحد تاسع محرم عام 1229هـ.

وقال في فهرسته أيضا ما نصه :

وقد كنت قبل أن أدخل في طريق القوم متلبسا بشيء من الدنيا ، كان عندي بستان وعرصتان من اللشين من قبل الحبس ، وبقرة تحلب ، وملاح ، وخزانة من كتب العلم ، فلما دخلت في الطريق ، ذهب ذلك كله ، وبقيت كما قال تعالى : « ولقد جئتمونا فرادى » الاية ، وبعت كتب العلم الظاهر وأنفقت جل ذلك على الشيخ يعني شيخه البوزيدي في بنيان داره بغمارة وفي تزويجه وبعض مآربه الخ .

رسائل من البوزيدي إلى ابن عجيبة وفقراء تطوان

عرفنا مما سبق ، أن الشيخ ابن عجيبة قد تلمذ لشيخه البوزيدي وألقى إليه قياده وباع جل ما كان يملكه وأنفقه عليه وعلى مصالحه .

ومن المعروف أن إقامة الشيخ البوزيدي كانت في احدى قبائل غمارة الجبلية ، وإقامة ابن عجيبة كانت بمدينة تطوان ، وتبادل الرسائل بين الشيوخ والتلاميذ ، من الامور العادية .

وقد وقفت على عدة رسائل كتبها الشيخ البوزيدي إلى تلميذه ابن عجيبة وإلى غيره من الفقراء الدرقاويين بتطوان ، وأرى من الفائدة أن أثبتها هنا .

أولا - لمعرفة نفس الشيخ البوزيدي واتجاهه الذي أثر في الفقيه ابن عجيبة كل التأثير حتى انقلبت احواله وانقاد له وصار من أكبر أتباعه وخدامه .

وثانيا - لبيان طريقة الشيخ المذكور في التربية الصوفية ، وأسلوبه في ميدان النصح والارشاد ، وخصوصا للمنغمسين في الماديات ، والمكبين بكليتهم على الدنيا وشهواتها .

فهذه رسالة مختصرة من البوزيدي إلى ابن عجيبة خاصة ، وقد وصفه فيها بالعالم العلامة ، ونصها :

محبنا في الله العالم العلامة سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الحسني ، السلام عليك والرحمة والبركة .

وبعد سيدي فلا شيء أحب إلى الله مثل الاسماء التي يذكر بها ، ولا شيء أحب إلى الاسماء مثل من يذكرها ، فان الاسماء أذيال المسمى ، وإن شئت قلت عين المسمى ، فمن اشتغل بتكرير أسماء شيء على الدوام ، فني في ذلك الشيء حتى يصير يشاهده في اليقظة والمنام ، وفي القرب والبعد ، وفي الظلمة والنور ، وغير ذلك حتى يغيب عن وجوده في وجوده ، لان العقل الذي يشهد به وجوده ، هو مع غيره بسببه تكرير

أسماء محبوبه ، فهكذا ينبغي للعاشق المحب الصادق ، أن يشتغل بذكر الله على الدوام، ليلا ونهاراً ، حتى يمتزج الذكر مع لحمه ودمه وعروقه وأعظمه وكليته ، فلا يرى لنفسه حركة ولا سكونا ولا غير ذلك من كثرة القرب إلى الله عز وجل ، وهنا يشهد الانوار ، التي هي ثمرة الافكار ، والافكار ثمرة الاذكار ، والاذكار على قسمين ، أذكار بالجوارح الظاهرة ، وأذكار بالقلوب ، فاذكار الجوارح الظاهرة ، هي الفناء في الاسم ، وأذكار القلوب، هي لاهل الفناء في الذات، قل من يعرفها، ولها علامات يستدل بها على صاحبها.

أولها ترك الدنيا بالكلية ، ظاهرا وباطنا .

وثانيها السكون في الذل اختياراً .

وثالثها احتمال إذاية المخلوقات كلها عن طيب نفس ، فان هذا الحمل ثقيل على من هو بنفسه ، ولا يحمله إلا من غاب عنها غيبة أبدية، ولا يغيب عنها غيبة أبدية إلا بصحبة من غاب عنها غيبة أبدية ، وإلا فلا سبيل له إلى ذلك .

وكتب محمد بن أحمد كان الله له آمين .

وهذه رسالة متوسطة من البوزيدي الى ابن عجيبة خاصة ، وقد وصفه فيها بالولي الصالح ، ونصها :

محبنا في الله الولي الصالح سيدي أحمد بن عجيبة الحسني ، السلام عليك والرحمة والبركة .

وبعد فتهلوا (1) في ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، وسراً وجهراً ، أفراداً وجماعة ، ولا ترضوا دونه بدلا ، ولا تلتفتوا إلى سواه بقلوبكم ولا بجوارحكم ، ولا تشتهوا غيره ، ولا تطلبوا سواه ، إذ هو السر والعناية والولاية الكبرى والفتح الاعظم وخير الدارين ، ويكفيكم في شرفه قوله سبحانه : « اذكروني أذكركم » وقوله أنا جليس من ذكرني الحديث ، ومن أراد أن لا يقع له الملل من الذكر ولا من الفكر ولا من الحضور، فليذكر الله تعلى بقلبه وجوارحه ، إذ الذكر بالقلب هو المطلوب ، والجوارح وسيلة إليه ، وذكر الله بالقلب لا يحصل إلا بعد تطهيره من حب الدنيا والجاه وغير ذلك ، فاذا طهر الفقير من أوصاف النفس ، تطهر من رؤية الحس ، وإلا فلا ، والعلة التي منعت القلب من شروق الانوار وكشف الاسرار ، هي الاوصاف الخبيثة ، كالكبر والحسد وحب الجاه والمدحة والثناء والتعظيم والتبجيل وغيره مما يناسب ذلك ، سيما إن كانت النفس حية

---

1) تهلوا ، بفتح التاء (أو سكونها) وفتح الهاء التي تليها لام مفتوحة مشددة ثم واو ساكنة ، كلمة تخاطب بها الجماعة لحضها على البرور أو الاعتناء ، وعند ما يكون الخطاب للفرد - ذكراً أو أنثى - يقال تهلا .

قريبة العهد من الاوكار التي خرجت منها ، ومن أراد يا سيدي أحمد أن تطوى عنه الطريق ، وينزل مقام أهل التحقيق ، فليؤيس نفسه من الرجوع إلى الدنيا ، ولا يرجع إلى شهوة ولا إلى عادة تركها قبل ، وإن صدر فليبت وليرجع سريعا إلى مولاه ، فان حصل للنفس اليأس مما ذكرنا ، ارتحلت إلى عالم الملكوت ، ورجعت إليه بما فيه من النعوت ، كالعلوم اللدنية ، والمعارف الرحمانية ، والسلام .

وتهلا يا سيدي في الاخوان المتجردين والمتسببين ، والمتجرين أكثر ، إذ هم نزلوا في أرض غريبة لا يعرفونها ، فحل لهم ذلك البلاد حتى يعرفوا قدرها ، ويشهدوا نورها وما فيها من الاسرار ، فحينئذ اتركهم ، وحضهم على السنة المحمدية ، إذ هي الطريق ، والرفيق إلى حضرة التحقيق ، وهي كمال التحقيق لمن عرف قدرها ، وليس هي غير التحقيق ، لكن لا يعرفها إلا العارفون بالله ، الغائبون في شهود عظمته سبحانه ، ثم حضهم بعد ذلك ، ولكن على أعمال الطريقة كالصمت والجوع والذل والفقر ، والقناعة والصبر ، والرضى والتسليم ، والتواضع والسخاء والحلم والعزلة وما أشبه هذا ، إذ بالطريقة يظهر سر الشريعة .

وانههم عن فضول الكلام إن أرادوا الربح والنجح ، وعن فضول الاكل ، وعن فضول التأنس بالمخلوق ، فان المتأنس بالمخلوق ، لا يطمع في التأنس بالخالق ، سيما شهوده ، وإياكم والبسط ، فانه فساد لطريق الفقر والسلام .

وطالع إخواننا كلهم على بطاقتنا هذه وغيرها إن شاء الله ، ولا نحبك أن تجمع عليك كثرة الفقراء في مدينة تطوان ، إذ هي ضيقة غاية ، فمن بات ليلة فذكره الله ، وأمره بالخروج الى بلاده ، ليتذكر به إخوانه .

وأما الخروج ، فتأن شيئا إلى خروج الحسوم إن شاء الله .

وأما الآية التي ذكرت ، إن نوي عزمك فافعل والسلام .

وكتب عبد ربه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني كان الله له آمين

ثم هذه رسالة مطولة من البوزيدي إلى ابن عجيبة وكافة الاخوان الدرقاويين في الحاضرة والبادية ، وقد وصف ابن عجيبة فيها بالولي الصالح ، العالم الناصح .

محبنا في الله الولي الصالح العالم الناصح ، سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الحسني وكافة إخواننا أهل الحاضرة والبادية ، السلام عليكم والرحمة والبركة .

وبعد نحبكم أحبكم الله وأرشدكم ، أن تقصروا على المسكنة وحضوا عليها كل من قرب منكم ولا بد ، إذ بها عرفوا أهل الله جملة وكل من كان من أهل الخير ، وبضدها عرف أهل الشر جملة إلا من قهرته القدرة رغما على أنفه ، فشدوا أيديكم

على المسكنة ، إذ كل من أطاقها يفتش عليها ولا يجدها ، إذ هي من أعظم المراتب ، وأشرف المنازل . وقد أجاز عمره المبارك فيها صلى الله عليه وسلم ، وكان أعز الناس عنده ، الفقراء والمساكين ، فسيروا على سيره ، وتخلقوا بأخلاقه الكريمة من المسكنة ، والحلم والتواضع والسخاء ، والصدق والمحبة والتعظيم ، وغير ذلك مما يناسب حالكم رضي الله عنكم ، فاجعلوا علمكم مقرونا بعملكم ، ولا تجعلوا العلم في جهة ، والعمل في جهة أخرى كالحلوى يغني عليها ولا يأكلها ، غنوا عليها وكلوها ، ووكلوها لغيركم فهذا هو الكمال .

وأوصيكم أن تحذروا صحبة أهل الفضول وإن كانوا منتسبين ، إذا لم يرجعوا عن فضولهم ، فان رجعوا عن فضولهم واشتغلوا بما يعنيهم فارجعوا إليهم ، وإلا فلا ، لان صحبة أهل الفضول ، فساد للقلوب والجوارح ، ومن أراد أن يكون مسكينا على الدوام ، فليترك نفسه عنه تركا كليا ، حساً ومعنى ، كما تركوها أهل الله جملة رضي الله عنهم.

وأما من لم يتركها ويظنها صاحبها أنها تتمسكن ، هذا لا يتصور في العقل وجوده ، وان أردتم مسكنتها فاسلخوها من أوصافها الذميمة ، وألبسوها الاوصاف الحميدة، سيما عند ظهور وصفها ظاهراً ، فذلك الوقت أسرع لقتلها من لمحة البصر ، وأسرع لحياتها كذلك ، فكونوا على بصيرة في ذلك الوقت لتنالوا من الله القرب التام ، الله يتولى أمرنا وأمركم وأمر المسلمين أجمعين عند إرادة توليها علينا ، فانقطعوا إلى الله عند انقطاعها لكم ، واشتغلوا بالله عند اشتغالها بكم ، واذكروا الله عند ذكرها لكم ، لان ذكر الله في وقت الضيق ، ليس كذكر الله في وقت التاسيع ، فرق كبير عند التاسيع ، يظهر لكثير أنهم ذاكرين، وعند الضيق لا يبقى ذكر إلا الصديق ، فعليكم بالحكم في وقت غضبها، وبالتأني في وقت تقلقها ، وبالتواضع في وقت ارتفاعها ، وبالكرم في وقت بخلها ، وبالذل وقت عزها ، وبالفقر وقت غناها ، وبالوجد وقت فقدها ، وبالصمت وقت كلامها ، وبالعزلة وقت تاسيعها ، وبالقبض وقت بسطها ، وبالمدح وقت ذمها ، وبالعطاء وقت منعها ، وبالاقرار وقت انكارها ، فمن ملكها هذه الملكية ، كان من عباد الله المخلصين .

وأوصيكم أن لا تشتغلوا بمحاربتها ، فان ذلك هو الغفلة الكبيرة ، ولكن اشتغلوا بالله يكفيكم شرها ويمنعكم بأسها ، فان ذكرتم الله ونسيتموها ذهبت نفوسكم ، وبذهاب نفوسكم يذهب وجودكم ، وبذهاب وجودكم تستولي أنوار بصيرتكم على كليتكم حتى لا يبقى الا البصيرة في العين والاذن واليد والرجل ، لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت له سمعا وبصراً ويداً ومؤيداً ، الحديث .

وهذه النوافل التي يحصل بها هذا الامر العظيم ، هي خروجكم عن أوصاف بشريتكم وتخلقكم بأوصاف روحانيتكم ، وجربوا تروا .

وأوصيكم أيضا أن لا تاخذوا أيضا من حوائجكم إلا ما سهل ، وما صعب دعوه عنكم ، فانه لا خير لكم فيه ، إذ كل من رأيتموه يريد قضاء حوائجه كلها ، فاعلموا أنه غافل عن ربه ، ذاكر لنفسه ، ولو كان ذاكراً لربه ، لكان ناسيا لنفسه ، ولو كان ناسيا لنفسه ، لكان ناسيا لحوائجها ، لكن كل حاجة غير الاهم فهي من حوائج النفس ، فخذوا الاهم واتركوا ما زاد ، فانه من فضول النفس ، وقد قال لي بعض الاخوان في هذه الساعة ، أين ما خصتني حاجة من جوائجي نمشي إليها أم لا ، قلت له ، اسمع نفيدك ، لا تاخذ من حوائجك إلا ما هو أهم ، ولا تمش لذلك الاهم إلا عند الاضطرار ، وإن أتيت إليه بعد الاضطرار ، حرك أحبال القدرة ، إن سهل شيء خذه ، وإن صعب قليلا دعه ، وسر هكذا مع حوائجك ، تقضى لك جميع الحوائج ، ولا تفقد قلبك أبداً ، لان سبب فقدان القلوب ، اتباع الحوائج بالظواهر والبواطن ، ولو نسيناها لما شغلنا عن الله شاغل .

فاشتغلوا بربكم ، تشتغل بكم جميع الحوائج ، ولا بعدهم عنا إلا بعدنا عن ربنا .

واعلموا رحمكم الله ، أن النفس إذا كانت أرضية سفلية ظلمانية بشرية ، تنزل على حوائجها غايتها ولا تنتقل عنها ، سواء قضيت أم لا ، وإذا رجعت سماوية علوية نورانية روحانية ، تنزل على حوائجها عبودية لربها ، لا لشهواتها ولا لحظ من حظوظها ، سواء قضيت أم لا ، كلاهما عندها سواء ، اغناها بالله ، عن كل ما سواه ، فهذه علامة صحيحة على موت النفس .

وأوصيكم أيضا أن لا تتكلفوا لبعضكم بعضا ، سيما لنفوسكم أحرى وأحرى ، فالكلفة غفلة ، ومراد الله منا ، اليقظة لا الغفلة ، والكلفة التي أشرنا لكم إليها ، هي أن يتكلف الفقير بما ليس عنده ، وهذا لا نحبه ولا يحبه الله ورسوله ، قال صلى الله عليه وسلم ، أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف ، الحديث .

فالصوفي الحقيقي ، إذا وجد أنفق ، وإذا فقد اتقى ، أعني الكلفة ، فلا تتكلفوا لنفوسكم ولا لغيركم ، لتكونوا من الاتقياء ، والسلام . انتهت .

ولتمام الفائدة ، نثبت هنا أيضا رسالة كتبها الشيخ البوزيدي إلى بعض فقراء تطوان ، ومن جملة ما فيها ، حضهم على البرور والاعتناء بسيدي أحمد بن عجيبة ، وربما كانت كتابة هذه الرسالة عقب زهد الفقيه ابن عجيبة في الدنيا وانضمامه إلى طريق القوم .

ونفهم من هذه الرسالة ، أن أهل تطوان في ذلك العهد ، كانت من بينهم جماعة من الفقراء الدرقاويين المتصلين بالشيخ البوزيدي ، والرسالة المذكورة هذا نصها :

الحمد لله وحده   وصلى الله على من لا نبي بعده .

أخونا في الله ومحبنا من أجله ، الولي الصالح ، الخير الدين ، المبارك الطيب ، سيدي الحاج أحمد البشري ، (1) السلام عليكم والرحمة والبركة .

وبعد نحبكم بارك الله فيكم ، أن لا تلتفتوا إلى شيء دون الله ، ولا تعمروا قلوبكم إلا به ، ولا تسكنوا إلا إليه ، ولا تذكروا إلا إياه ، ولا تحبوا سواه ، وانه سبحانه أجل ما يذكر ويعظم ، وأجل ما يفني العبد فيه عمره ، إذ لذلك خلقنا ، وبه أمرنا ، والذي يضيع عمره في الاشتغال بسواه ، يندم ولا تنفعه الندامة ، ونحب أخانا وحبيبنا أن لا يفك قدمه عن الزاوية كما هو شأنه، وأن تواصل إخواننا الذين لا يصلون إليها كسيدي الطاهر شعبان ، والشريف سيدي أحمد المصمودي ، وسيدي عبد القادر أحديد تهلا فيه ، إذ هو والاحباب وسيدي عبد الرحمن . . . وجملة من كان ينسب علينا ، وقل لهم قال عبد ربه محمد ، نحبكم أن لا تفارقوا سيدي أحمد بن عجيبة ، إذ هو والله من يقرب منه العباد ، وقل لهم يتهاون في القناعة من الدنيا غاية ، ليستقيم حالهم مع ربهم ، إذ لا يستقيم للراغب فيها حال من الاحوال ، ولا يتلذذ بصلاة ولا صوم ولا بغير ذلك من عمال أعمال البر كله ، وإن حصلت القناعة منها ، يقع الالتذاذ بأقل عمل ، ويرى السر لاقل عمل ، والبركة والخير ، والله لولا الرغبة في الدنيا وأهلها قطع كبد أهل الاعمال ، ترووا من السر ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر في قليل الاعمال ، قل لاخواننا ، يا سيدي الحاج أحمد ، اقنعوا من الدنيا ، وازهدوا فيها رأعرضوا عنها بالكلية إن أردتموها ولا بد ولا بد والسلام .

ونحبك بارك الله فيك وفي أهلك وإخوانك ، أن تترك الدراز المذكور ، وأن تنظر سببا يليق بك في القيسرية أو في العطارين أو غيرها ، الله يبارك لك في كل ما تصنع من أمور الدنيا والاخرى ، ونسئله بمنه أن تكون دنياك أخرى بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والسلام .

عبد ربه محمد البزيدي الحسني كان الله له آمين .

استدراك اللهم ولا أحسن ، المومن يعيش فقيراً من الدنيا ويموت فقيراً وما أقبح العكس . انتهت .

وأخيراً ، هذه رسالة أخرى كتبها الشيخ البوزيدي إلى البشري المذكور وإلى كافة الاخوان ، بمدينة تطوان ، ونصها .

---

1) البشري - بفتح الشين وكسر الراء المشددة ، اسم عائلة أندلسية غرناطية تطوانية ما تزال حتى الآن بمدينة تطوان .

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

محبنا في الله الولي الصالح سيد الحاج أحمد الهشري وكافة إخواننا أهل المدينة التطوانية ، السلام عليكم والرحمة والبركة .

وبعد فطريق الصوفية مبنية على ثلاثة أصول لا غير .

فالاول هو الصدق .

والثاني الخروج عن النفس .

والثالث الخروج عن المال .

فالصدق أساس ، والخروج عن النفس سور ، والخروج عن المال سقف. فالصدق هو امتثال كل ما يشير به عليه ، والخروج عن النفس هو خروجها عن جميع العوائد ، ومنها من جميع اللذائذ لشهوتها الفانية ، ومن العوائد المبالاة بالمخلوقات ، ومن العوائد حب الجاه ، وحب الرفعة ، وحب العز ، وحب الغنى ، وحب المدح .

وسبب العوائد كلها ، حب الدنيا الساكن في القلب لا غيره ، ولو خرج حبها لامتلأ القلب بنور الله ، ولكان العبد عبداً لله ، ولشهد سر الله ، ولاحجبنا عن الحق سبحانه إلا عدم عبوديتنا له لا غير ، ومن لم يتعبد لله تعبد لنفسه ، ومن تعبد لنفسه ، تعبد لجميع الاشياء ، فكان أقل شيء في هذا العالم يتصرف فيه لبعده عن ربه وقربه من نفسه ، فغيبوا عن مراقبة نفوسكم ، لتغيبوا عن مراقبة الاشياء وراقبوا فيها مولانا أو شاهدوه لتكون مراقبتكم لله لا للاشياء ، فحينئذ إن تواضعتم معها تواضعتم مع الله ، بخلاف التواضع من الاشياء عن جهل ، فانه لها لا لله ، فافهموا وتواضعوا مع الاشياء كلها بعد أن تراقبوه كما قلنا أو تشاهدوه ، وتواضع العبد على قدر معرفة ربه ، فمنهم من انتهى به التواضع إلى أن حمله على التواضع مع الحجر والمدر ، والاخيار والاشرار، لشهوده صنعة الجبار ، ولا يزال التواضع بأهل العرفان ، حتى ينزلون أنفسهم منازل الكلاب ولا يبالون ، وأما من رفع نفسه عن الكلب في المنزلة الحسية ، فهو متكبر حقا ، وهل الكلب فيه تصير صنعة الله وحكمته وقدرته وإرادته وعلمه ، واعجبا لمن لم يفهم حقيقة الاشياء ، فحققوا نفوسكم بوصفها ليذهب عنكم ظلمة جهلها ، ويتجلى لها بنور العلم فتستريحوا من همومها وجميع كدراتها ، واعلموا رحمكم الله ، أنه ليس للعبد إلا منزل واحد إن نزل فيه نجا ، وإن خرج منه هلك ، وهو منزل العبودية ، والسلام .

وكتب عبد ربه وأحوج الورى الى عفوه وغفرانه محمد بن احمد البزيدي الحسني كان الله له ولسائر المسلمين آمين .

وأما الزاوية فهي اللائقة بكم ، فجزاكم الله عنا خيراً ، وعن كافة إخواننا يا سيدي الحاج احمد ، لكن نحبكم أن تعمروها بالذكر والمذاكرة وبكل ما يناسب والسلام .

وعلى ذكر الشيخ محمد البوزيدي ، أذكر هنا أن لهذا الشيخ تأليفا اسمه « الآداب المرضية ، لسالك الطريقة الصوفية » وهو كتاب وقفت عليه مخطوطا بتطوان في نحو ثلاثمائة صفحة ، وأوله :

« الحمد لله المتفضل المنان ، الفاتح لمن شاء من خواص أصفيائه ما شاء من العرفان ، إلى أن قال :

وبعد لما كانت الطرق إلى الله تعلى وخصوصا طريقتنا هذه لا تسلك إلا بالادب ، رأيت أن أثبت نبذة من الآداب ، من بها علينا الكريم الوهاب الخ ،

سياحته

ذكر رحمه الله أنه لما فتح الله عليه ، أذن له شيخه البوزيدي في الخروج إلى تذكير عباد الله ، فخرج في العام الاول من تطوان إلى قبيلتي الفحص وأنجرة ومعه أصحابه إلى أن وصلوا إلى سبتة وهي يومئذ عامرة بالنصارى ، فعقدوا بناحيتها حلقة للذكر والنصارى ينظرون إليهم .

ثم ساح في العامين الثاني والثالث وزار قبائل كثيرة حتى وصل مع أصحابه إلى مدينتي رباط الفتح وسلا وهم يذكرون ويذكرون والناس ما بين مقبل عليهم ومعرض عنهم ، وقد هدى الله بهم أقواما وتاب على يدهم كثير من الناس .

خرقه للعوائد وامتحانه بتطوان عام 1209

قال أستاذنا الرهوني رحمه الله ما نصه :

« وقد كان صاحب الترجمة قبل الدخول في الطريق متلبسا بشيء من المال ، وكان له عز وجاه بين قومه في تطوان وغيرها ، فباع كل ما كان يملكه وأنفقه على شيخه البوزيدي ، ثم لبس جلابة بونداف « جلابة صوف غليظة يلبسها الفلاحون وأشباههم » وصار يذكر الله هو وأصحابه والسبحة الغليظة في عنقه وأعناقهم جميعا ، وصار يشطب الاسواق ويسئل بأبواب الحوانيت والاسواق ، ويسقي الناس الماء بالقربة ، فحزن أهله وجل أهل البلد عليه حزنا عظيما وتأسفوا على خسارته ، حيث كان معدوداً من العلماء المرجوع إليهم بتطوان ، حتى أدى الحال إلى سجنه باذن السلطان مولانا سليمان على يد عامله بتطوان القائد الصريدي .

ثم جمع العلماء لمناظرتهم (يعني لمناظرة الشيخ ابن عجيبة وأصحابه) فناظروهم وغلبوهم ولم ينصفوهم وأمروهم بالرجوع عن الطريق والذكر فلم يرجعوا حتى هددوا وأشهدوا عليهم أنهم تائبون وسرحوا سبيلهم والامر لله . يفعل في ملكه ما يشاء » .

وقد سبق لنا في الباب السادس من هذا الكتاب ، تفصيل أمر هذا الامتحان فليرجع إليه من يهمه ذلك .

قصائده ومنظوماته

وصف الشيخ ابن عجيبة رحمه الله نفسه بأنه لا يتقن علم العروض ، وفي ذلك الوصف كفاية ، ولكنه مع ذلك نظم مقطعات وقصائد حتى اجتمع له من ذلك عدد كثير ، ولعل ذلك إنما كان بعد انغماسه في بحر التصوف وانقطاعه عما عداه ، فمن ذلك ، منظومة في الخمرة الازلية ، ومطلعها :

أحن إلى خان الحميا لنشوة ... تطيش لها الالباب في حال سكرة

ومنها قوله :

فان تسألوني عن نعوت كمالها ... فإني خبير عن شهود وخبرة
تقدم كل الكون نور بهائها ... لطيف خبير في صفاء وقدرة
وقامت بها الاشياء حين تنوعت ... وعن كل ذي جهل خفيت لحكمة

وأبياتها أربعة وثلاثون .

ومن ذلك منظومة في آداب الصوفية ، ومطلعها :

سقاني حبي من مدامة حبه ... فأصبحت في خمرة الهوى أتضلع

ومن أبياتها قوله :

تمسك بمنهاج الشريعة إنها ... أمان من كل هول للظهر قاطع
وشد لها يد الضنين فمنتهى ... كمال الكمال منك هو الشرائع
فخير ولي الله من كان سره ... شهودا وظاهر من الشرع كارع
فهذا الذي حاز الوراثة كلها ... وأضحى غنيا للحبيب يتابع

وأبياتها سبعة وثلاثون .

ومن ذلك منظومة في تفسير الملك والملكوت ، والجبروت والرحموت ، والناسوت واللاهوت ، ومطلعها :

إذا حبست نفس في سجن الهوى الذي　　تقيد به العقل في قهـر قبضـة

وعدد أبياتها ثلاثون .

ومنظومة أخرى في تفسير الروح وأطوارها ، وأولها قوله :

فيا باحثا عن سر روحه فاستمع　　وكن تاليا . . . . في محكم الذكر

ومنها قوله :

ولا بد من اصلاح ما كان ظاهرا　　فإصلاحـه منـه لباطنـه يسري

فتطهير نفس من مساو تكثرت　　كغل وبخل واعتلاء ذوي الكبر

إلى غير ذا هي استقامتها التي　　بها نقلت للعقل ذي النهي والزجر

وأبياتها ثلاثة وعشرون .

ومنظومة دالية في الحضرة النبوية ، وقد ذكر أنه حادى بها التصلية المشيشية ، وأولها قوله :

وصل إله العرش في كل لمحة　　على عنصر الوجود سر محمد

وأبياتها سبعة وخمسون .

ومن ذلك أبيات عامية في الحضرة النبوية تذكر في حضرة الرقص ، ومطلع احداها قوله :

أنا فنيت في ذا الحبيب　　سيـدي رسـول الله

وأبياتها نحو الستين .

وأخرى مثلها في الخمرة الازلية وأولها :

أنا فاني في ذا الجلال　　سبحانه سبحان

وأبياتها نحو ثمانين .

وأخرى مطلعها :

أمن لا جال　　سر في بحر المعاني

وأبياتها نحو أربعين .

وأخرى مطلعها :

أرفل بي جوار الحبيب　　وته في أواني القريب

وأخرى في سلب الارادة مع الحق ، وأولها :

يا عبدي كن مستصغيا لقولي ... وألق سمعك بلا بعاد

وأبياتها خمسة وخمسون .

وأخرى عامية تنشد أثناء ذكر الهيللة وأولها :

خمرتنا صافي زلال ... تحمي من يسقاها

اللي اشرب منها وزاد ... عمرو ما ينساها

وأبياتها نيف وعشرون .

ومن ذلك أبيات أولها :

تحقق بوصف الفقر في كل لحظة ... فما أسرع الغنى إذا صحح الفقر

وأبيات أولها :

يا مدعي الغنى برب الخلق ... خذ ميزانا تعرف عين الحق

وأبيات أولها :

إذا صحبت عبداً عناية ربه ... تخلص من رق الحظوظ مدى الدهر

وفاته ومدفنه

ألف الشيخ الصالح البركة السيد محمد بوزيان الغريسي المعسكري المتوفى بفاس عام 1271 . كتابا (1) في شيخه مولاي العربي الدرقاوي الذي قضى في صحبته ما يزيد على عشرين سنة ، وقد ترجم فيه للشيخ احمد ابن عجيبة ترجمة واسعة جاء في آخرها ما نصه :

« توفي (يعني الشيخ أحمد بن عجيبة) رحمه الله بدار شيخه سيدي محمد بوزيد بغمارة زائراً وبقي بعد ما أدرج في أكفانه وتابوته بلا دفن ثمانية أيام ينتظرون قدوم أخيه سيدي الهاشمي ، فلما وصل إليه في اليوم الثامن ، مرض في ذلك اليوم ، وبعد ثمانية أيام توفي هو أيضا ودفنا معا عند شيخهما ، لكن بعد أيام عديدة طلب أصحاب سيدي أحمد من شيخه سيدي محمد بوزيد أن ينقلوه إلى زاويته بانجرة فزعموا أنه أذن لهم ، فنقلوه وذهبوا به ليلا وكانوا يكمنون به في النهار خوفا من غمارة »

1) هذا التاليف وقفت عليه مخطوطا بالخزانة الاحمدية السودية بفاس ، ومنه نقلت ما هنا عام 1368 .

إلى أن وصلوا تطوان حرسها الله ، فتلقته ابنته وأهله وأحباؤه خارج السور ، فتبركوا به وزاروه ثم حملوه إلي زاويته بانجرة المسماة بالزميج ودفن بها ، وبعد سنين وقف مناما على بعض أهله وقال ، إن الماء قد وصل إليه ، فحفروا فوجدوا الامر كذلك ، أي وصل الماء إلى تابوته ، فأصلحوا ذلك وهو رضي الله عنه كان قليل اللحم يابس الجلد على العظم من كثرة المجاهدة والزهد والورع ، وكان يلبس جلابية وسلهاما مرقعتين كما هي عادة درقاوة ، وكانت له منطقة عريضة من الدوم يجمع بها جسده عند الكتابة وحلقة الذكر ، وكنا لا نعدر في حلقة الذكر ، إذ كان يتبدل حاله ويشخص بصره فيذكر بجد وجذب وقوة خارقة للعادة رحمه الله تعلى ورضي عنه ونفعنا ببركاته آمين » . انتهى كلامه .

وذكر العلامة الشيخ عبد القادر الكوهن في فهرسته أن وفاة المترجم رحمه الله كانت عند إسفار يوم الاربعاء سابع شوال عام أربعة وعشرين ومائتين وألف (1224) ومثل ذلك عند استاذنا الرهوني وفي فهرس الفهارس للعلامة الشيخ عبد الحي الكتاني، فعمر الشيخ ابن عجيبة نحو أربعة وستين عاما ، رحمه الله ، أما قبره فهو مشهور بمدشر الزميج من قبيلة أنجرة بين طنجة وتطوان .

وقد قال رحمه الله آخر تعريفه بنفسه ما نصه :

وهذا آخر العمر ، وقد انصرف والحمد لله كله في طاعة الله بلا حول مني ولا قوة، وأنا أرجو من الله أن يدخلني من باب الكرم لا من باب العمل حتى نلقى الله بالله ، إنه سميع قريب مجيب » .

أخطاء ينبغي اصلاحها عن الشيخ ابن عجيبة

لاحظت أن بعض المؤرخين قد وقعوا في عدة أخطاء عند ما تكلموا في كتبهم عن الشيخ ابن عجيبة ، وإني من باب التعاون وتدارك الاخطاء وإصلاحها ، أثبت هنا ما وقفت عليه من تلك الاخطاء ، وأبين ما هو الصواب فيها ، خصوصا وأن تلك الكتب مراجع يعتمد كثير من الناس عليها في معرفة الحقيقة والواقع ، ولعل الذين لديهم تلك الكتب ، يصلحون ما فيه من أخطاء حتى لا تضيع الحقائق ، والكمال لله .

فمن ذلك ما جاء في كتاب « الاعلام » لصديقنا الاديب الكبير الاستاذ خير الدين الزركلي في ص 234 من المجلد الاول (من عشرة مجلدات) ونصه :

ابن عجيبة ... نحو 1266 هـ .

... » 1850 م .

احمد بن محمد بن عجيبة . فاضل من أهل فاس ، له « أزهار البستان ، في طبقات الاعيان » و « تفسير للقرآن العظيم » في ثماني مجلدات ، وفهرسة أشياخه .

وفي الطرة ، أن ذلك منقول عن كتاب اليواقيت الثمينة ، ص 70 وشجرة الدر ص 400 وفيه أن اسم كتابه الاول أزهار رياض الزمان . . .

وهذه الفقرات ، يلاحظ عليها ما يلي :

1 ـ فعلى اقتصاره في وصف الشيخ ابن عجيبة على قوله « فاضل من أهل فاس » أن الواقع أنه عالم من أكبر علماء الاسلام ، وشيخ صوفي من أكبر شيوخ التصوف في عصره .

2 ـ وعلى نسبته إلى فاس ، أن الواقع ، أن علاقته بفاس لا تكاد تذكر ، وأنه لم ينتسب إليها قط في حياته ، إذ أن ولادته كانت بقبيلة الحوز ـ حوز تطوان ـ ودراسته تعلما وتعليما ، كانت بمدينة تطوان ، وضريحه بقبيلة « أنجرة » الجبلية الواقعة بين مدن سبتة وطنجة وتطوان ، أما فاس فانما قام بزيارتها زيارة خفيفة للتبرك والاخذ عن كبار علمائها ثم عاد منها لمقره بتطوان .

3 ـ وعلى اقتصاره على ذكر ثلاثة من تآليفه ، أن الواقع أن له من التآليف ـ ما بين كبير منها وصغير ـ ما يزيد على ثلاثين كتابا .

4 ـ وعلى ذكر كتابه أزهار البستان ، أن اسمه هو ، أزهار البستان ، في طبقات العلماء والصلحاء والاعيان .

5 ـ وعلى عدد مجلدات تفسيره للقرآن الكريم ، المعروف لدينا ، أنها أربعة لا ثمانية .

6 ـ وعلى فهرست أشياخه ، أن أشياخه ليس لهم في ذلك الفهرس إلا حظ يسير ، وإنما هو في أطوار حياته الشخصية والاجتماعية ومؤلفاته وأشعاره ومنظوماته الخ .

7 ـ وعن تاريخ وفاته أنها كانت عام 1224 هـ 1809 م لا عام 1266 هـ 1850 م .

على أن الاستاذ الزركلي قد تدارك بعض هذه الاخطاء في المجلد العاشر من كتابه المذكور ، وهو المستدرك ص 32 ، إلا أن ذلك الاستدراك يلاحظ على البعض منه ما سبق لنا بيانه ، وعلى البعض الآخر ، أن « أنجرة » هي قبيلة بدوية وليست ببلدة ، وأن تبصرة الطائفة الزرقاوية . خطأ صوابه ، شرح الوظيفة الزروقية .

وأما صاحب كتاب « معجم المطبوعات العربية والمعربة » وهو يوسف إلياس سركيس » فقد تكلم على الشيخ ابن عجيبة في المجلد الاول من كتابه المذكور ، ص 169 وقال عنه ما يلي :

ابن عجيبة الفاسي مات في حدود سنة 1266 هـ (نقلا عن كتاب اليواقيت الثمينة ، ص 70) .

العارف بالله الصوفي احمد بن محمد بن عجيبة الحسني الفاسي ، وقفت على بعض مصنفات له غير مطبوعة فرغ من تبييضها سنة 1200 - 1210 ، منها :

تبصرة الطائفة الزرقاوية ، على الفئة العثمانية .

وشرح على القصيدة المنفرجة .

وشرح على صلوات ابن مشيش .

وذكر له صاحب اليواقيت الثمينة ، كتاب أزهار البستان في طبقات الاعيان ، وفهرست أشياخه ، ورسالة جمع فيها أسئلة مولاي العربي الدرقاوي ، قال : ومن أشياخه سيدي احمد بن العربي الزعدي لقبا . . . . الخ .

وهذا الكلام يلاحظ عليه ما يلي :

1 - فعلى قوله تبصرة الطائفة الزرقاوية الخ ان ذلك خطأ ، صوابه هو شرح الوظيفة الزروقية .

2 - وعلى قوله ، وشرح على صلوات ابن مشيش ، أن الواقع أن الذي شرحه ابن عجيبة من كلام الشيخ ابن مشيش ، إنما هو صلاة واحدة هي المعروفة بالمشيشية وهي التي أولها ، اللهم صل على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار .

3 - وعلى كتابي أزهار البستان ، وفهرست أشياخه ، أن الصواب هو ما بيناه .

4 - وعلى قوله ، ورسالة جمع فيها أسئلة مولاي العربي الدرقاوي ، أن تلك الرسالة لم نسمع بها قط ، وما نظن أنه كان لها وجود .

5 - وعلى قوله ، ومن أشياخه سيدي احمد بن العربي الزعدي لقبا ، أن الصواب في هذا الاسم ، هو سيدي محمد بن احمد البوزيدي . . . .

وقال الشيخ محمد بن محمد مخلوف في كتابه « شجرة النور الزكية ، في طبقات المالكية » (1) ما نصه :

أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي العلامة المؤلف المحقق الفهامة البارع المدقق الصوفي الجامع بين الشريعة والحقيقة ، من أشياخه الشيخ احمد بن العربي الزعربي ، له تآليف منها « شرح الحكم » و « تفسير القرآن العظيم » في ثماني مجلدات و « شرح الاجرومية » و « شرح المباحث الاصلية » و « أزهار رياض الزمان في طبقات الاعيان » و « فهرسة أشياخه » و « رسالة جمع فيها أسئلة الشيخ الدرقاوي » توفي في حدود 1266 .

---

1) طبع المطبعة السلفية بالقاهرة ، سنة 1350 هـ في ص 400 رقم 1599 .

وفي هذا الكلام عدة أخطاء يعرف ما هو الصواب فيها مما بيناه .

وفي « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة (1) ما يلي :

احمد بن عجيبة 1160 ـ 1224 .

احمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الادريسي الشاذلي الفاسي .

أبو العباس ، صوفي مفسر مشارك في أنواع من العلوم ، توفي في 7 شوال .

من تصانيفه :

- إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطاء الله في التصوف .
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد .
- شرح على الاجرومية في النحو .
- أزهار البستان في طبقات الاعيان .

والفتوحات الالهية في شرح المباحث الاصلية .

ولا يلاحظ على هذا ، إلا وصفه بالفاسي ، ورحمة الله على الجميع .

---

1) ج 2 ص 163 .

الفقيه القاضي السيد عبد الرحمن بن سعيد بن طريقة 1227

هذا السيد قد ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه القاضي العالم العلامة الجامع بين المعقول والمنقول، والفروع والاصول.

وذكر أنه قرأ عليه التفسير ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد ومرشد ابن عاشر وألفية ابن مالك، وأن له تآليف مفيدة منها:

1 - شرح ألفية ابن مالك « شرحا حفيلا ».

2 - شرح شواهد الالفية.

3 - شرح الحزب الكبير لابي الحسن الشاذلي.

4 - شرح البردة للامام البوصيري.

وزاد أن له تقاييد وفوائد الخ.

(قلت) وقد وقفت على شرحه لبردة الامام البوصيري (1) وهو شرح كبير يقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة كبيرة، في كل صفحة أربعة وثلاثون سطراً، وأوله:

الحمد لله الذي أنزل على سيدنا ومولانا محمد الكتاب، تبصرة وذكرى لاولي الالباب، وأودعه من فنون العلوم والحكم العجب العجاب، ونص فيه سبحانه على تأكيد محبة سيدنا الرسول، الذي بعثه عليه الصلاة والسلام لنصر دينه بالسيف المسلول ... الخ.

وقد شرح فيه هذه المنظومة شرح رجل عالم كثير الاطلاع، مشارك في العلوم العقلية والنقلية، شديد التعظيم والاحترام للجانب النبوي الشريف، وقد كتبه بفكر معتدل ونفس عال، وينقل فيه عن كبار العلماء مثل جلال الدين المحلي وسعد الدين التفتازاني وعن سيبويه وابن مالك، وعن ابن العربي والقاضي عياض وأضرابهم، وفي بعض الاحيان ينقل عن شيخه محمد بن الحسن بناني وعن شيخ تطوان أبى العباس أحمد الورزيزي.

وقد ضمن شرحه هذا ملخص السيرة النبوية، وحلل فيه قصيدة البردة تحليلا دقيقا، فهو يتكلم على كل بيت بيت منها فيشرح ألفاظه من ناحية اللغة والتصريف، ثم يبين معناه بتوسع، ثم يعرب كلماته إعراباً، ثم يقرر ما فيه من بديع أو بيان تقرير مطلع خبير.

---

(1) هذا الشرح أطلعني عليه صديقنا الاستاذ السيد أحمد بن محمد بن محمد ابن تاويت عام (1368) وهو في مجلد كبير بخط السيد علي بن الحسن بن علي بن احمد ابن الحسن بن محمد بن تاويت الودراسي، وقد نقله من خط المؤلف وأتم كتابته في ثالث صفر عام 1241.

ولدى قول البوصيري ، محمد سيد الكونين والثقلين الخ . استطرد ذكر أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وشرحها شرحا موجزاً .

ثم أثبت منظومة لابي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي في أسماء الله الحسنى، وشرح ذلك كله شرحا استغرق من الصفحات الكبيرة سبعا وثلاثين .

وقد عرفنا المترجم رحمه الله في هذا الشرح بأنه تلمساني الاصل ، تطواني المنشأ والدار .

وذكر أنه فرغ من تأليف هذا الشرح ضحوة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال المبارك عام اثني عشر ومائتين وألف .

ووقفت أيضا على شرحه لالفية لابن مالك ، وهو شرح كبير مطول استهله بقوله :

الحمد لله الذي هدانا للايمان والاسلام ، وجعلنا من أمة سيدنا ومولانا محمد خير الانام ... إلى أن قال :

وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني الحميد . عبد الرحمن بن سعيد ، المدعو ابن طريقة . التلمساني أصلا ، التطواني داراً ومنشئا ، غفر الله له ولوالديه ولاخوانه ولاشياخه ولجميع المسلمين .

هذا شرح مختصر على ألفية ابن مالك ، حملني عليه ما رأيت فيما يرى النائم ، أني شرعت في شرحه على الاسلوب الذي أشرحه عليه ، إن شاء الله تعلى بحول الله وقوته ، فاستخرت الله تعلى في ذلك ، فنطلب الله تعلى أن يعيننا على إتمامه ويجعله خالصا لوجهه الكريم ، ويجعل ثوابه جنات النعيم .

وقال في آخره : « وكان الفراغ من جمعه بحول الله وقوته ، يوم الثلاثاء الرابع من رجب الفرد الحرام عام تسعة عشر - بتقديم التاء المثناة - ومائتين وألف » .

وهذا الشرح يقع في نحو خمسمائة صفحة كبيرة ، في كل صفحة اثنان وثلاثون سطراً ، وخطها عادي ، وأبيات المتن مكتوبة بالمداد الاحمر ، وهذه النسخة كاملة ، والغالب على الظن أنها بخط المؤلف ، لان فيها من الزيادة والتشطيب والتغيير ما لا يمكن أن يكون من غير المؤلف ، وهي محفوظة في الخزانة الملكية بعاصمة الرباط .

ووجدت في أحد التقاييد أن المترجم رحمه الله توفي سنة 1227 .

الشيخ الصالح سيدي علي بن ريسون 1229

هو الشيخ العارف بالله تعلى، الشريف البركة أبو الحسن سيدي علي بن محمد بن علي ابن ريسون.

وقد ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالولاية والمعرفة والهمة العالية والاحوال المرضية مع مشاركته في علوم مختلفة ومعرفته لعلم الموسيقي واستعمال آلات الطرب وغير ذلك.

وذكر أنه صحبه سنوات كثيرة وسمع منه علوما غزيرة الخ.

وترجم له أيضا شيخنا أبو العباس الرهوني وحلاه بالقطب الواضح، والسر اللائح، ذي الكرامات العديدة، والمناقب المديدة، الوارث سر آبائه الكرام، والكاشف عن باطن الحقائق اللثام، أحد الاوتاد الذين يرحم الله بوجودهم العباد، وتسقى ببركتهم البلاد، الشريف الاصيل، وسلالة الفخر الذي ليس له مثيل، سيدي ومولاي أبي الحسن علي المدفون عن يسار محراب الزاوية الريسونية بتطوان الخ.

ثم ذكر أنه كان ممن يشار له بالعرفان، وممن اشتهر بالولاية العظمى، وأنه كان أولا ساكنا بتازروت مقر أسلافه الكرام، ولما شعر الولي الصالح المجذوب سيدي عبد الله الحاج البقال بقرب أجله (1) استدعى المترجم إليه بتطوان فقدم إليها ونفذ له السلطان مولاي سليمان الدار الكبرى المشهورة بالباب السفلي مع روضها، فاستقر بها بقية عمره رحمه الله.

وقد أثبتنا فيما سبق (2) نص رسالة كتبها إليه السلطان المذكور في شعبان عام 1207، وختمها بقوله:

« والمؤمل منك الدعاء الصالح في كل وقت من الاوقات ».

كما أثبتنا للسلطان المذكور رسالة نفذ له فيها فندق لوقش بالصياغين ليبني به الزاوية الريسونية الخ.

وقد كتبت تلك الرسالة في شهر ذي القعدة الحرام عام 1208.

ثم تعلق مولاي مسلمة بالمترجم وبرفيقه وقريبه العلامة الوجيه سيدي محمد بن الصادق ليتوسطا له مع أخيه السلطان مولاي سليمان، وقد فعلا وكتب السلطان إليهما رسالة حلى فيها المترجم بأخينا في ذات الله سبحانه السيد البركة الشريف الحسني الخ.

---

1) كانت وفاة سيدي عبد الله الحاج البقال سنة 1207، وهو صاحب الزاوية المشهورة بساحة الفدان رحمه الله.

2) في الباب السادس.

وقد استوطن المترجم رحمه الله تطوان وأظهر الله عليه فيها نعمته ، فبعد صيته وعظم جاهه ، وكثر تلاميذه وأتباعه ، وبقي محوطا بعناية الله ، متمتعا بنعمه الشاملة إلى أن أتاه اليقين .

وكانت ولادته رحمه الله عام 1158 حسبما نقله أستاذنا الرهوني عن العلامة سيدي محمد بن الصادق بن ريسون .

أما وفاته فكانت يوم الثلاثاء رابع جمدى الاخيرة عام 1229 . ودفن بزاويته الشهيرة في حومة الصياغين من تطوان وبنيت عليه قبة كبرى واتخذ له ضريح كبير ، وصارت زاويته مسجداً جامعا عاما تقام به الصلوات الخمس والجمعة ، ويقرأ فيه القرآن والاحزاب والاوراد وقصائد المديح النبوي ودلائل الخيرات، وتقام به الاحتفالات الدينية في الليالي الفاضلة زاده الله عمارة ونوراً .

وقد نظم معاصره الشريف العالم الاديب أبو الربيع سيدي سليمان الحوات « نقيب الاشراف بفاس » بيتين ضمنهما تاريخ وفاته وهما :

قف بقبرنا ساعة — وادع تقبل زيارتك
فلسان حال تاريخنا — قال (زر تقض حاجتك)

والتاريخ المذكور هو مجموع حروف « زر تقض حاجتك » أي 1229 .

وذكر أبو الربيع المذكور في كتابه « الروضة المقصودة » أثناء ترجمته للشيخ سيدي محمد بن علي بن ريسون ، أن ولده أبا الحسن « يعني المترجم » هو اليوم وارث سره ، والقائم بعده بما عهد إليه من أمره ، وهو محط رحال الزائرين بتطوان ، ويسكن بها معه جملة من أقاربه الاعيان ، وقد قال فيه :

إذا الخطوب توالت ليس يدفعها — سوى أبي الحسن الغوث ابن ريسون
هـو الولي الذي ترجى إغاثتـه — بمن له الامر بين الكاف والنون
سلبت حسن إرادتي لديه فـلا — أعد في صفقة السلب بمغبون
يا وارث السر عطفا إنني رجل — ممكن في المعاصي أي تمكين

وقال فيه أيضا :

إذا كنت في هم وضيق وشدة — فزر قبر مولانا علي بن ريسون
زيارتـه يوم الخميس عشيـة — بها يتسلى عاجلا كل محزون

وقال الفقيه الاديب أبو الحسن علي بن محمد بن الطالب ابن سودة الفاسي في رسالة بعث بها لتطوان :

من بعد تقبيل أعتاب الكرام ومن ... لهم بقلبي وداد غير ممنون
أهدي تحيـة أشواق تؤرج في ... أرجاء تطوان ذات الخرد العين
وتجتني ثمـرات العطف يانعـة ... وتجتلي بارقـات العطف في الحين
مستنشقا لفحات من أبي حسن ... مستبـرقا لمحات لابن ريسون
يا غارقا في تيار الحب منغمرا ... يا غارفا من بحار الفضل والدين
هل لابن سودة من علياك بارقة ... للمحجب خارقة بالقـرب تحييني

الفقيه القاضي سيدي الطيب بن رحمون 1229

ترجم له أبو محمد السكيرج وعده من جملة شيوخه ووصفه بالفقيه العالم العلامة الناسك ولي الله تعلى سيدي الطيب بن رحمون الحسني العلمي .

وذكر أنه كان يحفظ مختصر الشيخ خليل عن ظهر قلب ، وأنه كان حسن العبارة ، كثير الرواية ، حسن الخلق والاخلاق ، معينا للضعفا' وذوي العيال .

وذكر أنه قرأ عليه تحفة ابن عاصم ولم يذكر تاريخ وفاته .

وترجم له أستاذنا الرهوني ونقل كلام السكيرج وزاد عليه أنه ولي قضا' تطوان مدة وأنه توفي عام 1220 .

(قلت) وقد وقفت على عدة رسوم يفهم منها أنه كان متوليا لخطة العدالة بتطوان في العقد الثاني من هذا القرن كما أنه تولى خطة القضا' بها في العقد المذكور .

ووجدت في بعض التقاييد أن الفقيه السيد الطيب بن رحمون توفي في رمضان سنة 1229 ، وفي تقييد آخر أنه توفي سنة 1231 ، وذلك كما ترى مخالف لما عند شيخنا الرهوني .

فهل كان هناك أشخاص متعاصرون يشتركون في الاسم واللقب والوصف ؟ الله أعلم .

الفقيه الاديب السيد التهامي البناي

ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه الاديب الشاعر المؤدب الناصح الامين الخ .

ثم ذكر أنه كان ذا همة عالية وسمت حسن ، وأنه كان عالما بالتوثيق ، ملازما الشهادة في سماط العدول.

ثم ذكر أن السلطان مولاي محمد بن عبد الله بعثه لبلاد الروم لفداء الاسارى صحبة الفقيه السيد عبد الكريم بن قريش .

وذكر أنه قرأ عليه المرشد المعين لابن عاشر الخ .

« قلت » قد سبق لنا في الفصل الاول من الباب الخامس ، أن المترجم كان عضواً في البعثة التي أرسلها السلطان المذكور إلى جزيرة مالطة تحت رئاسة السفير السيد محمد بن عثمان المكناسي لفداء الاسرى المسلمين ، وكان سفر تلك البعثة عام 1196 ، ورجوعها عام 1197 الخ .

ولم يذكر السكيرج تاريخ وفاته ، ويظن أنها كانت في العقد الاول أو الثاني من هذا القرن والله أعلم .

الفقيه الموثق السيد محمد بن طاهر زنيبر

ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه العلامة .

وذكر أنه كان فقيها عالما بالتوثيق والنوازل وغير ذلك ، وأنه قرأ عليه المرشد المعين مراراً ، وأخذ عنه صناعة التوثيق ، ولم يذكر تاريخ وفاته ، ويظن أنها كانت في العقد الاول أو الثاني من هذا القرن والله أعلم .

وقد وقفت علي وثائق عديدة كتبها المترجم بخطه الحسن رحمه الله .

وعائلة زنيبر قد انقرضت من تطوان في أواسط هذا القرن ، وهي الآن موجودة بسلا ، وتعد من عائلات العلم والنبل والفضل بها .

الفقيه السيد أحمد بن محمد بن حسين

ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه العالم العلامة، وذكر أنه قرأ عليه فرائض مختصر الشيخ خليل، وأنه كان موصوفا بالنزاهة والعدالة، والكرم والديانة.

ووجدت في بعض الرسوم وصفه بالفقيه العلامة السيد أحمد ابن محمد بن حسين البزيدي التطاوني.

ولم يذكر السكيرج تاريخ وفاته، ونحن نقدر أنها كانت في العقد الثاني أو الثالث من هذا القرن والله أعلم.

وقد ذكر لي قريبه السيد أحمد بن أحمد بن حسين أنه تولى قضاء مدينة طنجة مدة، وأنه خلف ولده الفقيه السيد عبد الكريم بن حسين الذي كان عدلا بتطوان رحم الله الجميع.

الفقيه المدرس السيد محمد بن عبد السلام بن قريش

ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه النحرير العالم الكبير.

وذكر أنه كان ذا معرفة بعلوم الحديث والفقه والنوازل والتاريخ، وكان مشتغلا بالتدريس إلى أن توفي، ولم يبين تاريخ وفاته، ولعلها كانت في العقد الثاني أو الثالث من هذا القرن، والله أعلم.

الفقيه السيد عبد الرحمن الصردو

هو الفقيه الاستاذ المقرئ السيد عبد الرحمن ابن الفقيه المدرس السيد الحاج محمد الصردو.

وقد ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه الاستاذ.

وذكر أنه كان يقرأ القرآن بالروايات العشر، وكانت له معرفة بالقراءات وتوجيهها وبعلم أحكام القرآن والتفسير، وقد تولى الامامة بالزاوية الناصرية بعد وفاة والده وبقي كذلك إلى أن توفي رحمه الله.

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني بمضمن ما ترجم به له السكيرج، ولم يذكرا تاريخ وفاته، ولعلها كانت في العقد الثالث من هذا القرن والله أعلم.

أوصافه

وصفه الشيخ محمد جسوس الفاسي ، بالفقيه النبيه ، العالم النزيه ، سلالة الاخيار ، وتحفة الابرار ، الخ .

ووصفه الشيخ محمد بن الحسن الجنوي بالشريف الاصيل ، العالم النبيل ، ذي الشمائل الطيبة ، والاخلاق الحسنة .

ووصفه تلميذه السلطان مولاي سليمان بقوله (1) شيخنا العلامة المشارك الحسن الحديث ، الجميل المباشرة ، البديع المحاضرة ، أبو عبد الله محمد بن الصادق بن ريسون الحسني العلمي عامله الله بالاحسان ، وجامله بجام العرفان . . . الخ .

ووصفه الشيخ الطالب ابن الحاج الفاسي بقوله : الفخر العلامة الصدر الفهامة ، كريم الاخلاق ، باقعة الدنيا وعميد الاشراف ، الحسن المحاضرة ، الفائق في المناظرة ، الرحلة الراوية ، الحجة في السلوك على طريق الصوفية ، أبو عبد الله سيدي محمد ابن العلامة المحدث سيدي أبي عبد الله محمد الصادق بن أحمد بن الحسين الاصغر الخ .

وبمثل ذلك وصفه أيضا العلامة سيدي جعفر الكتاني في كتابه « الشرب المحتضر».

ووصفه الشريف سيدي التهامي بن المكي بن رحمون (2) بالفقيه الظريف ، العلامة اللطيف ، الشهير عن التنويه والتعريف ، الذي هو في حلبة العلماء سابق ، الشريف الحسن البركة، سيدي محمد بن الصادق ، الريسوني العلمي الحسني اليونسي الخ.

وترجم له أستاذنا الرهوني بقوله : « هو العالم العلامة ، الدراكة الفهامة أبو عبد الله سيدي محمد ابن العلامة سيدي الصادق الخ . (النسب الريسوني الشهير) ولد رحمه الله بقرية تازروت العروسية وقرأ بها القرآن الكريم ومبادئ العلم الشريف ثم ارتحل إلى فاس وطاف بين أرجائها ، وارتوى من معين علمائها ، ورجع منها بعلم كثير، وأدب غزير ، واشتغل بالتدريس والفتوى والتاليف إلى أن اتصل بالامراء العلويين فاستكتبوه، ثم استوزره السلطان مولانا سليمان قدس الله روحه ، وكانت له عنده مكانة عالية كما كانت له عند والده سيدي محمد بن عبد الله ، فازدادت وجاهته السياسية على الرياسة الحاصلة له بالعلم والشرف ، وقصده الناس في المهمات ، فقضى حوائجهم

---

1) عناية أولي المجد ، ص 65 .

1) في اختصاره لجمهرة التيجان في أشياخ السلطان مولاي سليمان ، لابي القاسم الزياني .

بالمواساة ، وبالشفاعة عند الولاة ، حتى صار ملجأ اللهفان ، وموئل الولهان . وكان رحمه الله لين الجانب ، متواضعا حسن الاعتقاد في أهل الله ، معظما لحرمات الله ، شغوفا بمحبة أهل البيت وأهل الفضل، شديد الشكيمة على ظلمة الولاة ، قابضا على أيديهم بيد من حديد، مسموع الكلمة عند السلطان فمن دونه، نصوحا لله ولرسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم ، مفوضا له من قبل السلطان في تولية من فيه المصلحة، وعزل من فيه المضرة ، ولا تاخذه في الحق لومة لائم ، وبالجملة فقد كان رحمه الله آية الله في الارض » .

وترجم له معاصره وتلميذه أبو محمد السكيرج ، ووصفه بالفقيه الاديب السميدع الحسيب .

وذكر أنه كان إماماً في الفقه وأصوله ، وعلم الكلام وفصوله ، إلى ما خصه الله به من جلالة القدر ، وسعة الصدر ، وحسن الخلق ، واعتدال الخلق وسهولة العبارة الخ.

ثم ذكر أنه سرد بين يديه كتباً كثيرة ، وأنه أجازه إجازة تامة .

ووصفه الشيخ عبد الحي الكتاني بقوله (1) هو باقعة صقعه : عميد الاشراف ، العلامة المسند المحدث الضابط النسابة الرحلة الراوية الصالح ، أبو عبد الله محمد ابن العلامة المحدث أبي عبد الله محمد الصادق بن ريسون الحسني العلمي اليونسي التطواني ، رحل إلى فاس 1177 وروى بها الخ .

وعند ما ترجم له أستاذنا أبو عبد الله المرير في فهرسته « النعيم المقيم » قال فيه إنه ممن تمتعت بطلعته هذه الآفاق ، واستحق أن يتسق في علمائها أي اتساق ، لانه وان لم يكن استقراره بتطوان متصلا ، فإنه أوى في أكنافها برهة غير يسيرة ، اقتنى فيها عقاراً ، وابتنى بها مسكنا وقراراً ، وداره التي بحومة الوطية لشهيرة الخ .

وقد مدحه العلامة الاديب نقيب الاشراف بفاس الشيخ سلميان الحوات بقوله :

ما للعلا كفءُ سوى ابن الصادق	لا زال فخراً للزمان اللاحق
تزهو بغرته السيادة مثلما	تزهو المليحة بالجمال الفائق
تمت أدلة الوراثة عنده	نسباً وصهراً من قياس الخارق
وإليه وجه الملك يعنو عند ما	تدعو الضرورة للنصيح الصادق
والعلم تخترق الفهوم طباقه	وتسير في أقصاه سير السابق
الله أولاه الجميل تكرماً	فالحمد لله الكريم الرازق

---

1) فهرس الفهارس ، ج 1 ص 333 .

ومن مجموع هذه الاوصاف وغيرها ، نرى أن المترجم رحمه الله كان شريفا جليلا عالما اجتماعيا نشيطا مقداما ، يبحث عن أهل العلم والصلاح ، ويتصل برجال السياسة والادب وكل من له شهرة بعلم أو عمل ، فاتسعت بذلك دائرة معارفه ، وكثر عدد شيوخه وتلاميذه وأصدقائه ، وكان يحب الخير ويعمل في سبيله لنفسه ولاهله وأقاربه ولكل من ينحاش اليه وللناس أجمعين ، وكان مشاركا في كثير من العلوم ، حسن الحديث ، جميل المحاضرة ، وكان يبحث عن الشيوخ ويكثر الاخذ عنهم ويجيز تلاميذه لربط سلسلة الاسناد وضمان بقاء سره محفوظا مسلسلا إلى ما شاء الله ، وقد جال في الشرق والغرب ، وكان كثير الشغل ، دائم الحركة والانتقال ، فكانت له لاجل ذلك ثلاث ديار وثلاث نسوة ، في ثلاث مدن ، هي تطوان ووزان وتازروت .

شيوخه ومقروءاته

وقد وقفت على إجازته للشيخ مولاي علي ابن مولاي أحمد ابن مولاي الطيب الوزاني .

وقد ذكر فيها أن من أشياخه ، العلامة سيدي محمد بن الحسن الجنوي ، وأنه قرأ عليه الحديث والفقه والنحو والتصريف والمنطق والبيان والاصول ، ولازمه مدة، واستفاد منه فوائد جمة ، وأجازه إجازة عامة .

ومنهم العلامة الشيخ التاودي بن سودة ، وقد قرأ عليه التفسير والحديث والفقه وغير ذلك ، وأجازه إجازة عامة .

ومنهم العلامة الشيخ محمد بن الحسن بناني ، وقد قرأ عليه التفسير والحديث والفقه وغير ذلك وأجازه أيضا إجازة عامة .

ومنهم العلامة الشيخ عمر الفاسي ، وقد قرأ عليه الحديث والفقه وكبرى السنوسي وغير ذلك ، وأجازه أيضا .

ومنهم العلامة قاضي فاس عبد القادر بو خريص ، وقد قرأ عليه وأجازه .

ومنهم العلامة محمد بن أبي القاسم الفلالي الرباطي شارح العمل .

ومنهم العلامة الشيخ محمد جسوس ، وقد قرأ عليه شمائل الترمذي بسرد شرحه عليها .

ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن ادريس الحسني .
والشيخ عبد الله السوسي .
والشيخ عبد الله الدكالي .
والشيخ المجذوب الفاسي .
ووالده الشيخ الصادق بن ريسون .
والشيخ أحمد الشريشي .
والشيخ أبي العباس بن ناجي .
والشيخ محمد بن علي الورزازي التطواني ، وقد أخذ عنه وأجازه إجازة عامة .
والشيخ شعيب بن عمر المطيري رحم الله الجميع .

من تلاميذه

من تلاميذ المترجم رحمه الله ، السلطان مولاي سليمان كما رأيت في تحليته له بشيخنا الخ .

ومنهم الشيخ مولاي علي بن أحمد الوزاني كما رأيت أيضا في إجازته له .

وذكر الشيخ عبد الحي الكتاني (1) أن من تلاميذه ، الشيخ التهامي بن المكي ابن رحمون ، والشهاب أحمد بن عبد الرحمن الطرابلسي الطبولي .

المترجم والاسناد

كان المترجم رحمه الله من أفذاذ الرجال الذين التفتوا لعلم الرواية والاسناد ، (وقلما اعتنى بذلك علماء المغرب ، فضلا عن فقهاء تطوان ونواحيها) .

وقد رأيت فيما سبق لنا من لائحة شيوخه ، أن جل علماء فاس قد أجازوه إجازات عامة .

وقد وقفت على فهرسته المحتوية على اثنتين وعشرين صفحة متوسطة الحجم ، وأولها: الحمد لله الذي جعل الاسناد من خصائص هذه الامة ، كما نص عليه غير واحد من الائمة ، الخ .

ثم ذكر أن الذي طلب منه كتابة فهرسته ، هو أبو القاسم الزياني .

وذكر من أشياخه ، والده سيدي محمداً الصادق .

---

1) فهرس الفهارس ج 1 ص 334 .

والفقيه سيدي عليا شطير (التطواني) .
ومولاي الطيب الوزاني .
وسيدي محمد بن علي بن ريسون .
ومولاي أحمد الصقلي .
وسيدي عبد الوهاب التازي الخ .

والشيوخ الذين سبق ذكرهم في لائحة شيوخة ومقروءاته ، وقد أثبت في هذه الفهرسة نص إجازات الشيوخ الذين أجازوه .

وقد وصفه أبو حفص الفاسي في إجازاته له بالفقيه النبيه ، العالم النزيه ، سلالة الاخيار ، وتحفة الابرار ، ذي المجد الشامخ ، والشرف الباذخ الخ .

ووصفه الشيخ التاودي ابن سودة في إجازته بأنه : وفقه الله تعلى المحق وهداه ، وأيده بنور الصدق والتوفيق من حال صباه ، فنشأ في طلب العلم وخدمته ، وربي في العلوم على تعليمه وتحصيله وحفظ حرمته ، مشمراً على ساعد الجد والاجتهاد ، دائم الرحلة كامل الرغبة من كل حاضر وباد ، حتى لاحت بحمد الله نجابته ، واشتهرت نباهته ، وجاد فهمه ، وغزر علمه ، وتأهل أن يوخذ عنه ويستفاد منه ، الفقيه النجيب ، العالم الاريب ، الحيي الحسيب ، تحفة الاشراف ، وبيت مجدها ، ويتيمة الاصداف ، وواسطة عقدها ، أبو عبد الله سيدي محمد ابن الفقيه العالم سيدي محمد الصادق بن ريسون . . . إلى أن قال . . .

فلقد كرع من بحور الدراية وارتوى ، واجتنى من درجات الرواية كل قطب أينع واستوى . . .

ووصفه الشيخ محمد بن الحسن بناني بالفقيه العلامة النجيب ، الذكي الزكي النزيه الاريب، البارع المشارك المطالع الخ .

وأثبت إجازة شيخه العلامة محمد بن علي الورزازي (دفين تطوان) ونصها :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

أجزت سيدنا الشريف الغطريف ، اللوذعي الفقيه العلامة الدراكة سيدي محمد بن الصادق بن ريسون بجميع مروياتي عن مشائخنا رضوان الله عنهم، وجميع مسموعاتي المتعلقات بالاحاديث وغيرها وسائر العلوم إجازة مطلقة عامة ، وأحلته في ذلك على فهرستي التي ذكرت فيها مشائخي ، جعلني الله وإياه من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، وكتبه عبد الله محمد بن علي الورزازي كان الله له .

وأثبت أيضا إجازات شيخه عبد القادر بن العربي بو خريص الفيلالي الاصل الفاسي الدار ، وشيخه محمد بن الحسن الجنوي .

وذكر أنه قرأ عليه بوزان عام 1181 ، وشيخه محمد بن عبد السلام الناصري الخ .

وقد حج المترجم عام 1216 ، وأجازه بالمدينة المنورة ، الشيخ عثمان الشامي المدني ، والسيد زين العابدين جمال الليل المدني .

وبمصر ، الشيوخ ، عبد الله الشرقاوي ، والامير الكبير ، وعبد المنعم العموي المالكي ، وأحمد العريشي الحنفي ، والشمس محمد الدسوقي ، وسالم بن مسعود الطرابلسي الازهري ، وعبد العليم الفيومي الضرير .

وبتونس ، الشيخ محمد بيرم الاول .

وبطرابلس ، البرهان ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد النور اليزنيتني الطرابلسي وغيرهم .

وروى الحديث المسلسل بالفاتحة عن الاستاذ أبي زيد عبد الرحمن المنجرة الخ .

وأخذ بمراكش ، عن المقرئ المحدث النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التدلاوي ، وأخذ بها أيضا عن الشيخ المشارك الاديب المؤرخ أبي عبد الله محمد بن العباس الشرادي .

وأخذ الطريقة الشاذلية عن أبي محمد ، الطيب بن محمد الوزاني .

وطريقة سلفه (الريسونية) عن الشيخ محمد بن علي بن ريسون ، وعن أبيه محمد الصادق بن ريسون .

والطريقة الخلوتية عن الشيخ أبي العباس أحمد الصقلي دفين زاويته بفاس (1) .

تآليفه وكتاباته

كان المترجم رحمه الله متأنقا في عباراته ، مطنبا في أوصافه وكتاباته ، وأشهر ما كتبه فيما علمت ، هو تاليفه الذي سماه « فتح العليم الخبير ، في تهذيب النسب العلمي باسم الامير » وهو كتاب في أنساب الشرفاء العلميين ، وقد مهد لذلك بفصل في الغيرة على النسب ، وفصل آخر في فضائل أهل البيت .

ثم تكلم على مولاي عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي ، ثم على أبنائه ، ثم على مولانا إدريس وبنيه ، وذلك كله كمقدمات استغرقت ما يقرب من نصف الكتاب .

ثم تفرغ للمقصود بالذات من الكتاب ، وهم الشرفاء العلميون أبناء أبي بكر بن علي دفين مدشر عين الحديد من قبيلة بني عروس .

---

1) وإن شئت فانظر فهرس الفهارس ج 1 ص 333 .

وقد ذكر في آخر هذا الكتاب ، أنه جمع ما لم يجمعه غيره من الدواوين ، وأنه ذكر فيه كل فرع على ما هو عليه ، وبين كل من نبذت دعوته ، واضمحلت حجته ، بيانا شافيا لم يعتمد فيه إلا على الفضلاء المحققين ، والنبهاء الممارسين .

ثم ذكر أن الذي أمره بتاليفه ، هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وأن فراغه من تأليفه كان سنة 1191 ، وهذا الكتاب إلى الآن لم يطبع، وعندي منه نسخة خطية تقع في سبعين صفحة في كل صفحة ثلاثون سطراً.

وللمترجم رحمه الله تقاييد وكتابات ، وتقاريظ وإجازات ، وقد وقفت على عدد من ذلك ، وكلها تمتاز بطابعها الخاص من الاطناب في الالقاب والاوصاف ، وشدة التواضع وكثرة الدعوات ، وتكرار المعاني بالالفاظ المترادفة ، وانتهاز الفرص لادماج مختلف الفوائد والمعلومات لادنى مناسبة .

حياته العامة ومواقفه السياسية

إنني كمصور للحياة الاجتماعية ، لا كتلميذ يذكر المناقب ، أو مريد يعدد الكرامات ، قد درست حياة هذا الرجل النابغة ، وتتبعت مواقفه المختلفة ، فوجدت فيه الرجل العالم العامل النشيط الذي قد يتواضع لاهل العلم والصلاح وذوي المكانة والجاه، ولكنه لا يسمح بمس كرامته أو رد كلمته ، وكانت له شخصية ومكانة ، فلا يرضى أن يكون صفراً أو يبقى على الهامش ، بل كانت له مواقف اجتماعية وسياسية انغمس فيها انغماسا وسعى لها سعيا وأثر فيها تأثيراً ، وكان في كل مواقفه أمينا مخلصا لا يخون ، ولكنه سياسي يقرص آذان معارضيه قرصا ويعرف من أين توكل الكتف ، اتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، فأخلص له ولم يؤيد ولده العاق المولى اليزيد بالرغم من التفاف جل الاشراف حوله وتأييدهم له ، فلما توفي سيدي محمد وابنه المولى اليزيد وقام المولى مسلمة يدعو لنصرته ، كان المترجم في مقدمة الذين نصروه وأيدوه ودعوا الناس للانضمام تحت لوائه ، وقد أثبتنا فيما سبق نص رسالة تفويض من المولى المذكور للمترجم ، ثم لما انتهى أمر مسلمة ، انحاش المترجم لجانب السلطان الشرعي المولى سليمان وصار من جملة حاشيته ، ثم رغب منه صديقه القديم المولى مسلمة في التوسط له مع أخيه السلطان المولى سليمان ، فسعى بينهما في الخير وكان نعم الواسطة ، وعرضت حلول عادلة لم يرض بها المولى مسلمة، فنفض المترجم يده منه وتشبث بالسلطان صاحب الحق الشرعي والمطالب المعقولة والسلطة القائمة ، وتلك مواقف كلها مقبولة .

نعم قد يلاحظ الناقد (وفي الدنيا مغرضون وناقدون) أن المترجم رحمه الله كان ينتقم من بعض الناس فيسعى في عزلهم وتولية غيرهم ، وقد تكرر منه ذلك ، ونحن نرى أن ذلك كان ينشأ عن كون المترجم كان من أعيان الشرفاء والعلماء والوجهاء ، وكان له اتصال وثيق بالسلطان وحاشيته ، فكان الناس يتعلقون به لجلب المصالح أو دفع المضار ، وكان هو يتوسط لهم مع ولاتهم ، فكان من أولئك الولاة من يقبل شفاعته ، وينفذ رغبته ، ومنهم من يتصلب إما للحق وإما للغرض ، وهنا تاتي المشكلة ، فالشريف يرى أن من يتعلق به ينبغي أن تقضى حاجته ، ما لم تتناف مع الشرع أو تعارض مصلحة المخزن ، وذلك حفظا لمقام الشفيع ، ومراعاة لمكانته الاجتماعية والسياسية ، وبعض الولاة يرون أن من أولئك المتوسطين من يكون متعديا يتعصب ضد الحاكم ويريد إرغامه على ما يريد بواسطة شفيعه الشريف الطيب القلب الساعي في الخير عن حسن نية ، وهنا يقع الاصطدام ، فيعقبه الانتقام .

وما أظن أن المترجم رحمه الله كان يجهل أنه كان وما زال هناك أناس لا يهمهم إلا الوصول إلى أغراضهم والانتصار على خصومهم بأية وسيلة كانت ، لا فرق عندهم في ذلك بين القوة والجبروت ، والخضوع والخنوع .

ولعله رحمه الله كان يرى أن الالتجاء إليه أو التعلق به ، كاف في الدلالة على أن ذلك اللاجئ قد ندم على فعله وشعر بضعفه واحتياجه لمن يحميه أو ياخذ بيده ، وأن ذلك معناه التوبة والانابة من ذلك المذنب اللاجئ الذي يبحث عن المخلص ، فاذ ذاك يتقدم الشريف كوسيط وشفيع ، وفي هذا الموقف ينبغي للولاة أن يراعوا حرمته ويساعدوه على مرغوبه ، ومن لم يفعل ذلك منهم يعتبر رافضا للشفاعة ، منتهكا للحرمة ، مستحقا للمؤاخذة ، ولعله لسعة صدره ، كان يرى أنه ما من مشكل إلا ويمكن أن يوجد له حل ، ومن من غضب إلا ولا بد أن يكون له حد ، والكمال لله .

دياره وزوجاته

كان المترجم رحمه الله صديقا للسلاطين والامراء ، والاشراف والصلحاء ، زيادة على كونه هو نفسه سليل بيت من أعرق بيوتات المغرب في الشرف والنبل والصلاح ، وقد دعته مصالحه وخدماته وصداقاته ، لكثرة التجول والتنقل ، فاضطره ذلك لاتخاذ ثلاث ديار في ثلاث مدن ، وفي كل دار منها زوجة وخدم ، وأهل وحشم .

ففي مسقط رأسه ومركز أسلافه « تازروت » داره الاولى ، وبها زوجته الشريفة السيدة فاطمة ابنة الشريف سيدي الطيب بن حليمة ، وهي والدة ابنيه ، سيدي علي الذي لم يعقب وسيدي محمد جد أولاد ابن الصادق الموجودين الآن .

ومدينة تطوان مقره ومقر أهله وأقاربه الاشراف ، وخصوصا صهره الشيخ الصالح سيدي علي بن ريسون ، كانت له بها أيضا زوجة أخرى هي الشريفة السيدة الزهراء ابنة الشيخ الصالح سيدي محمد بن علي بن ريسون .

وذكر أستاذنا الرهوني أنها كانت تسكن في داره بالعيون .

وفي وزان زوجته الثالثة ، وهي الشريفة السيدة الباتول ابنة الشريف الجليل مولاي علي الوزاني الشهير .

مولـده ووفاته

كانت ولادة المترجم رحمه الله في مدشر « تازروت » من قبيلة بني عروس ، ولم أقف على تاريخ ولادته بالتدقيق ، إلا أن المفهوم من كلامه أنها كانت سنة 1155 . 1156 . لانه ذكر في فهرسته أن دخوله للمكتب القرآني كان عام 1161 ، وسنه إذا ذاك خمسة أعوام وخمسة أشهر وخمسة أيام كما وجد ذلك بخط والده .

أما وفاته فكانت بمدينة وزان وبها دفن في قبة مولاي علي بن أحمد الوزاني قرب الشيخ الرهوني رحم الله الجميع . إلا أنه وقع اضطراب في تاريخ وفاته بالتدقيق، مع الاتفاق على أنها كانت في العقد الرابع من القرن الثالث عشر ، أعني عام نيف وثلاثين ومائتين وألف .

فمعاصره السكيرج الذي عاش بعده لم يذكر تاريخ وفاته .

وأستاذنا الرهوني ذكر أنه توفي أواخر عام 1236 . أو أوائل عام 1237 .

ومعاصرنا الشيخ عبد الحي الكتاني (1) نقل من خط تلميذه ابن رحمون أنه توفي عام 1234 .

(ومثل ذلك وجدته في تقييد قديم لا أعرف كاتبه) .

ونقل الشيخ المذكور أيضا من خط القاضي ابن سودة أن وفاته كانت سنة 1236.

ومثله في كتاب الشرب المحتضر للشيخ جعفر الكتاني .

وعلى كل حال فالمترجم رحمه الله قد توفي في نحو الثمانين من عمره عليه رحمة الله ورضوانه .

1) فهرس الفهارس ج 1 ص 334 .

العلامة القاضي عبد الرحمن الحايك 1337

هو الفقيه العلامة المشارك المدرس المفتي القاضي عبد الرحمن الحايك، وفي تقريظ له على بعض كتابات العلامة الرهوني محشي الزرقاني، ذكر اسمه هكذا، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحايك، المصمودي التطاوني (1).

وقد ترجم له أستاذنا العلامة أبو عبد الله المرير بقوله :

« هو الامام شهاب الدين، وسراج المهتدين، شيخ الجماعة في أوانه، وإمام عصره وابن عرفة زمانه.

كما وصفه بذلك أمير المومنين مولانا سليمان رحمه الله، وهو عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الرحمن بن محمد الحايك التطاويني منشأ وقرارا، المصمودي المنازلي الحسني الزواكي أصلا ونجارا، وهو ممن اشترك مع الرهوني في شيوخه كالجنوي والتاودي وبناني وغيرهم . . . .

وذكر عنه أنه كان علامة مشاركا مبرزا في علم النوازل والاحكام، فقيها ثقة معتنيا بنقل النصوص على ما هي عليه، سالكا في ذلك نهج المحققين، من الفقهاء المتقدمين، كثير الكتابة والتقييد، ملازما للجمع والتصنيف الخ ».

وذكر أستاذنا الرهوني أن ابن عجيبة ترجم له في كتابه أزهار البستان بقوله :

« ومنهم الفقيه العالم المدرس المتفنن سيدي عبد الرحمن الحايك السعيدي الاصل، التطواني الدار، له مشاركة حسنة في فنون من العلم، وله حاشية على المكودي، وله تآليف أخر، وله اعتناء بتدريس العلم والفتوى، وهو في قيد الحياة ».

وترجم له أيضا تلميذه أبو محمد سكيرج ترجمة حافلة بالنعوت والاوصاف، وذكر له عدة تآليف سياتي بيانها.

ووصفه تلميذه الفقيه الاديب أبو حامد، العربي الدمنتي الفاسي، بشيخنا الامام، الفقيه الحجة الهمام، قاضي حضرة الجبل تطوان أبي زيد سيدي عبد الرحمن الخ.

ووصفه بالادريسي الحسني . . .

---

1) حاشية الرهوني على شرح المختصر في الجزء السابع، ص 463 .

تآليفه ومكانته العلمية

كان الفقيه الحايك رحمه الله كثير الكتابة والتآليف كما تقدم، وقد ذكر له مترجموه من التآليف ما يلي :

1 - حاشية على تفسير الجلالين، ذكره تلميذه أبو محمد السكيرج .

2 - حاشية على شرح المواق لمختصر الشيخ خليل، ذكره السكيرج .

3 - اعراب مختصر الشيخ خليل، ذكر السكيرج أنه يقع في أربعة أسفار كبار، وذكر أبو عبد الله المرير أنه قصد به الاقتصار على الاعراب اللفظي، ولكنه جاء في شرح مختصر جمع فيه من تحقيقات الشروح والحواشي جملة مفيدة كشرح الحطاب والمواق والتتائي والزرقاني وميارة وأبي علي وبناني والتاودي وغيرهم، وقد نقل نموذجا منه في الجزء الاول من فهرسته المسمى بالنعيم المقيم، وذكر عنه أنه يقع في أربعة مجلدات، وأن نحو النصف منه موجود لديه بخط المؤلف نفسه، وكأنه هو المبيضة . . . .

4 - شرح فرائض مختصر خليل، ذكره السكيرج .

5 - حاشيتان على شرح المكودي لالفية ابن مالك، ذكر ابن عجيبة، أن له حاشية على الشرح المذكور، وذكر السكيرج أن له حاشيتين عليه، ولعل إحداهما مطولة، وأخرى مختصرة .

6 - شرح شواهد المكودي على ألفية ابن مالك، ذكره السكيرج .

7 - شرح المرشد المعين لابن عاشر، ذكره شيخنا المرير والسكيرج .

8 - إعراب لامية الزقاق، ذكره السكيرج، وذكره أستاذنا المرير بصفة شرح، وأنه وقف على بعضه بخط مؤلفه .

9 - النوازل، وقد قال عنها أستاذنا الرهوني ما نصه :

« ومن تآليفه، نوازله الرفيعة التي اشتملت على الفتاوي التي صدرت منه، وقد نقلها شيخنا سيدي المهدي الوزاني في نوازله المسماة بالمعيار الجديد » .

وذكر أستاذنا المرير أنها في جزء واحد، وأن نسخة منها كانت بخزانة شيخ الجماعة بتطوان العلامة سيدي محمد البقالي التطواني، وأنه كثيراً ما كان يعتمد عليها في فتاويه، وأن الشيخ المهدي الوزاني قد استعارها منه وضمن كثيراً منها في معياره الجديد، ونقل منها في حاشيته على شرح الشيخ التاودي للتحفة .

وذكر معاصرنا الشيخ أحمد ابن الصديق (دفين مصر) أن تلميذه المامون أفيلال ، هو الذي جمع فتاويه المذكورة ، وأنها مشهورة يقول المقلدة عنها ، إنها في غاية التحرير . . . .

10 - حاشية على وثائق ابن سلمون ، ذكرها السكيرج وقال عنها إنها لم تكمل ،

وذكر أستاذنا المرير، أنه ألفها باشارة من العلامة الشريف سيدي محمد بن الصادق ابن ريسون، وأن فيها تتمات وتنبيهات مفيدة، وأنه سلك في ذلك طريق أهل التحقيق من الامانة في النقل والاجادة في التنسيق مع بيان المشهور أو الراجح أو ما به العمل ، وقد نقل نموذجا منها في فهرسته ، وذكر أن هذه الحاشية كانت من ابتكارات شيخه الجنوي ، وأنه كان قد ابتدأ الكتابة فيها ، وأنه كان يرى أن كتاب ابن سلمون قد كان في حاجة إلى مثل هذه الحاشية .

11 شرح بعض لامية الافعال ، ذكره أستاذنا المرير .

وذكر أستاذنا المرير أيضا ، أن له تقاييد وتعليقات كثيرة على كتب مختلفة كطرره على ابن غازي والمواق وخليل الخ .

(قلت) إلا أن هذه التآليف غير منتشرة ولا معروفة لدى الطبقات العلمية بتطوان فضلا عن غيرها ، وقد بحثت عنها فلم أقف إلا على بعض إعرابه لمختصر الشيخ خليل عند أستاذنا المرير ، حفظه الله .

أما عن مكانته العلمية وانقطاعه للكتابة والتحرير والتحقيق ، فقد قال عن ذلك شيخنا المرير ما نصه :

« وبالجملة فان هذا الرجل كان مستغرقا أوقاته في الكتابة والتقييد ، مقبلا على تحرير المسائل العلمية ، بحيث لا ينصرف عن ملازمة فصولها وأبوابها ولا يحيد ، مكثراً لتحصيل الفوائد ، مقيداً لها بحبل الكتابة كي لا تفر من يد الرائد » . . .

وقال فيه أيضا بعد أن نقل نماذج من كلامه :

« فهذه فصول من كلام الامام الحايك ، تدل لك على مكانته الفقهية ، واتساع دائرة معارفه النقلية ، وتريك مقام اطلاعه على كتب النوازل والاحكام ، وتصرفه فيها تصرف من ملك منها المقاد والزمام ، وتعرفك بتبرزه في القيام على مختصر الشيخ خليل ، وتحرير مقاصده وإحراز خصل التحقيق في ذلك الميدان العريض الطويل ، وتعلم أن ما حلاه به أمير المسلمين في عصره ، وإمامهم الممتاز بصلاحه وعلمه ، المولى سليمان العلوي رحمه الله من أنه ابن عرفة زمانه ، هي حلية صادقة ، ودلالة لمعناه

مطابقة ، وفيه دليل واضح على أنه كان بهذه المدينة التطوانية أعلام أجلة ، وجهابذة أفراد تفتخر بهم الملة ، ولكن داء الاهمال ، وعدم الاعتناء بمن مضى من ذوي الاقدار والاجلال ، الذي هو أدوأ الادواء ، في هذه الانحاء ، أبقى الشيخ وأمثاله ، منكرين في غيابات جب الجهالة ، بحيث لو كان مثله عند غيرنا لتداولت عليه أدوات التعريف ، ولتواردت لذكراه في كل مناسبة وفود التكريم والتشريف » . . .

الكتب التي كان يدرسها

كان الفقيه الحايك رحمه الله كثير التدريس لمختلف العلوم بمختلف الكتب ، وقد رأيت في كلام معاصره الشيخ ابن عجيبة ، أنه كان معتنيا بتدريس العلم الخ ،

وذكر تلميذه أبو محمد السكيرج أنه قرأ عليه الكتب الآتية :

1 - بعض تفسير كلام الله العزيز .

2 - صحيح الامام البخاري .

3 - صحيح الامام مسلم .

4 - مختصر الشيخ خليل مراراً ، بعضها بسرد شرح الزرقاني مع إحضار حاشية بناني عليه ، وبعضها بسرد الخرشي ، وفي المرة الاخيرة كان الشيخ المترجم يحضر إعرابه للمتن ، ويقع في أربع مجلدات .

5 - لامية الزقاق .

6 - مختصر السعد .

7 - ألفية ابن مالك مراراً .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيف المؤرخ الرباطي في حوادث سنة 1198 من تاريخه ما نصه :

« وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر عامه ، ختمنا الالفية على الفقيه القاضي سيدي عبد الرحمن الحايك بتطوان » .

8 - صغرى الامام السنوسي ، بشرح المؤلف وحاشية أبي علي اليوسي .

9 - سلم الاخضري (في المنطق) .

10 - الخزرجية (في العروض) .

ولايته للقضاء

ذكرنا في فصل قضاة تطوان في القرن الثالث عشر ، أن المترجم رحمه الله ولي قضاء هذه المدينة وعمالتها عام 1207 ، وفي حدود عام 1227 ، وعام 1230 ، وفي الفصل المذكور زيادة بيان .

وذكر أستاذنا المرير أنه تولى أيضا قضاء زاوية سيدي محمد ابن أبي زيان ، والله أعلم .

أصله ونسبه

ذكر أستاذنا الرهوني أنه وقف للمترجم على تقييد تضمن تحرير نسبه وإثبات شرفه ، وأن اسمه عبد الرحمن بن محمد (بالفتح) ابن عبد الرحمن بن محمد ، وأن نسبه يتصل بسيدي يملح ابن مشيش جد الشرفاء الوزانيين ، وأن أصل عائلته من خندق البير من قبيلة مصمودة ، وأن جد أبيه دنية انتقل إلى قبيلة بني سعيد الجبلية ، ثم انتقل جده مع والده منها إلى تطوان بعد سنة 1120 هـ .

ووجدت في آخر نسخة مخطوطة من شرح قصيدة « بانت سعاد » ما نصه :

« ووافق الفراغ منه عصر يوم الاثنين العاشر من ربيع الاول من تاسع العشرة التاسعة بعد المائة والالف (1189) على يد كاتبه لنفسه ، ثم لمن شاء الله من أبناء جنسه ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان الحايك التطاويني المنشإ والدار ، المصمودي الحسني النجار كان الله له ولآبائه وأحبائه وأقربائه » .

وفي آخر نسخة من تقييد في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحمد بن فارس بن زكرياء أنه نسخ هذه النسخة وما كتب عليها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحايك التطاوني المصمودي الحسني من نسخة بخط الفقيه البارع شيخ شيوخ شيوخنا من بلدنا سيدي الحاج علي بن محمد بركة ، وذكر أنه نسخها من خط الشيخ عبد السلام بن الطيب القادري من نسخة بخط الشيخ عبد القادر الفاسي قوبلت على نسخة بخط الولي الصالح سيدي رضوان بن عبد الله الخ .

من شيوخه وتلاميذه

رأيت في كلام أستاذنا المرير، أن من شيوخ المترجم، العلامة محمد بن الحسن الجنوي، والعلامة الشيخ التاودي ابن سودة، والعلامة الشيخ محمد بن الحسن بناني...

وذكر المترجم نفسه في بعض مقيداته، أن من شيوخه، الفقيه الورزازي دفين تطوان.

ورأيت بخط الفقيه المسند الشريف سيدي التهامي بن المكي ابن رحمون (1) أنه يروي فهرست الشيخ محمد بن قاسم القصار، عن المترجم عن الشيخ جسوس عن الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي عن والده عن عم والده عبد الرحمن العارف عن مؤلفها الشيخ القصار.

وذكر ابن رحمون في كتابه «الطي والنشر في كشف أسرار مخدرات المسبعات العشر» أنه رواها عن المترجم عن الشيخ جسوس.

ومن تلاميذه الفقيه الكاتب السيد العربي الدمنتي، وقد ترجم له في فهرسته.

ومنهم الفقيه محمد بن عبد السلام الضعيف المؤرخ المغربي.

وذكر أبو العباس ابن الصديق في كتابه «مجمع فضلاء البشر» أن من تلاميذ المترجم، الفقيهين، الرهوني محشي الزرقاني، وبناني، والمامون أفيلال قاضي تطوان.

إجازته لابن كيران الفاسي عام 1229

وقد وقفت في مجموع خطي محفوظ بالخزانة الكتانية بفاس، على اختصار إجازة كتبها المترجم للفقيه السيد محمد بن العباس ابن كيران عام 1229. ونص ما بالمجموع المذكور على ما فيه:

«الحمد لله بجميع محامده كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نعمه كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده، والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على من طاب أصلا وفرعا، ومن الصلاة عليه مقبولة عند العلماء قطعا، وعلى آله الكرماء، وصحابته العظماء، وعلى من تلا نهجهم المبين، إلى يوم الجزاء والدين.

---

1) الكتابة المذكورة، في طرة على نسخة من فهرس القصار المذكور، وهي موجودة في الخزانة السودية بفاس.

هذا وإن عوض النفس ووالد وما ولد ، الفقيه النبيه ، والخير المُزيه ، خديم العلم الشريف ، وصاحب الفهم اللطيف ، أبا عبد الله ، السيد محمد بن العباس بن كيران الفاسي ، لما حل ثغرنا ، واستجلى قدرنا ، استدعى منا بعد أن كتبنا له على موضوعه في مآثر شيخه وفي بسملة ابن أجروم ، وتطلبه الاجازة فيها وفي غيرها ، ظنا منه أني من أهل ذلك الشأن ، وفرسان ذلك الميدان ، ولست كما ظن ، غير أن (نية المرء تفوق عمله) وبها يبلغ المنى من أمله ، فأجبته لما استدعى . . . . . والمرعى ، منشداً ما ينشد في الاجازة ، ولست بأهل أن أجاز ، فكيف بأن أجيز ، ولكن . . . . .

وأجزته إجازة مطلقة في جميع ما أرويه وأمليه ، من حديث وغيره ، على شرط ما شرطوه فيه من التثبت في ذلك وسؤال ما أشكل عليه ، المقتدى به من أهل العلم ممن له قدم فيه وبصيرة ، طالبا منكم أن تتحفونا بدعاء لانفسنا .

وقد أجازني شيخنا الامام العلامة الهمام شيخ المشايخ والقضاة وخاتمة المحققين وصاحب التآليف العديدة المفيدة أبو عبد الله سيدى محمد التاودي ابن الطالب بن سودة المري إجازة مطلقة في جميع مروياته ومسموعاته ومحفوظاته ومقروءاته مشافهة مرارا ، ومما أنشد هو عن المحقق القصار وأنشد في غيره عن الاشياخ إجازة .

أجزت لكم مروينا مطلقـا وما لنـا سائلا أن تتحفـوا بدعـاء

وكتب في الثاني من رجب عام تسع وعشرين ومائتين وألف ، عبد ربه تعلى وأحوجهم إليه عبد الرحمن بن محمد الحايك الحسني الزواكي التطاوني منشئاً وقراراً ، المصمودي المنالي أصلا ونجاراً . ه بخ كثير » انتهى .

هذا ما أثبته هذا المختصر في هذا المجموع ، وليته ما اختصر .

وفاتـه وضريحه

ذكر أبو محمد السكيرج أن المترجم عاش نحو سبعة وثمانين عاما ، وتوفي بتطوان في عاشر جمدى الاخيرة عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف (1237) .

ومثله في فهرست تلميذه العلامة الاديب أبي حامد العربي الدمنتي الفاسي (المتوفى سنة 1253) . . . . . .

وذكر أستاذنا الرهوني أن قبره داخل قبة الشيخ سيدي علي بن ريسون بتطوان عن يسار الداخل لها من جهة الصحن .

وقد وقفت في بعض التقاييد على أبيات للاديب الفقيه السيد عبد الكريم الحضري رثى بها المترجم ، وضمنها تاريخ وفاته وهي :

يا عذولي سال دمعي وانهمر ... وفؤادي لانقضا العلم انفطر

ذخر فضل وعلوم وتقى ... عابد الرحمن في الخلد استقر

وسقاه الله من رضوانه ... وحباه جل في (زي شكر) (1)

وإذا ما العلم غاض بحره ... أو بناء ربعه منه اندثر

فضياء بدره اليوم كفا ... وبها جوهره منه عمر

1) « زي شكر » هو تاريخ وفاته : 7 ـ 10 ـ 1000 ـ 20 ـ 200 = 1237.

الفقيه القاضي سيدي المامون أفيلال 1245

هو الفقيه العلامة الشريف القاضي سيدي المامون بن النادي بن محمد بن محمد أفيلال ، وقد ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بأنه من العلماء الراسخين ، والشيوخ المعتبرين ، وأنه كان عادلا صالحا متمسكا بالحق ، آخذا بالجد والصدق ، مشتغلا بالعلم والعمل ، وقد ولاه السلطان (المولى سليمان) قضاء مدينة تطوان ، فأعطى لكل ذي حق حقه ، وبقي كذلك إلى أن قام حفيد السلطان المذكور ، وهو المولى ابراهيم بن اليزيد وكثر اللغط والهجا ، وارتكب العامة الطريقة العوجا ، فدخل المترجم داره ، وعزل نفسه الخ .

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني ووصفه بالفقيه العلامة وذكر ما مضمنه : أنه كان على جانب عظيم من العلم ومتانة الدين وأبهة العلماء .

ثم ذكر أنه ولي قضاء تطوان في رمضان عام 1231 ، فسار فيه سيرة حميدة ، وكان شديد الشكيمة على الولاة والظلام ومن ينتسب إليهم الخ .

ويظهر أن قائد تطوان في ذلك العهد (وهو الحاج عبد الرحمن أشعاش) تضايق من مواقف القاضي أفيلال ، فأوعز إلى جماعة من أهل تطوان (وفي كل عصر يجد الولاة صنائع يستخدمونهم آلات ويتوصلون بهم لاغراضهم الخاصة) بتأليف وفد ، فألفوه وقصدوا السلطان وطلبوا منه إعفاء القاضي أفيلال وتولية غيره ، فلما سألهم السلطان عن السبب ، هل هو جوره في الاحكام أو أعمال أخرى ينكرونها عليه ، قالوا له ، لا شيء فيه من ذلك ، وبرأوه من كل ما يشينه ، وتقدم من بينهم السيد محمد السكيرج أخ الفقيه السيد عبد السلام مؤرخ تطوان وقال له ، نحن لا ننقم على القاضي سيدي المامون شيئا سوى أنه شريف وعالم وقاض وله روض وبغلة بالسريجة ، واجتماع هذا كله لفرد واحد شيء كثير عليه الخ .

وأشار بذلك إلى أن القاضي المذكور لا عيب فيه ، وأن الوفد إنما هو مدفوع من القائد الذي تضايق من مواقف القاضي وعدم مساعدته على ما يريد .

ويظهر أن السلطان كان راضيا عن القائد أشعاش ولا يريد معاكسته ، فعزل القاضي أفيلال ترضية له ، وأسند وظيف القضاء بتطوان للفقيه محمد كرازو .

هذا ما ذكره أستاذنا الرهوني في ترجمة الفقيه كرازو المذكور ، وذكر أيضا أن ولايته هذه كانت عام 1235 ، وذلك يقتضي أن إعفاء القاضي أفيلال كان في ذلك العام (1235) . ولنا هنا وقفة في كيفية عزل المترجم وتاريخ عزله ، لاننا وجدنا في ذلك اضطرابا . فكلام السكيرج السابق صريح أو كالصريح في أنه لبث قاضيا إلى أن قامت حركة المولى ابراهيم بن اليزيد ونصر بتطوان فلزم المترجم داره وعزل نفسه ، (وهذه الحادثة كانت في أواسط ربيع الثاني أو أواخره من سنة 1236.

وهذه الرواية يؤيدها ما وقفت عليه بنفسي من تسجيل رسم صحيح على القاضي المذكور بتاريخ 12 ربيع الثاني 1236 . وعلى ذلك يكون القاضي أفيلال هو الذي عزل نفسه في ربيع الثاني عام 1236 ،

أما حكاية الوفد التي ذكرها أستاذنا الرهوني ، فتقتضي أن الذي عزله هو السلطان المولى سليمان ، وأن ذلك كان عام 1235 . والله أعلم بالصواب .

(قلت) وقد كان المترجم رحمه الله جميل الخط كثير الاعتناء بنسخ الكتب وتقييد الفوائد ، وفي خزانتي مجموع كبير كله بخطه ، وفيه مجموعة مؤلفات وأجوبة فقهية واجتماعية وفوائد لاكابر علماء فاس وتطوان والكثير من ذلك منقول من خط عالم تطوان وصالحها سيدي الحاج علي بركة رحم الله الجميع .

والمترجم يذكر في آخر تقاييده تاريخ كتابتها ، ويذكر اسمه هكذا محمد المامون ابن النادي بن محمد بن محمد أفيلال الحسني العلمي ، وتاريخ نسخه لذلك من سنة 1207 إلى سنة 1221 .

وقد وقفت في تقييد قديم (لا أعرف كاتبه) على أن وفاته كانت يوم الاثنين 13 ربيع سنة 1245 . والله أعلم .

الفقيه السيد عبد الله المصمودي 1248

ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه العالم العلامة ، وذكر أنه كانت له معرفة بالفقه والنحو والتصريف وغير ذلك من العلوم ، وكانت له عارضة في الفقه أكثر من غيره ، وأنه قرأ على أشياخ ، منهم الفقيهان عبد الكريم بن قريش ، والقاضي عبد السلام بن قريش الخ .

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني ونقل كلام السكيرج وزاد عليه أنه كان من علماء تطوان وأوتادها في عصره ، وأنه كان يتعاطى الشهادة والفتوى ، ويؤم ويخطب بجامع السوق الفوقي .

ونقل عن السكيرج أنه توفي عام 1228 ، ثم استبعد ذلك مستدلا بأن شيخ الجماعة الفقيه سيدي أحمد السلاوي المولود سنة 1240 ، قد أدركه وقد كبر سنه وضعف بصره والغير يقوده ، واستظهر أن وفاته تأخرت الى نحو سنة 1248 .

(قلت) ما استظهره أستاذنا الرهوني هو الواقع ، وقد وجدت في بعض التقاييد القديمة ما نصه :

« توفي العلامة عبد الله بن الحاج أحمد المصمودي التطاوني ليلة الاربعاء 10 شوال 1248 » رحمه الله .

وقد ذكرنا في فصل القضاة ، أن المترجم تولى قضاء تطوان ، وأنه كان قاضيا بها عام 1220 ، ثم عزل واستمر عدلا إلى أن توفي رحمه الله .

الفقيه المؤرخ السيد عبد السلام السكيرج 1250

هو الفقيه العدل أبو محمد عبد السلام بن أحمد السكيرج مؤلف كتاب « نزهة الاخوان » وقد ترجم له أستاذنا الرهوني بما نصه :

« هو الفقيه البركة المشارك مؤرخ تطوان وصاحب الشهرة بها ، أبو محمد سيدي عبد السلام بن أحمد السكيرج الانصاري التطواني ، ولد رحمه الله في تطوان عام 1145 تقريبا ، وقرأ القرآن الكريم على عدة من مقرئي تطوان ، وكتب التفسير والفقه والحديث والنحو والبيان وغيرها على شيوخها أيضا مثل الحايك وابن قريش والجنوي وجماعة كما في تاريخه ، ثم رحل إلى فاس وقرأ على شيوخها مثل سيدي التاودي بن سودة والشيخ بناني وأهل عصرهم حتى حصلت له ملكة حسنة فيما قرأه ، ثم رجع لتطوان وتزوج وولد له ولده السيد عبد الخالق المشري الشهير ، ثم اشتغل بحرفة العدالة والتدريس والتوقيت في بعض الاوقات ، وألف تاريخه المشهور في تطوان سماه « نزهة الاخوان ، وسلوة الاحزان ، في الاخبار الواردة في بناء تطوان ، ومن حكم فيها وتقرر من الاعيان » وقد أجاد فيه وأفاد ، بل انفرد باخبار هذه المدينة دون من تقدمه أو تأخر عنه من النقاد ، رحمه الله ، وكان في آخر عمره إماماً في زاوية الفاسيين قبالة القنا الكبير (بحومة العيون) وعدلا في الحانوت التي تحت صومعة جامع العيون إلى أن توفي رحمه الله عام 1250 عن سن تناهز المائة ، وكان مربوعا للطول ، ذا شيبة ، واحدودب في آخر عمره ، وكان في يده انقباض وقصر في الذراعين ، وكان فيه انبساط كبير ودعابة من صغره إلى كبره ، وإلف للناس لخفة روحه وكثرة بسطه ، وله في ذلك حكايات لطيفة » .

ثم ساق أستاذنا الرهوني بعض تلك الحكايات والوقائع والاعمال التي صدرت من المترجم ، وهي تدل على دعابات ومجون وشيطنة ، وبعضها وقع له مع أساتذته الجنوي والشيخ التاودي والشيخ بناني والشيخ ابن عجيبة رحم الله الجميع .

وكنموذج لدعابات المترجم أو شيطنته الفكاهية ، نذكر هنا أنه كان له في المدرسة بتطوان ، بيت مجاور لبيت لمعاصره وشيخه أبي العباس ابن عجيبة ، وكان هذا الشيخ الصالح يقوم في النصف الاخير من الليل يعبد الله ويتقرب إليه بالذكر والصلاة ، فكان المترجم ينتهز سكون الليل ورهبته ويطلع لسطح المدرسة ويدلي رأسه ويسامت به بيت الشيخ ابن عجيبة ويناديه بصوت متهدج موهما له أنه هاتف الهي

ويخاطبه بقوله ، يا أحمد ابن عجيبة ، قد حللنا لك المحرمات ، فافعل ما شئت فقد غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويظن الشيخ ابن عجيبة أن هناك هاتفا شيطانيا يريد أن يغره ، فيستغفر الله ويعوذ به من الشيطان الرجيم ، والواقع أنه لا شيطان هنالك ولا رجيم ، وإنما هو عبث الفقيه سكيرج غفر الله له .

ثم ذكر أستاذنا الرهوني أن المترجم وضع منظومة في لعب الكارطة وقدمها مع شرحها لرفقاء له كانوا مولعين بلعبها .

(قلت) ويظهر أن المترجم رحمه الله كان مشهوراً باتقان صناعة التوثيق مع جمال الخط وقد وقفت على رسوم كثيرة بخطه وهو خط جميل واضح وعباراته في وثائقه أحسن منها بكثير في تاريخه ، أما تاريخه المشهور فيظهر أنه لم يقم بمراجعته وتنقيحه ، ولا أدري هل أتمه بالتأليف أم لا ، لاني لم أقف عليه كاملا بالرغم من شدة البحث ومواصلته ، ولا أعرفه كاملا عند أحد إلى الآن ، وإنما وقفت على بعض ملازم منه لدى أستاذنا الرهوني (وعدد صفحاتها ثلاث وثمانون) كما وقفت على بضعة أوراق من أوله فقط لدى صديقنا الطالب الخير السيد محمد بن محمد العطار ، مع بعض أوراق لدى حفدة الفقيه العدل سيدي عبد القادر بن عبد الواحد الفاسي الفهري .

وتقييد السكيرج في أخبار تطوان يعد المرجع الاول في موضوعه ، وقد استفاد منه أستادنا الرهوني وضمنه في تاريخه « عمدة الراوين » كما استفدت منه أيضا كذلك . إلا أن الامانة التاريخية تقضي بوصف ذلك التقييد بأنه غير منظم ولا منقح ، وفيه من الحشو والعبث الشيء الكثير ، ولكنه بالرغم من كل ذلك ، أفادنا تاريخيا بما لم نقف عليه عند غيره رحم الله صاحبه وجزاه خيراً ، وقد تكلمت على المترجم وتاليفه هذا في مقدمة هذا الكتاب فليرجع اليها من يهمه ذلك .

الفقيه القاضي السيد محمد كرازو 1253

ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بأنه صاحب العلوم الكثيرة ، وله اليد الطولى في علوم الفقه والنحو والنوازل والقضاء الخ .

وترجم له أستاذنا الرهوني وذكر في ترجمته أن أصله من قبيلة بني سعيد الجبلية ، وأنه قرأ بتطوان ورافق في القراءة السلطان مولاي سليمان (ولم يذكر أين كانت تلك المرافقة ولا تاريخها) فكانت له به معرفة ، وشهد له بالفقه وولاه قضاء تطوان عام 1235 .

(قلت) لعل ولايته للقضاء تأخرت إلى سنة 1236 . والله أعلم .

ثم ذكر أستاذنا الرهوني أنه استمر قاضيا بتطوان إلى أن توفي بها سنة 1250 ، إلا أنه ذكر في لائحة القضاة أنه استمر في القضاء إلى سنة 1249 ، والذي وجدته بخط الفقيه العلامة الشيخ المهدي بن الطالب بن سودة الفاسي ، أن وفاة القاضي المذكور كانت عام 1253 ، والله أعلم بالصواب .

الفقيه سيدي الطيب بن عبد السلام البقالي 1253

ترجم له أستاذنا الرهوني ووصفه بالعالم العلامة ، الدراكة الفهامة ، المفتي المدرس الحساني الاصل ، التطواني الدار ، وذكر أنه ولد في قبيلة بني حسان (الجبلية) عام 1174 ، ثم انتقل إلى تطوان فقرأ على علمائها وخصوصا سيدي محمد بن المهدي البقالي الذي كان عمدته في جميع العلوم .

وقد وقفت على رسم كتبه شيخ الجماعة بتطوان العلامة الحاج أحمد السلاوي - وهو من هو في التحقيق والتدقيق - وقد وصف فيه المترجم بالفقيه العلامة سيدي الطيب البقالي التطاوني . . . .

وكان للمترجم اتصال كبير بقائد تطوان الحاج عبد الرحمن أشعاش ، فلما كانت حركة المولى إبراهيم بن اليزيد وقدومه إلى تطوان ووفاته بها ثم قيام أخيه المولى سعيد مقامه وطلبه من أهل تطوان مبايعته ، قام المترجم وقال له ، لا نبايعك ، فقال له لماذا ، فقال ، لان بيعة عمك مولانا سليمان في أعناقنا ، ولا يحل لنا عزله بدون موجب شرعي ، فقبض عليه وسجن من جملة من سجن من أهل تطوان ، ثم لما انتهت حركة المولى سعيد وانتصر المولى سليمان، أطلق سراحه وعرض عليه قضاء تطوان فلم يقبله ورجع لبلده (تطوان) وبقي فيها مشتغلا بالعلم إلى أن توفي سنة 1253 . ودفن بالزاوية البقالية الواقعة بالطرافين ، ولم يخلف ولدا ذكرا رحمه الله .

وحكي أن أشياع المولى السعيد لما كانوا خارجين من تطوان مروا بدار المترجم، وهي الدار الواقعة عن يسار الخارج من باب جامع الساقية الفوقية ، (وهي دار زوزيو الآن) فالتفت رئيس الطبجية المعلم أحمد عنيقد نحو تلك الدار وقال ، دابا ناكلو هذه الدار ، فسمعته ابنة المترجم فقالت له ، دابا ياكله الذياب إن شاء الله ، فكان من قدر الله أن عنيقد المذكور قتل في تلك الحركة ، وقيل إنه بقى مهملا في المكان الذي قتل به حتى أكلته الحيوانات والعياذ بالله .

الشيخ محمد الحراق عام 1261

العلامة الاديب الشيخ الجليل ، المربي الكبير ، سيدي محمد الحراق ، أحد الرجال الذين لا تفتخر بهم مدن شفشاون وفاس وتطوان فحسب ، بل يحق للمغرب كله أن يفخر به ، لانه رحمه الله كان بحراً زاخراً في العلم ، وجبلا راسخا في المعرفة ، وكان إماماً في ثلاثة علوم ، قلما اجتمعت في رجل واحد في الشرق والغرب ، علوم الشريعة، وعلم الادب ، وعلم التصوف ، كان في مقدمة العلماء الفقهاء ، فقد درس مختلف العلوم العقلية والنقلية ، وشهد وأفتى ، وخطب ودرس ، وعمل جميع ما يعمله كبار العلماء والفقهاء ، وكان نابغة من نوابغ الادب ، وأشعاره الكثيرة مطبوعة يتغنى بها كثير من الناس في مختلف الطبقات ، ويعجز عن الاتيان بمثلها كثير من الادباء ، ويعتز بها صوفية المغرب ، ويفخرون بها على المتأخرين من صوفية المشرق (1) .

وكان من أكابر شيوخ التصوف ورجال التربية ، وهذه رسائله العامرة بالحقائق والرقائق متداولة بين الناس ، يسترشد بها المهتدون ، ويهتدى بها الغافلون (2) .

لقد جمع الله له بين الحقيقة والشريعة ، فغاص في بحار المعارف ، وكان الشيخ العارف ، وتلمذ له كبار العلماء ، وتكلم في الحقائق الربانية فتطأطأت له الرؤوس ، وأنصتت إليه الاذان واطمأنت معه القلوب .

---

1) قرأنا كثيراً لأدباء الشرق والغرب ، وبعد الاستقصاء وجدنا أن للحراق مدرسة مستقلة تخوله بحق أن يرتفع إلى مصاف كبار رجال الفكر البشري ، ولو أنه كان على اتصال بالتيارات الفكرية الاوربية ، لأتى المغرب بنابغة يستحق المقام العالمي الدولي ، والعناصر الثلاثة التي ذكرها المؤلف ، كانت منسجمة في فلسفة الحراق ، لا تنافر بينها ، حتى إن بعضها متمم للبعض الآخر ، رغم تخالف الموضوعات .

ت . و .

2) كان رحمه الله قليل الكتابة ، ولولا هذه الرسائل ، التي كان يوجهها لتلاميذه في آفاق المغرب ، لضاعت شخصيته كما ضاعت شخصيات كثير من نوابغ المغرب ، فمن رغب في دراسة الحراق ، فمن هذه الرسائل فليدرسه ، ولم يخلف بعده من يدانيه في ثرواته الثلاث .

ت . و .

تكلم مولاي إدريس الفضيلي في كتابه « الدرر البهية » على الجد الجامع للشرفاء العلميين (1) سيدي أبي بكر بن علي بن حرمة (2) من ذرية الامام ادريس ابن ادريس ، وذكر أن سيدي أبا بكر خلف سبعة أولاد منهم سيدي مشيش (3) والد الشيخ الاشهر مولانا عبد السلام بن مشيش ، وأن سيدي مشيشا هذا أثمر من ثلاثة غصون مباركة ، مولاي عبد السلام ، وسيدي يملح ، وسيدي موسى ، وذكر أن من ذرية سيدي موسى هذا ، الشرفاء الحراقيين ، وبعد أن ذكر أن الشرفاء الحراقيين موجودون بعدة قبائل ومداشر ، وبتطوان وفاس ، قال ما نصه (4) :

« فمن أهل تطوان ، الولي الاكبر ، والبدر المضيء الازهر ، الشيخ العربي ، أبو عبد الله سيدي محمد دفين تطوان ، بن محمد بن عبد الواحد بن يحيى بن عمر بن الحسين بن الحسين (مرتين) بن علي بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن احمد بن الحسين بن مالك بن عبد الكريم بن حمدون بن موسى بن مشيش بن أبي بكر ابن علي بن حرمة » .

وهذه السلسلة نفسها هي التي ذكرها الشيخ محمد بن العربي الدلائي الرباطي تلميذ الشيخ المترجم، إلا أنه ذكر أن والد سيدي عمر، اسمه الحسن بفتح الحاء والسين ، ونحوه في كتاب « بغية المشتاق » للورهيغي ، وهو الصواب . والذي رأيته في رسم صداق والد الشيخ المترجم ، أنه هو : سيدي محمد ، بن عبد الواحد ، بن يحيى ، بن

---

1) كل من كان من ذرية سيدي أبي بكر دفين عين الحديد من قبيلة بني عروس ، يسمى علميا ، نسبة إلى جبل العلم .

والاشراف العلميون أصرح الشرفاء نسبا ، حتى قال قائلهم ، « النسب العلمي بين بقية الانساب ، مثل الشريعة المحمدية بين الشرائع نسخت ما قبلها » . ت . و .

2) بن عيسى بن سلام بن مزوار بن علي الملقب بحيدرة سلطان المغرب ، ابن محمد السلطان ، ابن ادريس الاصغر ، ابن ادريس الاكبر ، ابن عبد الله الكامل ، ابن الحسن المثنى ، ابن الحسن السبط ، ابن أمير المومنين رابع الخلفاء علي بن أبي طالب . ت . و .

3) وسيدي مشيش إلى سيدي مزوار يعبر عنهم بسبعة رجال . ت . و .

4) الدرر البهية ج 2 ص 96 .

عمر ، بن الحسن ، بن علي ، بن عبد الله الحراق الشريف ، ابن محمد ، بن عيسى ، ابن موسى ، بن الحسن ، ابن الولي الصالح سيدي مالك ، بن عبد الكريم ، بن حمدون ، ابن الولي الصالح سيدي موسى ، بن مشيش الخ .

وهذه السلسلة كما ترى فيها بعض مخالفة للتي قبلها ، إذ فيها أن والد عمر هو الحسن بن علي ، لان الحسن بن الحسين بن علي .

وفيها أن عليا هذا ، هو ابن عبد الله بن محمد ، لا محمد بن عبد الله ، وفيها ان والد محمد هذا هو عيسى بن موسى بن الحسين ، لا عبد الله بن يوسف بن احمد بن الحسين .

وفيما عدا ذلك تتفق السلسلتان المذكورتان .

« قلت » الصواب والله أعلم هو ما في السلسلة المثبتة في رسم الصداق المذكور ، إذ ذلك هو الثابت في رسوم قديمة أخرى قد رأيتها بنفسي والله أعلم .

وقد سكن تطوان من رجال هذه السلسلة ، الجد الرابع للشيخ المترجم ، وهو سيدي الحسن ، وقد أقام بها طول عمره وبها توفي وخلف فيها أولاداً ثلاثة ، أحدهم هو سيدي عمر الفقيه الاديب كاتب السلطان المولى اسماعيل ، وهو الجد الثالث للشيخ سيدي محمد رحمه الله .

ولادته ونشأته بشفشاون وقراءته بفاس

لم أقف على من تكلم عن المحل الذي ولد فيه الشيخ سيدي محمد الحراق على سبيل التحقيق ، والمعروف أن والديه كانا بمدينة شفشاون ، وبها تزوجا وأقاما جل حياتهما ، والغالب على الظن أن ولادة سيدي محمد كانت بالمدينة المذكورة ، بل ذكر لي أحد علماء مدينة شفشاون - في إحدى زياراتي لها - أن المتواتر لديهم أن ولادته كانت في دارهم المعروفة حتى الآن - وقد وقفت عليها - بحومة السويقة ، والدرب الذي به تلك الدار ، ما زال معروفا إلى يومنا هذا ، بدرب الحراق ، إلا أني رأيت بعض أهل فاس يصف سيدي محمداً بالفاسي أصلا وولادة ومنشئاً ، وذلك خطأ ، بدليل قوله أصلا ، إذ لم يقل أحد إن أصل سيدي محمد من فاس ، وإنما هو كباقي الاشراف العلميين الذين أصلهم من الجبال الشمالية بالمغرب .

أما تاريخ ولادته فهو عام 1188 - او - 1186 .

وكان والده سيدي محمد بن عبد الواحد الحراق، مشتغلا بالتجارة، وقد استقر بفاس في آخر عمره وبقي بها (ومعه ولده المترجم) إلى أن توفي بها، ولا ندري من الذي

انتقل مع الآخر ، هل الوالد هو الذي انتقل إليها للتجارة، ونقل معه ولده الذي اشتغل بما اشتغل به أولا ثم انتقل للقراءة ، أم إن الولد هو الذي رحل إلى فاس لقراءة العلم، فانتقل معه والداه لمؤانسته والانفاق عليه ، ولعل هذا الاخير هو الواقع والله أعلم (1) .

وذكر الشيخ المهدي بن سودة في كتابه « تحفة الاحباب » أن المترجم رحمه الله كان في صغره محترفا ببعض الحرف ، ثم بعد أن تجاوز العشرين من عمره ، انقطع لقراءة العلوم ، فاشتغل بعلوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير ، فطلع بأفقها نجمه المنير ، بعد ما حصل علم الآلات ، من نحو وبيان ولغة وغير ذلك .

وذكر أنه قرأ علم التعديل ، فكان عليه فيه التعويل ، ونفذ له التوقيت بجامع الرصيف ، في زمن السلطان المولى أبي الربيع رحمه الله .

ثم ذكر أن المترجم رحمه الله لما كان في هذا العهد بفاس ، كان له من الهمة العالية في طيب الطعام ومفاخر اللباس ، ما زاد به على الاتراب والناس ، لا يبالي بأحد من أهل الدولة ، ولا يصيخ لتلك الصولة ، فيستحقر أصحاب تلك المراتب ، وإن لقيهم كان لوجههم المعاتب ، وهو في غاية الوجاهة والظهور ، والعامة يرضون فعله المشكور ، فكان ذلك سببا لامر السلطان أبي الربيع إياه بسكنى تطوان ، إذ هي أقرب حاضرة إلى سلفه الذين بجبل العلم ، فينفع بعلمه المسلمين والاخوان .

وذكر لي حفيده سيدي محمد بن ادريس بن الحسين ، أن جده المترجم رحمه الله كان قد عرف ترجمة جد جده سيدي عمر بن الحسن الحراق الذي أدرك مع السلطان المولى إسماعيل منزلة رفيعة ورتبة عالية ، فتاقت نفسه لادراك مثل ذلك ، وأن حساده عز عليهم بقاؤه بفاس على تلك الحالة الممتازة ، ورأى منافسوه أن في سكناه بالقرب منهم ، خطراً عليهم ، لما امتاز به من العلم والادب ، وعلو الهمة ، وحسن المظهر، فسعوا للتخلص منه بمختلف الوسائل فكان لهم ما أرادوا وأرسله السلطان إلى تطوان .

---

1) ما ذكره المؤلف حفظه الله هو المنقول عن أحفاد الشيخ الحراق ، فانهم يذكرون أنه كان واحد أبويه ، وأكب على العلم وهو بشفشاون ، فلما استوفى ما هو موجود بتلك المدينة ، رغب في الرحلة إلى فاس على عادة الطلبة المغاربة ، فلم يطق أبواه صبراً على فراقه ، فسافرا معه بقصد الاستيطان إلى فاس ، وأخذ هو في طلب العلم، إلى أن بلغ مبلغ الاكابر ، فرغب منافسوه في التخلص منه ، وأشاروا على مولاي سليمان بان يكون الحراق هو الذي يتولى عمارة المسجد الاعظم بتطاون ، ويظهر أن أبويه ماتا بفاس . ت . و .

انتقاله إلى تطوان واستقراره فيها وحياته الاولى بها

رأيت فيما سبق، كيف أن بعض أرباب الجاه والمنافسين للشيخ الحراق من أرباب الدولة وغيرهم بفاس، هم الذين سعوا للتخلص منه رحمه الله، فوقع نقله من فاس إلى تطوان.

والشائع في تطوان أنه لما تم تجديد بناء المسجد الاعظم بتطوان (وهذا التجديد كما هو منقوش فوق بابه الكبير، كان عام 1223 ه الموافق لسنة 1808 م) طلب أهل تطوان من السلطان المولى سليمان، أن يرسل إليهم من فاس أحد العلماء الممتازين ليعمر المسجد المذكور بالدروس العلمية، فبعث إليهم المترجم رحمه الله، وهذا لا ينافي ما سبق، إذ من الممكن أن السلطان لما بلغه طلب أهل تطوان، استشار حاشيته فأشار عليه أولئك المتضايقون من المترجم، بأن يرسل إلى تطوان ذلك الرجل المزاحم لهم، فصدر الامر بذلك وكان ذلك الانتقال.

وذلك أيضا لا ينافي ما يقال من أن بعض كبار العلماء أشار على السلطان بارسال المترجم، لانه كان من أنجب تلاميذه وأكثرهم تحصيلا للعلوم، إذ لا مانع من أن تكون تلك الحاشية الناقمة هي التي أشارت على الشيخ المذكور بذلك، وبعض الشيوخ كثيرا ما يخضعون لذوي السلطة والجاه، بل كثيرا ما يستحسنون آراء ذوي الوجاهة والمال.

ولم أقف على تاريخ انتقال الشيخ سيدي محمد الحراق من فاس إلى تطوان، وإذا صح أنه كان عقب تجديد بناء الجامع الكبير، فانه يكون عام 1223. وكان المترجم إذ ذاك في أواسط العقد الرابع من عمره، وإني أرجح أن يكون ذلك الانتقال في السنة المذكورة، لانهم يذكرون أن الشيخ الصوفي سيدي أحمد ابن عجيبة، اجتمع بالفقيه الحراق قبل تصوفه (وكان ابن عجيبة أكبر سنا من الحراق، إذ كان يزيد عليه بما يقرب من ثلاثين سنة) ودفع ابن عجيبة للحراق تفسيره « البحر المديد » ليطالعه ويقرظه، فأخذ الفقيه الحراق ذلك التفسير على سبيل المجاملة، وقد علم أنه سلك فيه طريق الاشارة الصوفية، فتركه عنده مدة دون أن يفتحه أو ينظر ما فيه، وبعد مدة أرجعه إلى صاحبه دون أن يقرظه، واكتفى بأن يقول، إنه عمل جيد، وقد ذكر فيما بعد أنه أراد بذلك أن تجليده تجليد جيد.

وهذه الحكاية تدل على أن الفقيه الحراق لم يكن في ذلك العهد من أنصار التصوف ، ولا أقول إنه كان من خصومه في الظاهر ، إذ لو كان كذلك لما دفع إليه الشيخ ابن عجيبة تفسيره ليقرظه (1) ، ومعلوم أن الشيخ ابن عجيبة توفى عام 1224 ، ومن الغريب أن يكون اجتماعه بالفقيه الحراق قد وقع عام 1223 والله أعلم .

واستقر الفقيه الحراق بتطوان « وكان في ذلك العهد فقيهاً عالما لا ينتسب للتصوف ولا للمشيخة كما قلنا » .

وأخذ في تدريس العلوم بالجامع الاعظم والخطبة بجامع حومة العيون ، مع اشتغاله بالعدالة والفتوى .

---

1) ابن عجيبة غريب في مبدئه ، والحراق غريب في بلد غير بلده ، وإذا كان الحراق معتزاً بشخصيته ، فانه ما كان ليساير خصوم ابن عجيبة لمجرد الملق ومسايرة الجمهور ، بل إنه يتوقف توقف الحاكم الذي يرى أن جمهور التطوانيين خصوم لابن عجيبة ، فواجب أن ينظر الحاكم إلى حجج الطرفين ، ولعل الحراق بلغته القصة فكره بعض ما فيها من جفاء وتحامل ، وإهانة لاهل العلم والوقار ، ولعل ابن عجيبة طمع في أن يكون الحراق في صفه ، ولا سيما إذا طالع الحجج التي يستند عليها ، وهي موجودة كلها في تفسيره « البحر المديد » فقدم ابن عجيبة حججه كاملة ، وهو واثق من أن الحراق إذا طالع التفسير ، فانه على الاقل ، سوف يرى أن لابن عجيبة وجهة نظر في الجملة ، فيعذره ويناضل عنه ، لكن الحراق عرف كيف يتخلص هذه المرة من الفخ ، فلم يطالع التفسير ، ولم ينظر في الحجة ، لانه إذا عرف بطلانها ، لم يتوقف في أن يكون خصما لابن عجيبة ، وإن عرف صحتها لم يتوقف في أن يكون ضد الجمهور التطاوني ، وليس له من حاجة في ذا ولا ذاك ، ولزم الحياد المطلق فكان موقفه حكيما ، وإذا رجعنا إلى الملابسات ، عرفنا ما كان يتورط فيه الحراق ، لو أنه قرأ تفسير ابن عجيبة ، فانه قطعا كان ينصره ويجلب على نفسه سخط أهل بلد ليس له به من نصير ، ما عدا تلاميذه الذين لم يستكمل عددهم بعد .

ت . و .

نوازل فقهية للشيخ الحراق

لقد كان من الشيء العادي لدى المحققين من الفقهاء المتخرجين من جامعة القرويين بفاس وبالخصوص من يشتغلون منهم بالتدريس والعدالة والفتوى، أن يكون لهم اعتناء بتحرير المسائل الفقهية، وخصوصا ما يقع فيه الخلاف ويكثر فيه الاخذ والرد بين أصحاب الشروح والحواشي والمشتغلين بالفتوى والقضاء.

كما أن من العادي لديهم أيضا، أن ترفع إليهم الاسئلة حول النوازل التي تعرض للمتخاصمين والمتداعين لدى المحاكم الشرعية، ليبدوا فيها رأيهم، ويفتوا فيما يحتاج من القضايا للفتاوي التي كثيراً ما تنير السبيل أمام القضاة فيستندون في أبحاثهم إليها، ويبنون الكثير من أحكامهم عليها.

والفقيه الحراق - قبل أن يصير شيخا صوفيا وعالما ربانيا - كان من هذا القبيل، أي من علماء الظاهر المعتنين بتقييد الفوائد العلمية، وتحقيق المسائل الفقهية، وتحرير النوازل الشرعية.

وقد وقفت له على كثير من التحقيقات في مسائل علمية، وأجوبة فقهية، وفتاوي شرعية، مما يتكون منه تاليف طريف على النسق المعروف لدى الفقهاء في كتب النوازل.

وقد اعتنى تلميذه الفقيه السيد المهدي ابن القاضي بهذا الجانب من إنتاجه العلمي والفقهي قبل تصوفه، فجمع الكثير من ذلك في كتاب جاء في مقدمته ما نصه:

« الحمد لله جامع الفروع والاصول، وملفق شتات العلوم بمعلوم ذاته المنزهة عن الادراك بالعقول، . . . إلى أن قال بعد سبعة سطور:

« وبعد فهذا مجموع مسائل فقهية، وفتاوي شرعية، وعلوم نقلية، اقتطفتها للشيخ الكامل، العارف الواصل، العالم الجليل، الجيد الاصيل، الشريف الحسني ثم العلمي، سيدي محمد بن محمد الحراق رضي الله عنه ونفعنا به «امين» نقلها في حال قراءته علم الظاهر قبل تبحره في علم الباطن، إذ له في علم الباطن علوم ذوقية، ومواهب لدنية، منها ما هو منظوم ومنثور . . .

فهي لاهلها، وهذه العلوم النقلية لاهلها، جمعها عبد ربه الفقير إليه، الغني به محمد المهدي بن محمد بن محمد التودي ابن القاضي العباسي، بإجازة من الشيخ وإذن منه ودعاء منه، خرجتها من مبيضته وخط يده، فنسئل الله تعلى المعونة والتوفيق، إنه هو القوي المقوي والموفق . . . فمن المسائل . . . . الخ.

ويستمر ابن القاضي في ذكر المسائل الفقهية وتحرير ما فيه الخلاف منها ، وجل ذلك مما يعرض من المسائل والمشاكل للمدرسين والعدول والمفتين ، والكلام في ذلك مع شراح مختصر خليل وتحفة ابن عاصم ، ومع أصحاب الحواشي والمؤلفات الفقهية من متقدمين ومتأخرين ، والنفس في جميع ذلك ، نفس عالم مشارك ، محقق مدقق ، أديب لبيب .

وبعد أن يثبت ابن القاضي في ذلك الموضوع ما يقرب من سبعين صفحة ، في كل صفحة نحو ثلاثين سطراً ، يقول :

« انتهى مجموع الفقهيات الدينية ، وهذا مجموع الفتاوي الشرعية » ثم ياتي بعدد من ذلك ، وهنا يقع في الكناش الذي جمع فيه ذلك ، شيء من الابهام ، إذ نجد فيه نحو أربعين صفحة كبيرة في الاجوبة الفقهية المنقولة من خط الفقيه الحراق ، ولكنا لا ندري هل هي من تتمة تاليف ابن القاضي أو هي من نقل صاحب الكناش الذي ياتي بعد كل جواب منها بقوله (من خطه) .

وعلى كل حال ، سواء كان ذلك كله من جمع ابن القاضي أو من جمعه هو مع غيره ، فالكل من الانتاج العلمي والفقهي للشيخ الحراق رحمه الله .

وإني أقدر أن مجموع تلك التحقيقات والنوازل والاجوبة ، لو جمع ، لخرج في نحو مائتي صفحة عادية ، تضاف إلى مثيلاتها من النوازل التطوانية .

وإني أذكر هذا هنا كتاريخ لطور من أطوار حياة الشيخ الحراق بتطوان ، وإن كنت أرى أن المزية الكبرى التي ينفرد بها هذا الشيخ الجليل من بين أقرانه ، إنما هي في منهجه الصوفي وتربيته السامية وإنتاجه الادبي الخالد ، أما التحقيقات الفقهية ، والنوازل الشرعية ، فهي عادية لدى أمثاله من كبار العلماء المتخرجين من جامعة القرويين بمختلف أنحاء المغرب .

هذا جانب من جوانب الحياة الاولى للشيخ الحراق بتطوان ، ومن الطبيعي أن يجد الفقيه الجديد بهذه المدينة ، أنصاراً منصفين يعجبون بعلمه ، ويفتنون بأدبه ، وأن يجد أيضا أشخاصا يغارون من مكانته ، ويتضايقون من مزاحمته ، خصوصا وقد علمنا مما سبق أن حالته حتى بفاس ، كانت مما يثير حسد القاصرين وذوي النفوس المريضة ، فكيف بمدينة تطوان الصغيرة التي لا نسبة بينها وبين فاس .

وقد حكى أخونا ورفيقنا العلامة مولاي التهامي الوزاني في كتابه «الزاوية» (1) عن أهل حومة العيون التي كان الفقيه الحراق هو خطيب الجمعة بمسجدها الجامع ،

---

1) كتاب الزاوية ص 156 .

أنهم كانوا يرغبون في أن يكون خطيب جامعهم من أهل حومتهم ، ولا يستغرب أن يكون بعض المنتسبين للعلم من القائمين بالوظائف العلمية والدينية بذلك الحي ، هم الذين كانوا أكثر الناس خصومة للفقيه الجديد الذي أصبح يزاحمهم في موارد عيشهم ، وميدان عملهم .

ومما كان يتندر به لدى أهل حومة البلد من تطوان ، أن أهل حومة العيون ، بالرغم من أنهم كانوا معروفين بالجد والمروءة والصلابة والتضامن القريب من التعصب لشؤونهم الخاصة ورأيهم فيها ، كان سكان بقية أحياء تطوان يصفونهم بما يصف به بعض أهل الرباط ، سكان جارتهم سلا . . .

ويظهر أن الفقيه الحراق رحمه الله كان في هذا العهد - كما كان شأنه دائما - محافظا على شرفه وكرامته ، معتزا بعلمه وأدبه ونزاهته ، لا يتملق ولا يخادع ، ولا ينافق ولا يداهن ، فكثر خصومه وتآمروا عليه وكانت بذلك نكبته وحسرته ، ثم تلا ذلك خلاصه من محنته وكبوته ، وإعلاء الله لرتبته ، واصطفاؤه لحضرته ، وانقطاعه لذكره وعبادته ، ودعوة الخلق إلى ما يقربهم من رضا رب العالمين . ودونك البيان :

نكبته ومرضه وانعزاله ثم انحياشه لطريق التصوف

تألب الخصوم على الفقيه الجديد وأرادوا الايقاع به ، ولكن ما هو السبيل إلى ذلك والرجل مشتغل بما يعنيه ، تدريس ، وعدالة ، وفتوى وخطابة ، وإمامة ، وهمة عالية، وهو مطلوب من الاعيان ، وموفد من السلطان ؟ . . . لم يكن هناك طريق إلا الدس والخديعة والتدليس ، وقد شرح لنا ذلك صديقنا مولاي التهامي الوزاني حفظه الله بقوله (1) :

« فعمدوا إلى حيلة ليجعلوها حجة في إسقاط الحراق من وظيف خطبة الجمعة ، فلما دان يوم الجمعة والوقت وقت خطبة ، دخل الامام إلى المقصورة ، (يعني مقصورة المسجد الجامع من حومة العيون) (2) ليدخل منها إلى المسجد على العادة ، ولم يغلقها من خلفه ، وقد أرصد له خصومه متتبعين لحركته ، بعضهم خارج المسجد ، وبعضهم داخله ، فلما رأى المراقبون من الداخل أن الامام قد أخذ مستقره من المنبر أشاروا إلى مساعديهم ، فأمروا إمرأة من الفاجرات « كانوا قد زينوها واختاروها من الجبيلات » بأن تدخل إلى المقصورة من الباب الذي بقي مفتوحا ، ففعلت ما أمروها به ، ثم وقفوا على أبواب المسجد يجمعون الناس والكل دهش ساكت إلى أن اجتمع بباب المقصورة خلق كثير ، فإذ ذاك خرجت المرأة كأنها تتسلل لا علم لها بما وراء الباب ، فتهامس الناس في الآذان ، ثم شاعت القضية ، وأقام الناس بينة البينات ، شهد فيها أربعة وأربعون ومائة رجل . وكان الفقيه سيدي عبد الرحمن الحايك هو قاضي المدينة ، وكان يغار من الحراق الذي نازعه في المسجد الاعظم ، فلما جاء الشهود كتبوا رسمهم بذلك ودفعوه إلى عامل المدينة ، وهذا وجهه إلى حضرة السلطان ، فعرف مولاي سليمان

---

1) كتاب الزاوية ص 156 .

2) رب قائل يقول : إن الحراق وجهه السلطان مولاي سليمان في الدرجة الاولى ليعمر المسجد الاعظم الذي بناه السلطان ، وبه كان الحراق يلقي أهم دروسه وهو التفسير ، فلماذا لم يكن يتولى الخطبة بها ، وتولاها بمسجد العيون ؟ والجواب عن ذلك، أن الخطبة بالجامع الاعظم كانت من خصائص القاضي ، فمن جملة ما يحلى به اسمه ، قاضي تطوان ، وخطيب جامعها الاعظم . وكانت المرتبة التي تلي هذا المسجد هي مرتبة الخطبة في جامع العيون ، فان تطاون من الوجهة العملية ، كانت مدينتين متلاصقتين ، لكل واحدة منهما خصائصها ، فالعيون كانت مدينة مستقلة ، حتى إن أهلها في بعض فترات التاريخ ولوا عليها عاملا مستقلا ، ولا يزال اسم القائد الذيب مصاحبا لهذه الفكرة .   ت . و .

أن هذه مناورة مفضوحة ، لانه لا يتصور أن لا يختار الرجل لفجوره الا مقصورة الجامع، وفي وقت خطبة الجمعة ، ولكنه تنازل إلى عقلية الدهماء ، فأمر بأن يعزل الحراق من الامامة والعدالة ، وبقي على خطته في التدريس »ه.

وصديقنا ورفيقنا الاستاذ الحاج محمد بنونة رحمه الله كانت له صلة وثيقة بآل الحراق، وقد كتب حكاية هذه المؤامرة بأسلوبه الادبي كما يلي :

« أتى المتآمرون إلى عاهر مشهورة بتعاطي الفاحشة ، ومعروفة الاسم والعين بين السكان ، وأوعزوا إليها أن تمثل دوراً في الخديعة تكون فيه فضيحة الفقيه الحراق والقضاء عليه .

ونودي للصلاة من يوم الجمعة ، فسعى المومنون في سكينة ووقار ، وجاء المتآمرون من كل حدب ينسلون ، وتفرقوا في الحواري وفق نظام مرسوم ، ودخل بعضهم المسجد ليثيره متى أشار مراقب ، ووقفت المومس قرب باب مقصورة الفقيه في انتظار مريب ، ودلال يلفت الفضول ويثير السؤال .

وجاء الخطيب المسكين بكسائه الرائع وبرنسه الجميل ، يتبختر في ظرفه ولطفه ، تنتشر منه روائح ماء الزهر ونسائم العود الماوردي والناس يفسحون الطريق للفقيه الشريف ، وهو يومئذ في سن ولدان الخلد بين الثلاثين والاربعين ، يغري بجماله ووقاره ، ويثير الاعجاب بملابسه وروائحه ، حتى إذا وقف يفتح باب المقصورة ، انبعثت معه تلك المرأة الجميلة في صورة سائلة تستفتيه في قضية دينية تتعلق بها ، ولما كان الحراق بعيداً كل البعد عن أوساط الزهو والخلاعة ، فهو لا يعرف تلك المرأة المشهورة في المدينة بالفجور ، فوقف لها وأنصت إليها .

حدثني سيدي البشير الحراق (حفيد المترجم) قال : « ان الفقيه جده كان يبغض أن تكلمه امرأة في المحجة أمام المارة حفظا لكرامته ، وبعداً عن مواقف التهم وعن أقوال الناس ، فأدخلها بنفسه إلى باب المقصورة لينصت إليها ، فصاح المتآمرون عندئذ ، اللهم إن هذا منكر ، وسمعهم شركاؤهم بالمسجد فأضجوه إضجاجا ، وجاء الذين تفرقوا في الحواري يحشرون المارة ويثيرون نخوتهم الدينية إثارة ، فوجدوا الذين سبقوهم قد حاصروا المرأة والفقيه في المقصورة حتى تمكن الجم الغفير من الناس من رؤيتهما ، وبذلك استطاعوا أن يقيموا بينة البينات « أربعة وأربعين ومائة شاهد » كلهم يشهدون على الفقيه المسكين بأنه أدخل العاهر إلى مقصورة المسجد في وقت الصلاة والناس ينتظرونه ليخطب عليهم يوم الجمعة » ه .

وأدى هذه البينات، الفقيه القاضي عبد الرحمن الحايك ، وهو ألد خصوم الحراق ، ثم قدمت إلى القائد الحكيم ايرفعها إلى السلطان مولاي سليمان ليرى رأيه في مبعوثه.

أما أستاذنا أبو عبد الله المرير حفظه الله ، فانه كتب في فهرسته المسماة « النعيم المقيم » عن هذه القطية ما نصه :

هناك صار القوم يكيدون له كيداً ، وحاولوا أن يجعلوا بينه وبين إقبال الخلق عليه سداً ، فدبروا له حيلة ذميمة ، كانت قضيتها عند الله عقيمة ، وذلك أنهم انتدبوا امرأة وأوحوا إليها بشيطنتهم أن تنتظر الشيخ رضي الله عنه بباب المقصورة وقت خطبة الجمعة ، وتدلي إليه برسم مبدية أن قضية تستفتيه فيها ، فجاء الشيخ والوقت قد ضاق ولم يتسع لاستقصائها عن قضيتها ، فأمرها بانتظاره في المقصورة ريثما تتم الصلاة والشيخ لا يدري ما يفعل به ، ولم يدر بخلده أن تلك حبالة نصبت له ، ولكن القوم كانوا قد أعدوا لذلك عدة ، وأحضروا للمحضر شهودا عدة ، فكتبوا في ذلك من إفكهم ما أرادوا ، وأعلنوا الناس في الجامع ما افتروا له واجترموا ، حتى التبس الامر على المصلين ، وفتنوا ببهتانهم المومنين ، فانتهج المجتمعون أبواب المسجد انتهاجا ، وتراءى الناس يخرجون من أداء الفريضة أفواجا ، حتى لم يبق مع الشيخ في دائرة المسجد ديار ، إلا الله الواحد القهار ، فعند ذلك ظن القوم أنهم حصلوا على المراد ، وغفلوا أن ربهم لهم بالمرصاد ، فنمقوا وثيقة بما شاهدوا من الحال ، وزوروها بلغو الاباطل والقول المحال ، ورفعوا ذلك لعامل المدينة وهو إذ ذاك ابن يسف المسلماني فقبل منهم ذلك وارتضاه ، ووافق على ما قرره الجمع وأمضاه ، ووجه بذلك إلى السلطان وهو إذ ذك المولى سليمان ، فانخدع بذلك ، ولم يخطر بباله أنه إفك وبهتان ، يحجم عن اختلاقه كل شيطان ، فصدرت أوامره بمقتضى الشكوى ، وأن يعزل الشيخ الحراق عن الخطابة والامامة والفتوى ، فاعترى الشيخ رضي الله عنه اعتلال من هذه البلوى ، ولزم بيته راداً الامر إلى ربه في العلن والنجوى ، صابراً على مكر العدو وكيده ، حتى أتاه الله بالفتح من عنده . . . الخ .

—

« قلت » والذي حدثني به الفقيه الوزير سيدي احمد الغنمية رحمه الله ، أن قائد تطوان في ذلك العهد ، جمع تلك الشهادات ووجهها إلى السلطان ، وأمر الفقيه الحراق بملازمة داره وترك التدريس والعدالة والفتوى وكل ما له علاقة بالعلم والدين من الخطط والاعمال العامة إلى أن ياتي الجواب السلطاني ، فامتثل الفقيه الامر المخزني ولزم داره ، وكان وقع تلك الصدمة العنيفة عظيما على الفقيه النزيه ، فتأسف وتألم ، وحق له أن يتأسف ويتألم ، فما أعظم ألم الرجل الشريف النبيل يحتفظ بكرامته ، ويعتز بشرفه ومروءته ، فيتألب عليه ذوو النفوس الوضيعة ، والاغراض الدنيئة ، فيدسون له ويختلقون ، ويجدون من ذوي النفوذ والشهوات ، آلات يسخرونها تسخيراً ، فيذهب الاشراف النبلاء ، ضحايا لاصحاب الحسد والفجور وأحلاس الطغاة الظالمين .

تألم الفقيه الشريف ، فمرض مرضا شديداً تضاعف أثره حينما جاء الامر السلطاني بتأييد ما فعله قائد البلد من توقيفه عن أعماله ، ولبث الفقيه مريضاً مدة أشرف فيها على الهلاك ، ولعل هذه الفترة هي التي نظم فيها قصيدته المشهورة التي تصور حالته في تلك الظروف أصدق تصوير ، ومطلعها :

أمحمد إني بجاهك عائذ   مما عرى جسمي من الضراء

والتي منها قوله :

ما لي لدفع الضر عني حيلة   يا مصطفى إلا إليك ندائي
ولئن رددت وأنت أول شافع   ترجى شفاعته فمن لشفائي
كلا وحاشا أن تخيب سائلا   قد حل عندك في أعز فناء
والجود شيمتك الكريمة والحيا   وجلائل الرحمات للضعفاء
صلى عليك الله يا خير الورى   كل الصلاة وآلك النبلاء
ما أضحك الرحمن سنك عند ما   تولي الجزيل بكفك المعطاء

ثم يقول فيها مخاطبا من بيده الداء والدواء وهو سبحانه أكرم الكرماء :

ربي به وبآله وبصحبه   والانبياء وسائر الصلحاء
وبحق ذاتك سيدي وكمالها   وصفاتها العليا وبالاسماء
كف الاذى عني بفضلك عاجلا   واغفر رذائل أسفه السفهاء
أنت الغني عن العباد جميعهم   وأنا لفضلك أفقر الفقراء
ولقد وقفت بباب عفوك راجيا   منك الرضا يا أرحم الرحماء
فارحم ولا تردد فإني لم أجد   ربا سواك معافيا من دائي
والحال ضاقت بي ولم أر نافعا   إلا الرجوع لاكرم الكرماء
رب كريم لو يواخذ خلقه   لم يبق دياراً من الاحياء
لكنه غمر الجميع بجوده   والحلم يرغم أنفس اللؤماء

وذكر تلميذه الشيخ محمد بن العربي الدلائي الرباطي أنه لما اشتد به مرضه هذا، قال : سبحان الله فما فائدة هذا العلم والجاه الذي لا يوصل صاحبه إلى الله ، ولا يعرفه بمولاه ، والله لئن عافاني الله ، لادخلن في طريقة القوم ، ولألجأن إلى باب الكريم آناء الليل وأطراف اليوم ، عسى أن يمنحني بالعلم النافع ، والفتح الواسع ، فلما عافاه الله

سبحانه وتعلى، أتى إليه طلبة العلم بتطوان على عادتهم ليقرأ معهم علم الظاهر، فقال لا، إلا أن نقدم شيئا من علم القوم، فطلبوا منه الحكم العطائية، فقال نعماهيه، وشرع في تدريسها بالزاوية الدرقاوية ».

والذي ذكره لي صديقنا الشريف سيدي عبد السلام غيلان حفظه الله، أن أصحاب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي كانوا يجتمعون في زاوية سيدي محمد بن الفقيه بحومة الجنوي، وكانت دار الفقيه الحراق قريبة منها (1) فاجتمع بعض الفقراء الدرقاويين وطلبوا من الفقيه أن يجتمع معهم ويدرس بزاويتهم، فذكر لهم أنه ممنوع من التدريس، فقالوا له، هذه زاويتنا الخاصة ولا سبيل لاحد على ما يقع بداخلها من أنواع العبادات، وصادف ذلك رغبة الفقيه في علم التصوف والاتصال برجال الطريق، فصار يجتمع مع أولئك الفقراء بالزاوية المذكورة، وأخذ يدرس معهم الحكم العطائية، (2) وبقي كذلك إلى أن اتصل بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي رحمه الله.

---

1) ذكر لي حفيد الشيخ الحراق وهو سيدي البشير بن الحسين، أن تلك الدار هي دار بايص الكائنة في نقيبة الجامع الكبير، وهي الواقعة في آخر الزنقة جنب القوس الذي يخرج منه لناحية باب العقلة، وبابها مواجهة تماما لباب دار الفقيه السلاوي.

2) كانت عقلية الحراق مرنة، فاستطاع قبل النظر في كتب التصوف أن يكون محايداً، لا هو مع ابن عجيبة، ولا هو مع جمور التطاونيين، واعتبر الدرقاويون أن حياد مثل الحراق، هو انتصار سلبي لهم، فقد وجد بتطاون فقيه من الدرجة الاولى لا يتحمس لما تحمس له فقهاء تطاون، ومن كان في ضيق مثل الذي عاناه الدرقاويون، يعتبر أن الحياد أحد الانتصارين، فلهذا رأينا علاقات الحراق حسنة مع الدرقاويين من أول يوم، فابن عجيبة يقدم له تفسيره للتقريظ، والدرقاويون من بعد ابن عجيبة يعرضون عليه زاويتهم للاقراء فيها وهو محظور عليه التدريس، والفريقان وإن باعدت بينهما المظاهر، فان الحراق محافظ شديد المحافظة، والدرقاويون ثائرون شديد الثورة، فان الاعتزاز بالشخصية قد جمع بينهما، وكان الحراق واثقا من أن كتب القوم والنظر فيها، لا بد أن يؤدي إلى النفرة من الماديات، وهذا ابن عجيبة الصادق في أحواله، دليل حي على أن للتصوف خاصية عجيبة في تحطيم صنم المادة، وكان الحراق يتخوف من التصوف رغبة في مجاراة الناس، حتى إذا لمس فيهم أنهم لا يتركون أحداً، قرر أن ينظر في كتب القوم، ولم يقرر الانضمام للقوم، لانه يستطيع أن يميز الزائف من الجيد، وهكذا أخذ يدرس « حكم ابن عطاء الله » ولا بد أنه ناظر في غيرها من الكتب بقصد التوسع، فلا يجمل بمثله أن يقتصر في مجلسه على سرد خصوص ما هو بالشرح الذي بين يدي الطلبة، وما كاد يخوض هذا البحر حتى وجده بحره وبحر سلفه، ووجد فيه اطمئنان قلبه، فأدرك ما أدركه الاكابر بمجرد المطالعة، حتى إن مولاي العربي لم يزد على أن أوقد فتيلته النظيفة المشبعة بالزيت المبارك النقي. ت.و.

ومن الثابت في التاريخ ، أنه كان بتطوان فقراء درقاويون قبل ظهور الشيخ الحراق ، بل حتى قبل ظهور الشيخ ابن عجيبة ، وكان للشيخ سيدي محمد البوزيدي الغماري اتصال باولائك الفقراء ، وفي رسائله التي أثبتها في ترجمة الشيخ ابن عجيبة ، تعرض لاولائك الفقراء وذكر لبعض أسمائهم ، وهي من الاسماء المعروفة بتطوان .

اجتماعه بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي

وكيفية اجتماع الفقيه الحراق بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي معروفة متواترة بتطوان .

ذكروا أن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي شد الرحلة إلى قبائل غمارة للتعزية عقب وفاة تلميذه الشيخ سيدي محمد البوزيدي ، وفي أحد الايام ، أمر بعض أصحابه باسراج دابته والذهاب بها إلى تطوان ، وامتثل الفقراء أمر الشيخ ووصلوا إلى تطوان ومعهم الدابة مسرجة ، وذهب الجميع إلى الزاوية ، ولكن الفقراء بقوا في حيرة من أمر الدابة المسرجة ، فقال لهم الفقيه الحراق ، إنما أرسل مولاي العربي هذه الدابة إلي أنا لاركبها وأذهب لزيارته ، ورأى أن الفرصة قد سنحت له للاتصال بشيخ الطريق وتحقيق أمنيته في الدخول في طريقة أهل الله ، فركب الدابة وقصد الشيخ مولاي العربي بغمارة .

وذكر شيخنا أبو عبد الله المرير أن الشيخ مولاي العربي هيأ دابة ووجه بها مع أصحابه من قبيلة غمارة إلى تطوان من غير بيان المرمى الذي أراده بها ، ولا كشف للمهمة التي صرفهم إليها ، إلا أنهم لما وصلوا المدينة ، أطلقوا للدابة عنانها ، وانتظروا أين يكون مرساها ، وفي أي مكان تقف خطاها ، فلم تزل الدابة جادة في سيرها ، موفقة في قصدها ، إلى أن ألقت عصاها ، واستقر بها نواها ، إزاء دار الشيخ الحراق ، التي كانت إذ ذك بنقيبة الجامع الكبير ، فوقف الاصحاب بالباب ، وعلموا أنها مامورة بلا شك ولا ارتياب ، وكان الشيخ الحراق لا زال متأثراً من مكر أعدائه ، ملازما لمنزل إيوائه ، غير مستعد لسفره وانتقاله ، فقال أصحاب مولاي العربي ، اغتنم فرصة هذه الحركة ، واركب الدابة فإنها إن شاء الله كلها خير وبركة ، فركب الشيخ الحراق ، وقصد مولاي العربي حتى اتسق حاله به أي اتساق . . . الخ .

ثم إن الشيخ الحراق رحمه الله لما قرب من المكان الذي كان به الشيخ مولاي العربي ، نزل على عين ماء وتوضأ كما توضأ قبله الشيخ أبو الحسن الشاذلي حين أراد

الاجتماع بشيخه مولاي عبد السلام بن مشيش ، متبرئا من كل علم وعمل إلا ما ياتيه على يد هذا الشيخ .

وقد ذكر الشيخ محمد بن العربي الرباطي أن الشيخ الحراق أخبره بعد ذلك بأنه لم يكن عارفا بقضية الشاذلي مع ابن مشيش ، وإنما هو محض إلهام من الله سبحانه ، ثم وقف على أن ذلك الوضوء هو شرط في الطريقة الشاذلية (1) .

وتقدم الفقيه الحراق إلى الشيخ مولاي العربي فرحب به ترحيبا ، وتعانق الرجلان وارتفعت أصوات الفقراء بذكر الله، ثم دخلوا المكان المعد لجلوسهم ، وابتدأت المذاكرة فقال الشيخ للفقيه ، اذكر الله وذكر في الله .

وذكر ابن العربي الدلائي عن بعض الذين كانوا حاضرين في ذلك المجلس ، أنه لما جلس الفقيه الحراق بين يدي مولاي العربي ، أتت امرأة بآنية من الصامت الحلو ودفعتها لمولاي العربي ، فشرب منها وأعطى فضلتها للفقيه الحراق فشربها ، ثم أخذا في المذاكرة ، فقال مولاي العربي : إن الشيخ الكامل هو الذي يكون في غاية السكر وفي غاية الصحو ، وفي غاية الجذب وفي غاية السلوك ، وفي غاية الفناء وفي غاية البقاء .

فقال له الفقيه الحراق ، يا سيدي ظهر لي بسبب عقلي الفاتر ، وفهمي القاصر، أن هذا جمع بين متناقضين وهو محال ، فقال له مولاي العربي ، ورد في الحديث ، أن لله ملكا نصفه ثلج ونصفه نار، وتسبيحه، اللهم يا من ألفت بين الثلج والنار، فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ، ألف بين قلوب عبادك المومنين ، فشرح الله صدر الفقيه الحراق للفهم وقال ، الآن ظهر لي أن السكر يكون باطنا والصحو ظاهرا ، والجذب والسلوك كذلك ، كما يقال في الايمان والاسلام ، فسر مولاي العربي بذلك وقال له ، والله يا سيدي إلا كذلك ، وصار يكررها ، ثم لقنه الاوراد وأذن له في التربية والتلقين ، ولم يامره بخرق عادة ولا بكشف رأس ولا سؤال ولا لبس مرقعة ولا ذكر في الاسواق ، وإنما حضه على كثرة ذكر الله وجمع القلوب على الله وإخلاص العبودية لله .

---

1) هذه الثقة مثل الثقة التي لنا في الامام مالك ، فاننا ناخذ بما قال وإن لم نعلم حجته فيه ، لا لانا نراه مشرعا ، بل لاننا واثقون من عدالته فلا ياخذ إلا بما هو سنة ، وكذلك التلميذ مع شيخ التربية ، فانه يحسن فيه الظن ، ويراه لا يامر إلا بسنة .

ت . و .

وذكر رفيقنا العلامة مولاي التهامي الوزاني (1) أنه بعد أن انصرف سيدي محمد الحراق من عند مولاي العربي قال له بعض كبار أصحابه ، غفر الله لك يا سيدي ، كم لنا في صحبتك من زمان ، ومع ذلك لم نصل منك إلى درجة الكرامة التي أكرمت بها الفقيه الحراق ، فقد دفعت له الامانة مرة واحدة دون أن يتكلف لذلك أقل كلفة ، فقال مولاي العربي ، إننا لم نزد سيدي محمد الحراق شيئا على كوننا أوقدنا فتيلته ، فقد جاء ومصباحه صاف نظيف ، وقد وضع في أسفله ماء نقيا وصب عليه زيتا يكاد يضيء من صفائه ، ووضع فيه فتيلة نقية لا تحتاج إلى تقويم ولا تهذيب ، ثم طلب منا أن نوقده له ففعلنا » .

وقد قدر مولاي التهامي أن هذا الاجتماع كان حوالي عام 1233 (2) .

والذي ذكره تلميذه الشيخ محمد بن العربي الرباطي (وتبعه على ذلك الشيخ محمد ابن جعفر الكتاني في كتابه سلوة الانفاس) أن ذلك كان عام 1228 وأن عمر المترجم كان إذ ذاك نحو أربعين سنة .

وإذا ثبت أن مولاي العربي الدرقاوي قام بتلك الزيارة لغمارة عقب وفاة تلميذه البوزيدي ، فان تلك الزيارة كانت عام 1229 ، لانه هو العام الذي توفي فيه البوزيدي المذكور والله أعلم .

---

1) كتاب الزاوية ص 166 .

2) ما هو مذكور في كتاب الزاوية، لا يعتمد في شيء على المراجع المكتوبة، وكله من المسموع عن الناس ، فلا يعتمد كثيرا بما فيه من التاريخ .

ت . و .

(التهامي الوزاني)

تصوفه ومشيخته بتطوان

وشيخنا أبو عبد الله المرير، كان وما زال من أكبر العلماء التطوانيين المؤيدين للطريقة الدرقاوية المناضلين عنها، الموفقين بينها وبين غيرها من طرق أهل الله، وأبوه الشيخ الفاضل سيدي محمد المرير، كان هو مقدم الزاوية الدرقاوية بتطوان إلى أن لقي الله، ولقد صور لنا شيخنا المذكور حالة الشيخ الحراق عند اتصاله بالشيخ مولاي العربي تصوير المحبين المعجبين، فقال حفظه الله في فهرسته المسمى « النعيم المقيم » ما نصه :

ثم إن الشيخ الحراق رضي الله عنه بعد اتصاله بشيخه الدرقاوي، أقبل عليه بقلبه وقالبه، وصاحبه بظاهره وباطنه، وتخلى عن سائر أقواله وأفعاله، وتجرد عن كل أشغاله في عامة أحواله، فوجد الشيخ منه عالما مطهر السريرة، قابلا لكل ما يلقى إليه في لحظات يسيرة، إذ كانت نفسه مهذبة لانطباع الانوار، وصدره متسعا مستشرفا لتلقي تلك الاسرار، فألقى إليه بمكنون ودائعه، ونظر إليه نظرة ملأت بحقائقها جميع عوالمه، وحصل الشيخ الحراق على مراده، وملأ حقيبته من حينه بما لقنه الشيخ من أوراده، وامتلأت منه الارجاء، وتلألأت منه بما أوقده الشيخ له من الاضواء، ثم استاذن في الرجوع، فأذنه الشيخ فانصرف ومسك الفتح على طلعته يضوع، ولما غار منه بعض أصحاب الشيخ الدرقاوي وعرضوا له باللوم في هذا الفتح السريع الذي منحه الله للشيخ الحراق، أجابهم الشيخ بما هو ذائع على ألسنة الفقراء، إن الشيخ الحراق وجدت فتيلته مزيتة، فلم نزد على إيقادها، أي إن الشيخ الدرقاوي لم يحتج مع الشيخ الحراق إلى تأديب وتهذيب وتربية الخ .

هكذا خرج الحراق من تطوان إلى غمارة وهو فقيه مدرس من علماء الظاهر، وبعد فترة قصيرة عاد إليها وهو شيخ صوفي من أكابر علماء الباطن .

وهكذا استقر هذا الشيخ الجليل بمدينة تطوان ثانيا وقد أسبغ الله عليه من جديد نعمة العافية في الظاهر والباطن، وعاد إليه نشاطه الجسمي والروحي بما امتلأ به قلبه من حب لله، وإعراض عن زخارف الحياة الدنيا ووظائفها الصورية، ومظاهرها الفارغة، فالتف حوله أنصاره الذين كان لهم من الثقة فيه والاعجاب بعلمه وأدبه ونزاهته، ما جعلهم يحبونه ويلقون بقيادهم إليه، فأخذ يعلمهم ويرشدهم ويربيهم التربية الصوفية الصحيحة الحقيقية، التي تطهر القلوب، وتصفيها من العيوب، وتجعل صاحبها عبداً مخلصا لله، محبا صادقا لرسول الله، واقفا مع الكتاب والسنة، مستحضراً في جميع أوقاته

أن هذه الدنيا الفانية ، إنما هي قنطرة للآخرة الباقية ، وأن أفضل ما يعمله المرء في هذه الحياة الموقتة ، إنما هو تخصيص الله سبحانه بالعبادة ؛ واعتقاد ان النافع والضار ، والمحيي والمميت ، إنما هو الله وحده لا شريك له ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وأن المومنين جميعا إنما هم إخوة ، وأن الخلق كلهم عيال الله ، وأن أحب الخلق إلى الله ، أنفعهم لعياله ، وذلك كله هو لب الشريعة الاسلامية ، وبهذه الحياة الجديدة للحراق في تطوان ، أصبح شيخنا من شيوخ التربية ، وإماما من أئمة الصوفية.

ثم صارت طريقته الدرقاوية الحراقية تنتشر في مختلف مدن المغرب وقبائله ، وفي مقدمة المدن ، مدينة فاس ، العاطرة الانفاس ، إذ كان الشيخ الحراق يتردد عليها بكثرة ، فيتصل بالمنصفين من علمائها ، ويلقي في زاويته بها من دروس التفسير لكلام الله العزيز، ما جعل كثيراً من العلماء الاخيار يتلمذون له ويستفيدون من علومه، وبذلك هدى الله به أقواما كانوا ضالين ، وتنبه أناس كانوا غافلين ، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

سنده في الطريقة الصوفية الشاذلية

قلنا ، إن الشيخ الحراق رحمه الله ، أخذ الطريقة الدرقاوية عن شيخه مولاي العربي الدرقاوي ، وطريقة مولاي العربي هي الطريقة الشاذلية ، وسند مولاي العربي في هذه الطريقة كما يلي :

مولاي العربي الدرقاوي
عن الشيخ علي الجمل
عن الشيخ العربي بن عبد الله
عن أبيه الشيخ أحمد بن عبد الله
عن الشيخ قاسم الخصاصي
عن الشيخ محمد بن عبد الله
عن الشيخ عبد الرحمن الفاسي
عن أخيه الشيخ يوسف الفاسي
عن الشيخ عبد الرحمن المجذوب
عن الشيخ علي الصنهاجي ، الملقب بالدوار

عن الشيخ ابراهيم أفحام (1)
عن الشيخ احمد زروق
عن الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي
عن الشيخ يحيى القادري (2)
عن الشيخ علي بن وفا
عن أبيه الشيخ محمد بحر الصفا
عن الشيخ داود الباخلي
عن الشيخ احمد بن عطاء الله
عن الشيخ أبي العباس المرسي
عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي

ورجال هذه السلسلة ، أعني من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي إليه تنسب هذه الطريقة ، قد نظم أسماءهم شيخنا أبو عبد الله المرير في قوله :

والسند الدرقاوي إن رمت السنن ... فخذ رجاله إلى أبي الحسن
فابن عجيبة عن البوزيدي ... عن سيدي العربي الامام المهدي
والعارف الحراق أخذه اتصل ... بالدرقاوي وعلى الفتح حصل
عن سيدي علي المكنى بالجمل ... عن ابن احمد مبلغ الامل
عن احمد عن الخصاصي الآسي ... عن عابد الرحمن طود فاس
عن سيدي يوسف قطب المغرب ... عن شيخه المجذوب حلو المشرب
عن شيخه المشهور بالدوار ... عن سيدي الفحام ذي الانوار
عن زروق عن الامام الحضرمي ... وهو ليحيى القادري ينتمي
عن قطبهم وهو علي بن وفا ... عن سيدي محمد بحر الصفا
عن شيخه الباخلي من ذوي الهمم ... عن الامام ابن عطاء ذي الحكم
عن شيخه المرسي عن أبي الحسن ... حامي الحقيقة وحافظ السنن

1) ذكره بعضهم باسم ابراهيم الحاج والصواب أفحام ، وهو دفين جبل زرهون .

2) ذكره بعضهم باسم محمد القادري والصواب كما في مرآة المحاسن وابتهاج القلوب أنه أبو زكرياء يحيى بن أحمد الشريف القادري .

ومن المعروف أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي أخذ عن الشيخ عبد السلام بن مشيش ، وهذا أخذ عن الشيخ عبد الرحمن المدني

عن الشيخ تقي الدين الفقير

عن الشيخ فخر الدين

عن الشيخ نور الدين أبي الحسن

عن الشيخ تاج الدين

عن الشيخ شمس الدين

عن الشيخ زين الدين القزويني

عن الشيخ ابراهيم البصري

عن الشيخ احمد المرواني

عن الشيخ أبي محمد سعيد

عن الشيخ فتح السعود (1)

عن الشيخ سعيد الغزواني

عن الشيخ أبي محمد جابر

عن سيدنا الحسن بن سيدنا علي

عن سيدنا علي بن أبي طالب

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

هكذا يذكرون هذه السلسلة ، ومن أراد زيادة البيان عن رجالها فليرجع إلى « مرآة المحاسن » للشيخ أبي حامد العربي بن يوسف الفاسي ، وابتهاج القلوب لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي رحم الله الجميع .

1) ذكر بعضهم أن هنا واسطة بين الشيخ أبي محمد سعيد والشيخ فتح السعود ، وهذا الواسطة هو الشيخ سعد ، والله أعلم بالصواب .

موقف مولاي العربي من تلميذه الحراق بعد تصوفه ومشيخته

يحكي الفقراء الدرقاويون - بتطوان وغيرها - أن مؤسس الطريقة الدرقاوية الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، اجتمع ذات يوم مع تلميذه الشيخ سيدي محمد البوزيدي الغماري في جامع القرويين بفاس، فقال مولاي العربي للبوزيدي، أريد أن يكون معنا في هذه الطريقة عالمان من علماء الظاهر ليدافعا عنها ويناضلا من يعارضها، فقال له البوزيدي، أما أنا فقد وجدت صاحبي، وهو بذلك يشير إلى تلميذه الشيخ أحمد ابن عجيبة الذي كان دخوله في الطريقة الدرقاوية على يده بعد أن كان من كبار علماء الظاهر بتطوان، فلما سمع مولاي العربي ذلك، ثنى سبابته وغمسها في الماء، وصار يقلبها هنا وهناك كما يفعل صائد السمك في النهر، ولعلهما كانا جالسين في صحن المسجد حيث يوجد الماء، يشير بذلك إلى أنه ما زال يبحث عن صاحبه.

ومضت الايام ومات الشيخ البوزيدي بعد أن مات صيده ابن عجيبة، وذلك بعد أن أنقذ الله بهما الجم الغفير من العصاة والغافلين، وهيأ الله الاسباب، فاجتمع الشيخ مولاي العربي بالشريف الحراق وهو يومئذ فقيه مفتي مدرس، من جملة علماء الظاهر بتطوان أيضا، فلم يفارقه إلا وهو شيخ من شيوخ الصوفية، وإمام من أئمة التربية.

وهنا يقول شيخنا أبو عبد الله المرير ما نصه:

« لما حقق الله للشيخ الدرقاوي ما كان يؤمله من دخول عالم من علماء الظاهر في طريقه، ليكون حرسا شديداً على من ينتقد على فريقه، اتخذ الحراق من عمده التي يعتمد عليها، وحججه الدامغة التي يستند إليها، فكان يجله ويرفع من قدره، وينوه بذكره، ويخاطبه في رسائله خطاب الاكفاء، ويقيمه في ذلك مقام النواب عنه والوكلاء».

رسالة من الشيخ الدرقاوي إلى الشيخ الحراق

وكدليل على ما ذكره شيخنا المرير (حفظه الله) أثبت هنا رسالة كتبها الشيخ مولاي العربي إلى تلميذه الشيخ الحراق ونصها كما وقفت عليها بخطه رحمه الله :

الحمد لله وحده صلى الله وسلم على من لا نبي بعده

إلى من نحن وإياه ذات واحدة ، نحب له ما نحب لانفسنا ، ونكره له ما نكره لانفسنا ، والله تعلى مطلع علينا ، السيد الجليل الشريف الاصيل ، الفقيه الوجيه المعظم المحترم البركة العالم العلامة ولي الله تعلى أبي عبد الله سيدي محمد الحراق الحسني العلمي وكافة أهل محبتنا حيث ما كانوا بالمدينة التطوانية دفع الله عنها كل بلية ، وبنواحيها ، سلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته .

أما بعد إني أنصحكم لله وفي الله وابتغاء مرضاة الله ، ونصحي إياكم أن تكونوا دائما على السنة المحمدية ، التي هي الحصن المانع من كل بلية ، أو التي هي سفينة النجاة ، ومعدن الاسرار والخيرات ، وإذا تحيرتم في أمر من أموركم ، وضاقت منه صدوركم واشتد منه أمركم فلا تخوضوا فيه ، أي فلا تدبروه ولا تختاروه كما هو شأن جل الناس ، أو كما هو شأن أهل الغفلة لطف الله بنا وبهم ، بل اشتغلوا بما أمركم به ربكم ، إما صلوا ما شاء الله أو اتلوا ما شاء الله ، أو اذكروا لا إله إلا الله ، ما شاء الله ، وهكذا فان الله تعلى يجعل لكم فرجا ومخرجا كما جعل لاوليائه رضي الله عنهم ونفعنا وإياكم ببركاتهم والسلام .

وكتبه العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي لطف الله به آمين .

نزيل قبيلة بني زروال حرسها الله

ومن تمامه مؤكد عليك يا سيدي محمد الحراق ، أن تضيف المذاكرة هذه إلى إخواتها ، وقد قيدناها وحدها منفصلة عما قبلها وبعدها ، وقد أخبرتني فيما مضى بشرح على الحكم العطائية وجدته هنالك ولم تذكر لي مؤلفه فأحبك أن تذكره لي لعلي أعرفه لاني سمعت كثيراً ممن شرح الحكم ولا أعرف حقا الا سيدي ابن عباد وسيدي الشطيبي وسيدي التادلي لا نكره أن يفتح الله علينا في شرح أكبر مما نعرف وفوق كل ذي علم عليم . ومنتهى العلم إلى الله العظيم وما تأخرنا في المجيء إلى تجساس إلى الآن إلا لاجل المرض الذي بالدنيا والموت والفتن ، وإذا سلم الله عباده وتكرم عليهم وعلينا بالعافية ، فلا يفيدنا إلا المجيء إلى ملاقاتكم بتجساس ، (1) وأما خبر الدنيا فالله تعلى يلطف بنا وبسيدنا نصره الله ورعيته والمسلمين جميعا ، اه من خطه .

1) تجيسات ، مدشر من مداشر قبيلة بني زيات الغمارية .

وله من رسالة أخرى : « ونؤكد على سيدي محمد الحراق الشريف العالم أن يسرد مذاكرتنا هذه وغيرها على سائر أهل محبتنا أهل ناحيتك بارك الله في جميعهم اهـ .

هكذا كان الشيخ الصالح مولاي العربي رحمه الله يحترم تلميذه الشيخ الحراق ويعظمه ويصفه بالاوصاف الجليلة ، وكذلك ينبغي لكبار العقول وأصحاب النظر البعيد من الشيوخ والاساتذة والوالدين وسائر المصلحين .

أما الشيخ الحراق وحاله مع شيخه مولاي العربي ، فكان - كما قال تلميذه الدلائي - لا يذكره إلا بالتعظيم الكبير ، والثناء الكثير ، ويقول ، مولاي العربي هو العارف بالله ، العالم بالله ، ويشهد له بالمشيخة العظمى ، والحال الاسمى ، ويقول ، هو أستاذنا وسندنا ووسيلتنا إلى الله سبحانه ، وإذا ذهب لزيارته يقول لاصحابه ، إنما أنا واحد منكم ، فلا تفعلوا معي أدبا بحضرة الشيخ أبداً ، ويجلس بين يديه متأدبا خاضعا ، منصتا خاشعا مستفيداً ما يسمع منه أو يرد عليه من قبله كعادة أهل الصدق مع مشائخهم . . . الخ .

وبهذه المناسبة ، يجمل بنا أن نشير إلى أن العلاقات بين الشيوخ والتلاميذ ، وبين الوالدين والابناء ، أو بين الكبار والصغار على العموم ، كثيراً ما تتعرض لاخطار تزل فيها الاقدام ، لا فرق في ذلك بين أقدام الكبار وأقدام الصغار ، إذ أن بعض الشيوخ يستمرون في معاملتهم لتلاميذهم حتى بعد تحصيلهم وتفوقهم ، كما كانوا يعاملونهم عند ما كانوا طلبة صغاراً مبتدئين مستفيدين ، وذلك خطأ ، وهنا موطن الخطر .

وكذلك بعض الآباء والامهات مع أبنائهم ، لا يكبر في عيونهم أولئك الابناء ولو كبر سنهم وصاروا بالغين ، مفكرين منتجين ، أو آباء لبنات وبنين ، وذلك خطأ أيضاً ومثل ذلك يقال في بعض شيوخ التربية .

أما من ناحية التلاميذ والصغار ، فإننا نجد بعضهم يكبر عقله ، ويغزر علمه ، ويتسع صدره ، وتحسن أخلاقه ، فيتحمل كل ما يأتيه ممن لهم عليه فضل ولو كان صعبا قاسيا ، ويستمر في تعظيمه وبروره إلى أن يقع الافتراق على أحسن حال ، وذلك شأن الابرار من عقلاء الرجال .

أما البعض الآخر فإنه - والامر لله - يعجب بعلمه أو بثروته أو جاهه ، ويتنكر لغيره تنكراً فتتغير القلوب ويقع الجفاء الذي قد تعقبه القطيعة أو العداوة ، وذلك شأن ذوي العقوق من مرضى القلوب وخبثاء النفوس ، وهو شيء لا موجب له ما عدا الغرور وضيق الصدر وظلام الافق والاعجاب بالنفس أو بالرأي ، وذلك ما يتضرر منه الجميع ، وقد يكون ضرره على المجتمع ، أكبر من ضرره على الافراد .

والحق أن كل جانب من مختلف الجوانب ، له حق وعليه واجب ، فلكل واحد أن يحافظ على كرامته ، وأن يحترم الناس له تلك الكرامة ، لا فرق في ذلك بين كبير وصغير ، وعليه أن يحافظ على كرامة غيره ، وبالخصوص إذا كان ذلك الغير من الآباء أو الشيوخ ، شيوخ العلم أو شيوخ التربية والارشاد ، بل حتى شيوخ الحرف والصنائع ، وهنا نستحضر الحكمة القائلة ، الخير بالخير والبادي أكرم ، وينبغي بل يجب أن لا يكون بين الآباء والابناء ، والشيوخ والتلاميذ ، أي نوع من أنواع الشر حتى يقابل بمثله ، ونعوذ بالله من الشر وأهله ، وما أحق أهل العلم والفضل بمراعاة حقوق الوالدين والشيوخ ولو كانت معاملتهم شاذة أو قاسية ، لان أيام الاجتماع محدودة ، وحوادث الدهر متجددة ممدودة .

وما أجدر الكبار المنتجين ، بأن يتعهدوا غرس أيديهم ، ويجنوا ثمرة إنتاجهم ، ويستفيدوا من نتيجة جدهم واجتهادهم ، على أن ميدان العمل الصالح فسيح يسع الجميع ، وحسن الاخلاق والتعاون والتواضع لاهل الفضل ، والاحسان للمستحقين ، كل ذلك يسعد صاحبه ويجعله محبوبا أينما كان ، وفي ذلك صلاح المجتمع ، وذلك ما يعمل له الصالحون المصلحون .

ونحن عندما نبحث في العلاقات بين الشيخين ، الدرقاوي والحراق ، نجد الشيخ الدرقاوي كما رأيت ، ونجد أن الشيخ الحراق بالرغم من تفوقه في العلم والادب وقوة العارضة ، ظل وفيا لشيخه ، محافظا على تعظيمه واحترامه والبرور به . وذلك شأن الرجال الذين من الله عليهم بسعة الصدر وحسن الاخلاق وبعد النظر ونعمة البرور ، ومن يصلح نفسه أولا ، يحق له أن يسعى في إصلاح غيره ، والهداية من الله .

حالة الشيخ الحراق بعد تصوفه وموقف علماء تطوان منه

وهكذا عاد الفقيه الحراق إلى تطوان بعد أن دخل في طريق القوم وأصبح شيخا صوفيا ولكنه عالم ديني كبير ، وذكر تلميذه السيد محمد بن العربي : « أنه لما رجع إلى منزله ، دخل بيته واعتكف على ذكر الله ، معرضا عما سواه ، إلى أن فتح عليه رضي الله عنه بالكشف الرباني ، والشهود العرفاني ، والعلم اللدني النوراني ، فاشتغل رضي الله عنه بتقييد الواردات ، مواجها بخلع نقاب المخدرات ، فظهر سر الاذن عن قريب ، وعومل بالمواهب من حضرة الحبيب » .

وبذلك صار الفقيه الحراق في هذه المدينة ، هو الشيخ الصوفي المتصدى لتلقين الاوراد وتربية المريدين وهداية المسترشدين ، معتمدا على العلم الصحيح الذي هو العمل بالكتاب والسنه ، مع تدريس التفسير ، بعلمه الغزير .

وعند ما تصدى تلميذه الدلائي للكلام عن الذين أخذوا عنه الطريق الصوفية قال: « وقد أخذ عنه رضي الله عنه خلق كثير لا يعد كثرة من طلبة العلم وأعيان الناس ، وأهل الاعتناء بدينهم من أهل فاس ونواحيها كصفرو والبهاليل وجبل كندر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمداشر من نواحي تطوان وجم غفير من أهل تطوان ، وأما شفشاون كاد أهلها كلهم أن يدخلوا في طريقته» .

وكان الناس معه بتطوان ما بين معتقد متلمذ ، (1) ومنكر معاند ، شأن الناس مع أمثاله في كل زمان ومكان .

والمعتقدون في مثل هذه المواقف ، يندفعون قلبا وقالبا للتأييد والبذل والخدمة والبناء ، أما المعاندون فحظهم في الغالب هو التنكيت والتثبيط والاستهزاء .

ويذكر أن من كبار الاشخاص الذين كانوا يقاومون الشيخ الحراق ، قاضي تطوان في ذلك العهد وهو الفقيه الحايك ، (2) ولعل تطوان كانت في ذلك العهد ما تزال

---

1) هذا في شأن الخصوصية ، أما علم الشرع فما نازع منازع في أن له فيه القدح المعلى . ت . و .

2) بعد المعركة الهائلة بين الصوفية والفقهاء بتطاون ، ظهر أن النصر كان حليف الصوفية ، لانهم لم يتقهقروا ، بخلاف الفقهاء ، فانهم أرخوا الستار على الماضي وتركوا الصوفية وشأنهم ، إلى درجة أن منع الحراق من التدريس ، كان حكما لا يعم أمكنة اجتماع الصوفية ، وبقيت طائفتا الخراب والسلوك قائمتين إلى آخر لحظة ، ولم يضر أهل التجريد أن الحراق كان من السالكين . ت . و .

بها بقية من خصوم الشيخ ابن عجيبة « الشيخ السابق للدرقاوية بتطوان » ولعل قضية سجنه وانتقاله من السكنى بتطوان إلى البوادي ، لم تكن منسية عند القوم ، ولا يخفى ما كان هناك من الشبه بين ابن عجيبة والحراق ، إذ كل منهما كان أولا من كبار الفقهاء البعيدين عن التصوف والمشيخة ، ثم زهد في مظاهر الفقهاء وحياتهم ، وانخرط في سلك الصوفية وصار لسان التصوف وداعيته .

ونبحث في تلاميذ الشيخ الحراق بتطوان في هذا العهد فلا نجد من بينهم رجالا من أهل العلم ، مما يدل على أن علماء تطوان وفقهاءها في ذلك العهد لم يكونوا من أنصار التصوف والزهدو الانقطاع عن الحياة الدنيا وزينتها، بل كانوا إلى السلفية والاتزان والاعتدال ، أقرب منهم إلى الانقطاع للعبادة والاعراض عن التمتع بالخيرات والطيبات والزهرات .

حدثني الفقيه العدل الشريف سيدي أحمد بن مفضل أفيلال عام 1360 وكان قد تجاوز الثمانين من عمره ، أن جده الفقيه العدل سيدي محمد بن الهاشمي أفيلال مر بباب الجامع الكبير فسمع ضجيجا فسأل فقيل له إن الفقيه الحراق يدرس التفسير : فضرب الارض بعصاه وقال : المدينة بلا محتسب ، يعني أنه لو كان في المدينة محتسب قائم بواجب تغيير المناكر لمنعه من تدريس التفسير ، (1) هكذا كانت عقلية القوم .

وفي الوقت نفسه حدثني سيدي أحمد المذكور ، أن والده سيدي المفضل أفيلال كان من التلاميذ الذين يحضرون درس الشيخ الحراق (2) ويعجبون بعلمه ومعرفته وأنه أثناء بعض دروسه التفسيرية بالجامع الكبير ، استطرد الكلام على علم التصوف ، فأطنب في ذلك وأبدأ وأعاد ، فاتفق سيدي مفضل مع السيد بناني الرباطي الذي كان جالسا حذاءه في الدرس ، على أنه بمجرد انتهاء الشيخ من درسه يتقدمان إليه ويطلبان منه تلقينهما الورد الدرقاوي ، إلا أن الشيخ قبل أن ينتهي من درسه ، قال :

---

1) كان رأي الناس أن القادرين على درس التفسير قد انقطعوا   ت . و .

2) بعد ورود الحراق على تطاون تقدمت بها الحركة العلمية تقدما محسوسا ، وأصبح الطلبة يفدون على تطاون بقصد تعاطي العلم ، فضلا عن إقبال التطاونيين على العالم الفاسي الجديد ، ومن بين الطلبة الذين وردوا على تطاون ، ليدرسوا في الدرجة الاولى على الشيخ الحراق ، سيدي محمد الخلنجي اليدري ، فهذا صحب الشيخ لاخذ العلم لا لاخذ الطريق ، ولكنه تصوف فيما بعد ، وما كان الحراق صاحب تخليط ، فكان فقيها مع الفقهاء ، صوفيا مع الصوفية ، أديبا مع الادباء .   ت . و .

ينبغي لطالب العلم أن لا يسرع إلى الدخول في طريق التصوف ، بل يتربص إلى أن يتم دراسته ويتبحر في علم الظاهر الخ . فكان ذلك الكلام سببا في عدول سيدي مفضل عن التقدم إليه والاخذ عنه.

والذي يظهر أن ذلك كان قبيل وفاة الشيخ الحراق بقليل ، وكان سيدي مفضل في ذلك العهد ما يزال عمره دون العشرين .

أما السيد بنافي فبقي على فكرته وتقدم إلى الشيخ وأخذ عنه ، ثم لا نجد تفاصيل وافية عن حياة الشيخ الحراق في هذه الفترة، ولعلها كانت حياة هدنة وانتظار ، قد اشتغلت فيها كل طائفة بما يعنيها ، وما بعد الزوابع إلا الهدوء والاطمئنان .

أما المدة التي عاشها الشيخ الحراق بعد تلك الفترة ، فان أوقاته فيها كانت عامرة بالجد والعمل المفيد ، وبذلك قضى رحمه الله جل النصف الاخير من عمره بعيداً عن السفاسف ، منقطعا للعلم والعمل ، ما بين إلقاء دروس في التفسير ومختلف العلوم الاسلامية، وعبادة وذكر وتوجيه وتربية وإرشاد.

حول تأسيس زاويته بتطوان

وتصدى الشيخ سيدي محمد الحراق رحمه الله للمشيخة، والتربية - كما رأيت - فأقبل الناس عليه نظراً لعلمه وصلاحه، وكان في أول أمره يجتمع في تطوان بالمسجد الاعظم الذي يظهر أنه عاد لالقاء دروسه التفسيرية فيه بعد أن تبدلت الاحوال.

قال صديقنا ورفيقنا مولاي التهامي الوزاني حفظه الله (1):

« وقبل أن يبني الزاوية كان يكتفي بأن يحضر هو وأصحابه ويجتمعوا في المسجد الاعظم، وهناك كان يذكرهم ويرشدهم وكان يحضر مجلسه كثير من أهل الدين والورع، سواء كانوا آخذين عنه أم لا، وقد طاب المجلس ذات يوم وانتشى الحاضرون من أثر ما يسمعونه من الشيخ من الاسرار الجديدة التي كان يفتح الله عليه بها، فقام بعض الحاضرين يتواجدون، وكان القاضي الحايك بالمقصورة من الجامع الكبير، فلما سمع حس الذكر والرقص، قبض في يده عصا الخطيب، وخرج مرتاعا قاصداً للحلقة فطفق يضرب الفقراء وهم يرقصون، فغضب الشيخ الحراق وأمر أصحابه بالانصراف إلى الدار، فلما اجتمعوا قال لهم: « من كان منكم ملصقا بالعجين فليسقط » ثم ترك الشيخ الموضوع الذي كان يدرسه من التفسير، وطفق من الغد يفسر قول الله تعلى: « ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها » فذكر في ذلك أسراراً عظيمة وحمل على القاضي ضمنا حملة شعواء، واستمر في تفسير هذه الآية بضعة أسابيع والناس يتواردون من كل جهة ليسمعوا قول الشيخ ويروا ما ذا يفعله القاضي، فتزعزع القاضي عن موقفه وتحمل التهجم عليه حيث أبى من الانتصار ».

والقاضي المذكور هو الفقيه السيد عبد الرحمن الحايك المشهور، وكان من أكبر علماء عصره، ويظهر أن هذه الحادثة وقعت أثناء ولايته الثانية لقضاء تطوان، وكانت تلك الولاية بين سنتي 1229 - و - 1231.

ثم قال مولاي التهامي:

« ثم إن الشيخ الحراق فهم عن الله، فلو كان مراده تعلى أن لا يتخذ الحراق زاوية، لما سلط عليه القاضي يجعل الفقراء ينفرون من بيت الله خشية الاذى، فتعلقت همة الحراق باتخاذ زاوية يجتمع فيها الفقراء للذكر والمذاكرة دون أن يكدر عليهم وقتهم أحد، فأخذ يتخير الامكنة الصالحة لاقامة الزاوية، وكان أولا يهتم بأن

1) كتاب الزاوية ص 172.

يقيمها في روض قرب الدار ، وهو الذي بنى فيه الحاج العربي بن المهدي بنونة دار سكناه ، ثم انتقلت من بعد وفاته إلى سيدي أحمد ابن عبود ، فقد كانت هنالك عرصة يتسع فيها الشيخ الحراق ، وبها كان يذبح الذبائح وينزل الواردون ، فارتأى الشيخ أن يبني هنالك زاوية ، ثم استخار الله في ذلك وطلب منه سبحانه أن يهديه إلى المكان المناسب ، فكشف الله له عن عمود من النور قائم من الارض ، ثم ارتفع إلى السماء فأخذ يتبع العمود إما بالهمة والفكر والارادة ، وإما بالقدم والسعي ، فاذا بالعمود يصعد من أسس الزاوية الحالية تجاه باب المقابر من تطوان ، وكانت هناك خربات فأخبر أصحابه بما كشف له من شأن الزاوية فتصدى رجل من أصحابه يقال له توكورت وهو مدفون إلى جنب الشيخ سيدي محمد الحراق والقبة الخشبية فوق قبريهما معا . وذكر للشيخ أن له أموالا من الحلال الخالص يريد إنفاقها في وجوه الخير التي على رأسها بناء بيت لتقام فيه الصلوات ويذكر فيه اسم الله كثيرا ، فقبل منه الشيخ ذلك فبنيت الزاوية الحراقية بناها توكورت رحمه الله » .

ثم لا ندري أين كان الشيخ الحراق يجتمع مع تلاميذه بعد حادثة الجامع الكبير لان بين تلك الحادثة وتاريخ بناء الزاوية زمنا ليس بالقصير .

ومن الممكن أن تكون الزاوية التي أنشئت أولا عقب تلك الرؤيا ، بنيت صغيرة في بقعة كانت خربة ، ثم بعد ذلك زاد، فيها الفقيه توكورت ما زاد، فصارت من أكبر زوايا تطوان ، والله أعلم .

أما توكرت المذكور فهو رجل أصله من قبيلة بني سعيد ، وكان مقيما بمدينة طنجة ، ثم انتقل منها إلى تطوان وأقام بها وكانت زوجته بها من أولاد سلامة التطوانيين ، وتلمذ للشيخ الحراق واشترى إحدى دور تطوان وبنى بها الزاوية الحراقية وحبسها على شيخه المذكور ، ثم حبس عليها من ماله ما تقوم به شؤونها ، وكان ذلك البناء بين عامي 1244 ـ و ـ 1245 .

وقد وقفت لدى صديقنا الشريف النبيل سيدي أحمد بن البشير الحراق « حفيد الشيخ المترجم رحمه الله » على أصل الرسم الذي حبس به تكرت الزاوية المذكورة ، وسياتي لنا نصه بعد هذا عند الكلام على تاريخ هذه الزاوية وذكر بعض الزوايا الحراقية الاخرى بفاس وغيرها بحول الله .

تردد الشيخ الحراق بين فاس وتطوان

واستقر الشيخ الحراق رحمه الله بمدينة تطوان نهائيا، ولم يكن كثير التجول في مختلف مدن المغرب وقبائله كما كان قبله الشيخ ابن عجيبة، لان حالته الصحية كانت تدعوه للاستقرار إما في فاس وإما في تطوان، وكانت إقامته بهذه المدينة أكثر من غيرها، إذ كان يجد فيها من الهدوء والسكينة والاطمئنان، ما لا يجد مثله في غيرها، وبذلك قضى جل حياته الصوفية في مدينة تطوان حتى مات ودفن بها وخلف ذريته فيها، وهي ما تزال بها حتى الآن.

أما المدينة الاخرى التي كان يزورها وقد تطول مدة استقراره بها، فهي مدينة فاس التي سبق له أن تلقى دروسه العلمية بها، فكان يحن إليها ويتردد من لآخر عليها، ومن ذا الذي يدرس بفاس ولا يحن إليها؟ ومن ذا الذي لا يود لو يكثر تردده عليها؟ وهي مدينة العلم، والعمل، والصلاح، والنبوغ، حياها الله وحيا أهلها الكرام.

ولقد كان الشيخ الحراق رحمه الله يجد من المتعة العلمية، واللذة الروحية في مذاكرة علماء فاس، ما لا يجد مثله في غيرها، وعند ما كان يغيب عنها جسمه، كانت العلاقات بينه وبين علمائها وأصحابه بها، تبقى موصولة، إما بزيارتهم له في تطوان، وإما بتبادل الرسائل بين الطرفين، فكانت لغيبته عن مدينة فاس، فائدة وأية فائدة، إذ كانت تلك الغيبة تدعوه لكتابة رسائله العديدة إلى فقراء تلك المدينة العالمة النشيطة، تلك الرسائل التي يمكن أن تعد من أثمن ما بقي من آثار الشيخ الحراق، لانها هي التي خلدت أفكاره وطريقة تربيته وتهذيبه وإرشاده، فكان أصحابه - وما زالوا - يسترشدون بها، ويهتدون بنورها.

وستاتي لنا نصوص عدد من تلك الرسائل، وجلها مما نقلته بنفسي من خطه رحمه الله.

تصدى الشيخ سيدي محمد الحراق كما قلنا للمشيخة والتربية وتلقين الاوراد مع إلقاء دروس التفسير بتطوان وفاس وغيرهما .

قال تلميذه الشيخ محمد بن العربي الرباطي ما نصه :

« وقد أخذ عنه رضي الله عنه خلق كثير لا يعد كثرة من طلبة العلم وأعيان الناس ، وأهل الاعتناء بدينهم بحاضرة فاس ونواحيها كصفرو والبهاليل وجبل كندر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمداشر من نواحي تطوان وجم غفير من أهل تطوان ،

وأما شفشاون (1) كاد أهلها كلهم أن يدخلوا في طريقته ، وانتشر مدده إلى أن بلغ إلى الرباط، مع أنه لم يصل إليها بنفسه ، وكان مهتما بالوصول إليها غاية الاهتمام، لان اهتمامه كان في الدلالة على الله ، وكان رضي الله عنه يقول : لو كنت أعلم أن أحداً بقنة جبل يريد الوصول إلى الله، لاتيت إليه حبواً وأخذت بيده ابتغاء مرضاة الله، وترغيبا في الاقبال على الله » .

وهكذا قام الشيخ الحراق بما تصدى له خير قيام ، فاستفاد منه خواص وعوام ، وتلمذ له ولاسيما بفاس أئمة أعلام .

قال الفضيلي في الدرر البهية (2) بعد أن ذكر ترجمته ما نصه :

« وله أتباع ، في سائر الجهات والبقاع ، وانتفع به خلق كثير ، وجمع كبير ، تلمذ له فحول العلماء ، وأهل النباهة والشان العظماء ، كالفقيه العلامة خاتمة المحققين

---

1) رغم أن أهل شفشاون كادوا أن يكونوا كلهم على طريقته ، فانه لم يتخذ بها زاوية ، اكتفاء بزاوية أشراف القوس العلميين ، فهؤلاء كانوا ولا يزالون حراقبين ، ولكن حراقيتهم حراقية ذات صبغة خاصة ، فان الشيخ أخذهم على أنهم أبناء العم ومؤازرون ، لا أنهم أتباع وتلاميذ .

وأشراف القوس لا يزالون محافظين على الذكر الحراقي رغم انفصالهم عن زاوية تطاون ، زاوية الاتباع والتلاميذ ، وهذه خطة غريبة في التصوف . ت . و .

2) الدرر البهية ج 2 ص 97 .

وعمدة المتأخرين أبي عيسى السيد المهدي بن الطالب ابن سودة (1) المري ثم الغرناطي النجار الفاسي الدار، والمنشإ والقرار، وأخيه الفقيه العلامة الخير الصالح أبي حفص السيد عمر (2) بن الطالب المذكور، وأخيهما الفقيه المحدث المتقن سيدي

1) العلامة المهدي ابن سودة ترجم له الفضيلي في الدرر البهية (ج 2 ص 308) ووصفه بفقيه الفقهاء وقاضي القضاة وسري السراة، ثم قال فيه ما نصه:

فهو في العلوم البحر الزاخر، الذي لا يدرى له أول ولا ءاخر، وكان الآية الباهرة، والحجة القاهرة، له مشاركة في فنون العلوم، حسبما هو شهير معلوم، طارت الانباء بمئاثره، وتواردت الآثار بمفاخره، فهو العالم العلم الذي لا يجهل، وعليه العمل الذي يعمل ولا يهمل، إمام في الفقه والحديث والسير والاصول والفروع في المعقولات والمنقولات، مع ضبط وإتقان في النقل والرواية، عارف بطريق التبليغ، ذرب اللسان، ثابت الجنان، عامل على عواقب الزمان، درس العلوم بأقطار المغرب مراكش ومكناسة وفاس، ثم رحل إلى المشرق فدرس بمكة المشرفة، وبالجملة فهو البحر الذي لا يدرك، والباز الاشهب الذي لا يطار تحت جناحه، تولى خطة قضاء الحضرة المولوية مكناسة الزيتون مدة طويلة، وكان بصيراً بالعواقب، خبيراً بسياسة الخلق، عارفا بطرق الاحكام رحمه الله، واجتمع له من الدنيا شيء كثير، أخذ عن الفقيه الازمي الحسني، والفقيه سيدي بدر الدين الحمومي الحسني، والفقيه السيد عبد القادر بن شقرون، والفقيه السيد التهامي الحمادي، وغيرهم من أمثالهم، وأخذ عنه جمع عظيم، وله تئاليف منها حاشيته على الخرشي، وحواشيه على جمع الجوامع، وحواشيه على الشيخ بناني في المنطق، وعلى رسالة الوضع، وتقاييد على متن الامام البخاري، وتقاييد وتحريرات في التفسير، وغير ذلك، يقف عليه من طالع كتبه، وكانت ولادته سنة عشرين ومائتين وألف، وتوفي سنة أربع وتسعين بتقديم المثناة ومائتين. ودفن بمحله المعد لدفنه قرب داره من حومة العقبة الزرقاء.

2) العلامة عمر ابن سودة، ترجم له الفضيلي في الدرر البهية (ج 2 ص 308) ووصفه بالفقيه العلامة المدرس النفاعة، ثم قال ما نصه:

« كان فقيها أصوليا نحويا منطقيا لغويا خيراً صالحا كثير الاوراد والاذكار، حاجا باراً سيداً فاضلا، ولد في حجة عام ثمانية عشر ومائتين وألف، وتوفي في ربيع الاول سنة خمس وثمانين ومائتين ».

وجاء في ترجمته من كتاب « الانباء المنشودة في مئاثر بني سودة » للشيخ العابد بن احمد بن سودة بعد أن ذكر اجتماعه بالشيخ الحراق ما نصه:

« فألقى إليه نفسه، ومكنه من زمام قيادتها بعد التجرد من العلم والعمل إلا ما

محمد (1) بن الطالب المذكور ، وكالشيخ المربي الخير السيد الخضر

ياتيه على يده ، ثم تقدم بين يدي الشيخ بما ألهمه الله إليه وما صمم عليه ، فتبسم الشيخ واستنار وجهه ، وقال له مرحبا وأهلا ، لقد ضربتني فاس بأفلاذ كبدها ، وشرفتني بفضلاء أشرف بيوتاتها ، فلله الحمد وله المنة ، فمد يدك إلي واقرب مني ، فمد يده إليه ، وأمسكها بين يديه ، وصار يذكر له شروط الصحبة وفوائدها وهو يجيبه بالقبول والالتزام ، إلى أن ذكر له ألفاظ الذكر وعدده بالمليل والمثابرة عليه ، ثم صار يوصيه بمتابعة السنة ومنهاجها ونصيحة الاخلاء وملازمة الاجتماع بهم ، لما لهم في الاجتماع من النفع العام ، ثم أطلق يده وقال له جعلك الله فوق ما ظننته وتمنيته » .

وترجم له أيضا صاحب سلوة الانفاس (ج 2 ص 109) ترجمة حافلة .

1) السيد محمد بن الطالب بن سودة ، ترجم له الفضيلي في الدرر البهية (ج 2 ص 307) ووصفه بالفقيه المحدث ، ثم قال ما نصه :

« كان خيراً دينا ذاكراً ، تاليا فقيها محدثا ذا وقار وصمت ، وحسن هدي وسمت ، وكان من المنتخبين لقراءة الحديث بالحضرة السلطانية ، أخذ العلم عن أشياخ وقته ، ثم أخذ طريق القوم عن الولي الصالح الفقيه العلامة سيدي محمد الحراق ، وكان من خيار أصحابه ، وكان يتكلم بعد عصر يوم الجمعة بزاويته على الفقراء ، فانتفع به خلق كثير ، وكان يتعاطى خطة الشهادة إلى أن توفي . ولد في حجة عام ستة عشر ومائتين وألف ، وتوفي عام أربعة وتسعين بمثناة ومائتين وألف » .

وترجم له أخوه سيدي المهدي بن سودة في « تحفة الاحباب » بقوله :

« ومنهم الفقيه العالم العلامة الولي الصالح شقيقنا سيدي محمد بن الطالب بن سودة الذي جمع رحمه الله بين الشريعة والحقيقة ، وكان الحق والشرع ملازمه ورفيقه ، لا يجرى أفعاله إلا عليه ، وميزانه نصب عينه ، ولد سنة ستة عشر ومائتين وألف وقرأ رحمه الله على أشياخنا كلهم وأخذ التصوف عن أشياخ منهم الفقيه الولي سيدي المهدي ابن عبد المجيد العراقي الحسني ساكن المخفية ودفين القباب المتوفى سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف .

ومنهم الشيخ الولي الصالح شاذلي الوقت وهو عمدتنا شيخنا سيدي محمد بن محمد الحراق الحسني المتوفى بتطوان ودفينها المتوفى سنة احد وستين ومائتين وألف وغيرهم وظهر عليه حال التصوف ، وشاهد الاحوال والتعرف ، وغلب عليه علم الباطن أكثر من علم الظاهر ، وشهد له حاله بفيضان المواهب عليه وحسن السرائر . . . إلى أن قال:

وكان هو الذي قدمه على أصحابه البركة العظمى ، سيدي محمد الحراق فأطلعهم في صحيفة يمينه بدراً ونجما ، وفتح قلوبا غلفا وآذانا صما ، ووضع له القبول ، عند الخاصة وأهل الخير والفحول . . . الخ .

. . . .

توفي بالقصر الكبير وبه دفن قرب سيدي علي أبي غالب في أوائل رجب عام 1294 .

وترجم له أيضا الشيخ العابد بن سودة في كتابه « الانباء المنشودة في مئاثر بني سودة » وبعد أن ذكر أنه ولد في مهل حجة سنة 1216 . وأنه حفظ القرآن ودرس العلوم بالقرويين على الشيوخ علي قصارة ، وعبد الواحد بن أحمد بن التاودي ابن سودة ، وعلي التسولي ، وعبد القادر الكوهن ، وبدر الدين الحمومي ، ومحمد بن عبد الرحمن الحجرتي السجلماسي ، والقاضي العباس بن كيران ، وأنه اجتمع عام 1242 بالشيخ العربي سيدي المهدي العراقي تلميذ مولاي أحمد الصقلي فأخذ عنه الخ .

قال ما نصه : « ثم لم يفجأ أن قدم مربي ذوي التجريد ومرشد الحائرين بالمشاهدة والعيان ، برزخ البحرين بحر الشريعة والحقيقة على الاطلاق ، أبو عبد الله سيدي محمد الشهير بالحراق الشريف الحسني . . . أحد الآخذين عن الشريف مولاي العربي الدرقاوي في قضية عجيبة ، بقصد زيارة جده أبي العلاء مولانا ادريس ، فاهتز لقدومه كل أهل فاس على اختلاف طبقاتهم من علماء وأمراء وأشراف وأعيان ، وكل على نيته وقصده ، والشيخ يقابل كل واحد على قدر سيمة وجهه ، وما على ظاهره من حال باطنه ، ثم لما دخل عليه صاحب الترجمة نهض إليه قائما وعانقه وقال له بعد السلام وما يترتب عليه من السؤال عن الاحوال بمسمع من الحاضرين الذين حضروا ساعتئذ، منهم الفقيه الاديب الوزير سيدي محمد بن ادريس العمروي ، والعلامة الشريف نقيب الشرفاء العلويين مولاي العربي بن احمد البلغيثي وغيرهم من الاشراف والعلماء والاعيان ، مرحبا أهلا وسهلا ، على مثلك تعقد الخناصر ، وإليك تشد الرواحل ، وتقطع الفيافي والقفار ، فعند ذلك زاد شوق صاحب الترجمة ، وانبعث في قلبه أنه يتجرد عن كل علم وعمل صدر منه إلا ما ياتيه على يد هذا الفاضل ، ثم لم يكن بأسرع من لمحة البصر ، أن أحمر وجه الشيخ وأشرقت على وجهه نورانية ، وقال للمترجم هات يدك ، فبسطها . فقبض عليها الشيخ وصار يملي عليه شروط الصحبة وتحمل الامانة، وما يحفظها ، ثم لقنه ورد الطريقة الشاذلية وما يذكر صباحا ومساء ، وختم ما أملاه عليه بالوصاية والتمسك بتقوى الله في السر والاعلان ، إذ تقوى الله هي روح الاعمال ، ثم أخذ يذكر الحاضرين ويقرر لهم أسرار مجاهدة النفس ودقائق غضونها ، وانجر به الكلام إلى عظمة الله والنظر إلى خلقه بالتعظيم ، إلى أن خشعت منهم القلوب ، وفاضت منهم العيون بالعبرات ، فعند ذلك زاد صاحب الترجمة غبطة وعشقا إلى أن تحرق في

الشجعي (1) وغيرهم ، وظهرت عليهم بركته وسره » .

ومن تلاميذ الشيخ الحراق بفاس أيضا ، الفقيه الخطيب سيدي عبد الحفيظ ابن المجذوب الفاسي (2) مؤلف كتاب « تذكرة المحسنين » . وقد ترجم له في كتابه المذكور ووصفه فيه بشيخنا الامام الخ. وسيأتي لنا كلامه، وقد مدحه بأبيات ستأتي لنا أيضا.

بحر الحقيقة حسبما أخبر به أخوه العلامة سيدي المهدي . . . ثم صار الشيخ يعالجه مما كانت نتيجته أن فتح الله به عليه ، وتعلم منه الحاجز ما بين الشريعة والحقيقة الذي هو أساس الطريقة . . . إلى أن قال . . .

ثم إن الشيخ خرج على جمع من أصحابه ذات يوم ومن بينهم الفقيه الجليل الوزير سيدي محمد بن ادريس العمروي والشريف العالم نقيب الاشراف وقتئذ مولاي العربي البلغيثي وغيرهما، وبمجرد جلوسه قال لهم ، أيها الاخوان ، إني قد اخترت لكم مقدما ، ووالله ما اخترته إلا باذن من الله ورسوله ، ولا قدمته حتى قدمه الله ورسوله ، وهو سيدي محمد ابن الطالب بن سودة ، فمن أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني، فتلقى الحاضرون كلام الشيخ بمزيد القبول والتوقير ، واتسعت في قلوبهم محبته وتعظيمه الخ .

1) الشيخ الخضر الشجعي ترجم له سيدي محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الانفاس (ج 1 ص 340) ووصفه بأنه الفقيه الوجيه النزيه البركة الصالح ، المهتدى بهديه القويم ونهجه الواضح ، أبو محمد الخضر بن قدور بن حدو الشجعي الخليفي المزواري ، وذكر أنه قرأ بفاس ثم اتصل بالشيخ الحراق في زاويته التي بالمخفية من فاس ، فأخذ عنه ولازم خدمته وطريقته ومحبته ، ثم ذكر أنه كان مفتوحا عليه في الذكر والمذاكرة ، وآثار الولاية والصلاح ظاهرة عليه ، وذكر أنه خلف الشيخ الحراق في زاويته الفاسية إلى أن توفى في رجب سنة 1295 ، ودفن بالمخفية .

2) الشيخ عبد الحفيظ المدعو « الكبير » الفاسي ، ترجم له الفضيلي في الدرر البهية (ج 2 ص 273) بما نصه :

« كان فقيها محدثا خيراً عابداً قانتا من أهل الفضل والدين متمسكا بسنة سيد المرسلين ، خطيبا بليغا كريما جواداً عزيز المثيل عدلا مرضيا ذا سمت حسن ، وهدي مستحسن ، توفى رحمه الله سنة ست وتسعين بمثناة ومائتين وألف ، وقد ناف على السبعين ، تولى خطابة مسجد القرويين بعد أبيه إلى أن توفي رحمه الله ودفن برباط الفتح لوفاته هناك » .

وهذا السيد قد وصفه الشيخ الحراق في إحدى رسائله بقوله :

« مقام العلامة الوارث عن أسلافه الكرام علاج القلب القاسي ، أخينا في الله وعوض الولد البار أبي محمد سيدي الكبير الفاسي . . . الخ » .

ومن تلاميذه بفاس أيضا ، الفقيه العدل الشريف الخير سيدي ادريس بن الطائع الكتاني ، قال حفيده سيدي محمد بن جعفر الكتاني في ترجمته من كتابه سلوة الانفاس (1) ما نصه :

« وأخذ الطريقة عن الشيخ سيدي محمد الحراق ، وكان يحضر مجالسه في التفسير بزاويته من حومة المخفية ، حين افتتح الخمسة الاخيرة من القرآن بعد قدومه لهذه الحضرة الادريسية » .

ومن تلاميذه بفاس أيضا الفقيه الشريف سيدي الغالي العمراني المعروف باللجائي وقد قال في كتابه « دوحة المجد والتمكين (2) » ما نصه :

« قلت تعاطي علم التفسير ، من الامر الخطير ، إذ لا بد فيه من معرفة العلوم المذكورة ، والاخذ عن شيوخ قلوبهم بالنور معمورة ، وقد من الله على مؤلفه العبد الفقير ، المعروف بالبطالة والتقصير ، بسماع مجالس من التفسير ، على شيخه العارف بجلال الله وجماله ، الداعي إلى حضرة الربوبية بأقواله وأفعاله ، الشريف العلامة الصالح الافلح ، المشارك القدوة الانصح ، بحر المعارف والحقيقة الدفاق ، شيخ الطريقة سيدي محمد الحراق ، بزاويته السعيدة بالمخفية من عدوة الاندلس بين العشائين ، وذلك من سورة الجمعة إلى الختم ، وكان له مجلس غاص يستحسنه كل من حضره ، ويعترف لصاحبه بالفضل كل من سمعه وأبصره ، وتوفى برد الله ضريحه ، وأسكنه من أعلى الجنان فسيحه ببلدة تطوان ، ورمس بزاويته هناك » .

ومن كبار تلاميذه برباط الفتح ، الفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن العربي

---

1) ج 2 ص 195 .

2) هذا الكتاب توجد منه نسخة بالخزانة الاحمدية بفاس لصاحبها صديقنا الفقيه المؤرخ الاستاذ عبد السلام بن سودة ومنها نقلت ما هنا سنة 1368 .

الدلائي الرباطي (1) وهذا السيد قد وصفه الشيخ الحراق في إحدى رسائله ، بالولي

1) هذا السيد ترجم له الفقيه السيد محمد بن علي دنية الرباطي في كتابه « النفحات الندية » المطبوع برباط الفتح سنة 1355 . وقد وصفه فيه بالشيخ الجليل الفقيه الحفيل الصوفي الصالح الارشد الفالح المنتسب الناسك المتواضع السالك ، زبدة أهل الفضل والعرفان ، المتحلى بالاخلاق الحسان ، الذاكر المحترم ، المستغرق الاوقات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . . . . أخذ الطريقة الحراقية عن الشيخ العارف بالله أبي عبد الله سيدي محمد الحراق التطواني وأخذها عنه جماعة مثل الشيخ البركة الافضل سيدي بنعاشر الخمليشي المعروف بالحداد ، والعالم الاجل السيد عبد القادر ابن عبد الكريم الشفشاوني صاحب بغية المشتاق ، وغيرهما ، وأنشأ المترجم بالرباط اجتماع المادحين لاستعمال المدح كل ليلة جمعة بضريح الولي الصالح سيدي لحسن ابن سعيد رضي الله عنه . . . . وللمترجم في المديح النبوي وغيره قصائد وأشعار ، كلها تدل على رفعة شأنه وسمو المقدار . . . .

رحل رحمه الله للمشرق فحج وزار ، ولاحت عليه أنوار وأسرار ، واستوطن أخيراً الدار البيضاء وبنى بها زاويته وصار يعمر بها حلق الذكر إلى أن توفى عام 1285 ودفن بها « رحمه الله » .

وفي الاستقصا ص 231 من ج 4 من طبعة مصر ما نصه :

« وفي يوم الجمعة السادس عشر من شوال (1285) توفي البركة الخير المنتسب سيدي الحاج محمد بن العربي الدلائي الرباطي بالدار البيضاء ، ودفن يوم الجمعة بالزاوية المنسوبة إليه بها رحمه الله ونفعنا به » .

وتكلم عليه أيضا تلميذه الشيخ عبد القادر الورديغي الشفشاوني المتوفى بمصر سنة 1313 في كتابه « بغية المشتاق المطبوع بمصر سنة 1298 . وذكر كيفية ملاقاته لشيخه سيدي محمد الحراق بفاس سنة 1257 ، وأنه لقنه الاوراد وأذن له في تلقينها ، ثم زيارته له بتطوان ومدحه له بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

قد أصبح الكون في حسن وإشراق   واخضل روض القلوب من سنا الساقي

والتي منها في وصف شيخه المذكور .

طود السعادة والحسنى التي سبقت   نجل الرسول سمي القدر حراق

شيخ الطريقة نور الله منهجه   سر الحقيقة في علم وأذواق

وللسيد المذكور في مدح شيخه هذا أشعار كثيرة منها الموزون والملحون ، وانظر إن شئت كتاب بغية المشتاق .

الصالح البركة ، العالم العلامة الحجة ، أخينا في الله وحبنا في جانبه ، سيدي الحاج محمد بن العربي الخ . وهو الذي ألف كتابا (1) جمع فيه ديوان شيخه المذكور ورسائله وكتاباته المختلفة . وهذا الكتاب هو المرجع الاول فيما يتعلق بالشيخ المترجم وآثاره رحمه الله .

ومن كبار تلاميذه أيضا بحوز تطوان الشيخ الجليل العارف بالله سيدي محمد بن محمد الخلنجي اليدري أصلا الحوزي داراً ومدفنا ، كان رحمه الله من التلاميذ الذين يحضرون الدروس العلمية بتطوان على الشيخ الحراق رحمه الله ، ثم أخذ عنه الطريق الصوفية ، وصار من كبار أصحابه وأسس زاوية بمدشر بني سالم وأذن له شيخه في تلقين الاوراد فكان يلقنها بمحضره، وقد أخذ عنه كثير من أهل تطوان والقبائل القريبة منها ، ثم بنى زاوية أخرى في تطوان بحومة السويقة ، وهي المعروفة بزاوية الخلنجي ، وقد توفي رحمه الله ودفن بزاويته في قرية بني سالم قرب تطوان صبيحة يوم الاحد سابع وعشري ربيع النبوي عام 1283 رحمه الله .

أما في تطوان ، فبالرغم من كون تلاميذ الشيخ الحراق ومريديه كانوا كثيرين ، لم يكن فيهم علماء كعلماء فاس ، مع أن المنصفين من علماء تطوان « وفي كل بلد منصفون ومتعنتون » كانوا يحبون الشيخ الجليل وكانوا يجلونه ويقدرون قدره في العلم والارشاد والنسبة الشريفة ، ولكنهم لم يتلمذوا له .

وعند ما تعرض شيخنا أبو عبد الله المرير في فهرسته « النعيم المقيم » لتلاميذ المترجم رحمه الله ، قال :

« أما تطوان ، فاننا لم نعثر على عالم بالخصوص أسند روايته إليه ، وأخذ العلم الظاهر عليه » .

ولعل من مظاهر رجال العلم والفكر بتطوان ، أنهم « في الغالب » لا ينفعلون بسرعة ، ولا يذعنون بسهولة ، فلا يتسرعون ولا يندفعون لا إلى الخير ولا إلى الشر ، والذي ينظر بعين الرضى ، يسمى هذه الخصلة تأنيا ورزانة ، وتعقلا وثباتا ، والذي ينظر بالعين الاخرى يسميها إهمالا وبروداً ، وتعصبا وجموداً . . .

سئل الشيخ المترجم رحمه الله عن سبب تفضيله للسكنى بتطوان فقال « لان أهلها لا يحتاجون إلي » ولعل هذا السؤال كان في ظروف خاصة فكان الجواب على حسب ما اقتضاه المقام ، ولعل الشيخ رحمه الله أراد بذلك أنه لا يجد في تطوان مثل

1) هذا الكتاب سياتي الكلام عليه .

ما يجده بفاس مثلا من المبالغة في التواضع والارتماء على الاقدام، والتمرغ على الاعتاب، والتماس الدعوات، وطلب العطفات، وحتى التفاف أصحاب المصالح والمرتجين لمختلف الاغراض والشهوات، ولعل شيئا آخر أيضا هو الذي حبب تطوان إلى الشيخ رحمه الله، ذلك أنه وجد في أهلها من القناعة والاعتدال في التواضع ما جعله يشعر في تطوان براحة كبرى قلما يجدها في غيرها (1).

نعم لقد كان من بين تلاميذ الشيخ رحمه الله رجال من كبار أعيان تطوان ووجهائها مثل الحاج الطيب بوهلال والسيد محمد الحصار والسكيرج وأجزول وأضرابهم، إلا أن أحب أصحابه إليه وأقربهم لديه هو سيدي محمد بن لحسن أحسن الله إليه.

1) هؤلاء العظماء، لا تظهر عظمتهم إلا في المجتمعات الكبرى، والمدن العظمى، وفاس قلب المغرب النابض، ودماغه المفكر، وعقله المدبر، ومجمع فواضله وفضائله، ومحشر مدنه وقبائله، أحق البقاع المغربية بمعرفة الفضل لاهله، أما تطاون فإن دائرتها محدودة، لكن الحراق كان يقول: تعجبه تطاون، لانه يكون فيها مستريحا من عناء مقارعة الفحول.

ت. و.

فهرس

القسم الثاني من المجلد السادس لتاريخ تطوان

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة